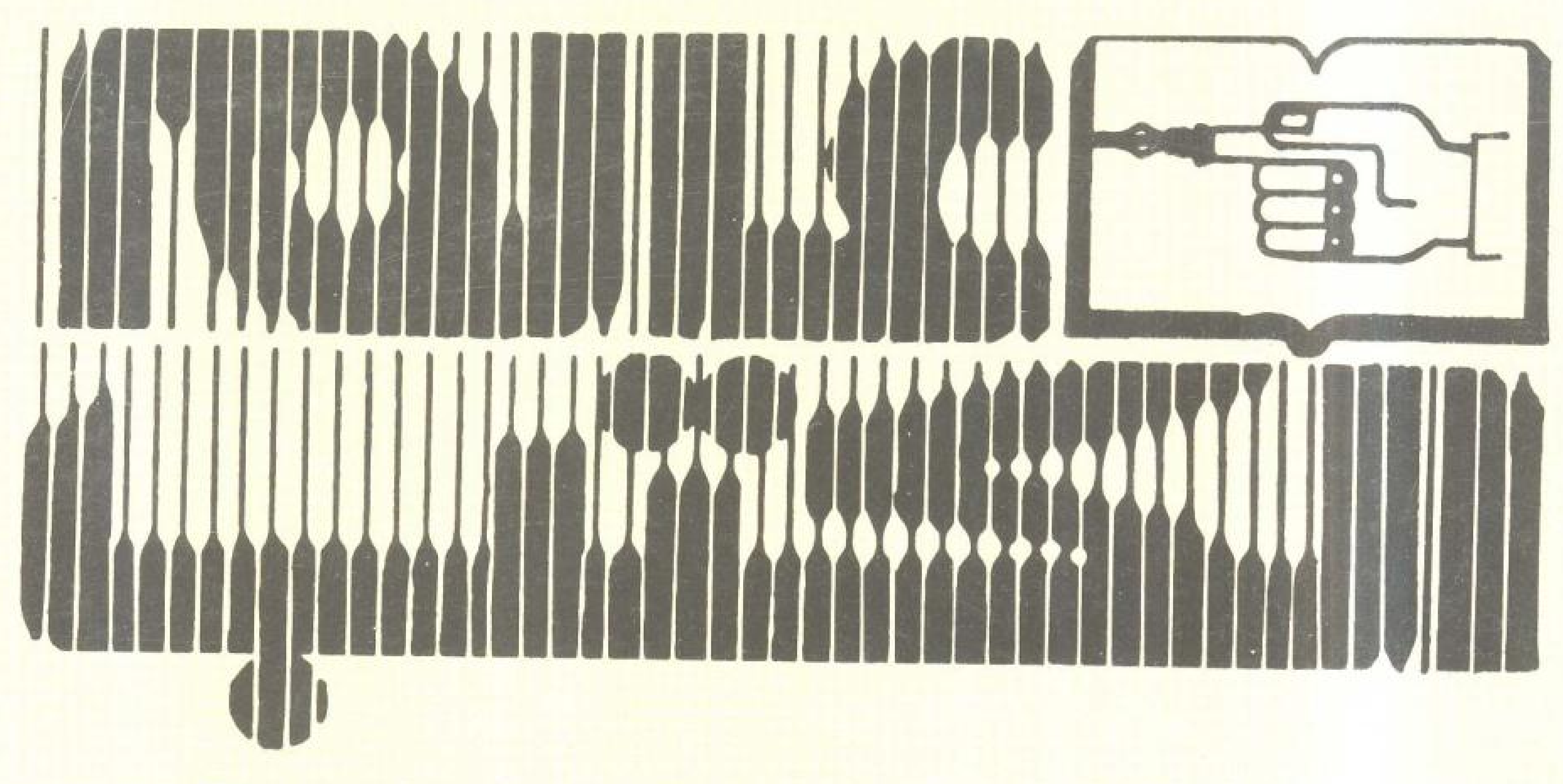


مجلة فصلية متخصصة

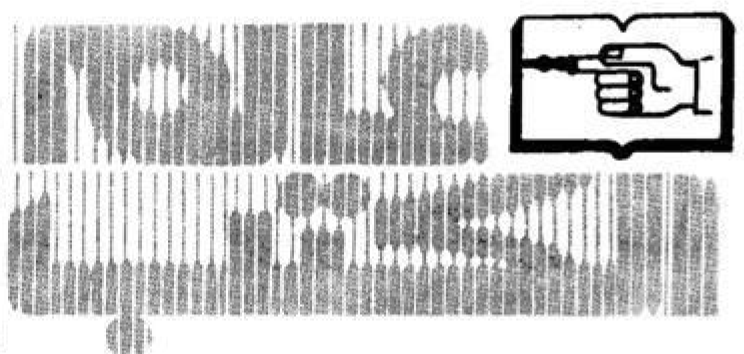
المجلد الحادي عشر

العدد الأول

رجب ١٤١٠ - يناير ١٩٩٠



بسم الله الرحمن الرحيم



المؤسسان
عبدالعزيز أحمد الرفاعي
عبدالرحمن فيصل المعمر

رئيس التحرير
يحيى محمود ساعاتي

مجلة فصلية متخصصة تهتم بالكتاب وقضاياه
الناشر دار ثقيف للنشر والتأليف - الرياض - المملكة العربية السعودية

المجلد الحادي عشر | العدد الأول | رجب ١٤١٠ - يناير ١٩٩٠

المحتويات

○ منهاج النشر

- يشترط في المواد المراد نشرها:
١- أن تكون في إطار تخصص المجلة.
٢- مكتوبة بالآلة الكاتبة أو بخط واضح.
٣- لم تنشر من قبل.
٤- معتمدة على المنهجية والموضوعية في المعالجة.
- تخضع الدراسات والبحوث للتحكيم قبل نشرها.
- ترتب المواد وفقاً لأمور فنية بحتة.
- لايجوز إعادة نشر أية مادة من مواد المجلة كاملة إلا بإذن مسبق. وفي حالة الاقتباس يرجى الإشارة إلى المصدر.
- ما ينشر يعبر عن رأي كاتبه فقط ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

○ بيانات إدارية

- المراسلات الخاصة بالتحرير توجه باسم رئيس التحرير (٤٧٧٧٢٦٩).
- المراسلات الخاصة بالاشتراكات والإعلانات توجه باسم مدير الإدارة (٤٧٦٥٤٢٢).
- عنوان المجلة :
- عالم الكتب
ص.ب: (١٥٩٠) الرياض : (١١٤٤١)
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٧٦٥٤٢٢
- الاشتراك السنوي في الداخل والخارج ١٠٠ ريال سعودي أو ما يقابلها بالدولار الأمريكي.
- الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة.

الدراسات

كاتب يسطو على ست وخمسين مقالة

محمد بن عبد الله العزام

استاذ مشارك في علم المكتبات والمعلومات «سابقاً»
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مستخلص

يركز هذا البحث على كتاب نشره في بيروت عبد الله عمر البارودي بعنوان «دراسات مختارة في المكتبات والتوثيق والإعلام»، يضم ستاً وخمسين مقالة تغطي معظم فروع علم المكتبات. ولكن كاتب هذا البحث وجد من الأسباب ما دعاه إلى الشك في مصداقية المؤلف، ودفعه إلى بذل الجهد للكشف عن أصحاب تلك المقالات. وتبين فعلاً أن معظمها لكتاب غربيين وقليلاً منها لكتاب شرقيين، وقد نشرت أصلاً في مجلة اليونسكو للمكتبات التي تصدر في باريس باللغة الإنجليزية ولغات أخرى، ثم نشرت مترجمة في الطبعة العربية للمجلة التي كانت تصدر في القاهرة، وأنها نقلت جميعاً بالحرف الواحد من الطبعة العربية بلا إشارة إلى أصحابها الحقيقيين إلا في بضع حالات، وبلا إشارة إلى المترجمين العرب في كل الحالات، ولم يتصرف البارودي في النص إلا في حالات نادرة وكلمات قليلة اضطر إليها لأنها تدل على المؤلف الحقيقي. وتحتوي الدراسة على بيان واف بالمقالات الست والخمسين ومواردها.

البارودي، عبد الله عمر/دراسات مختارة في المكتبات والتوثيق والإعلام.ـــ بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م. ٢ ج : ٩٩٨ ص.

أولاً : تمهيد :

يضم هذا الكتاب الكبير، المنشور في مجلدين، ستة وخمسين بحثاً تتناول أشتاتاً من الموضوعات في علم المكتبات والمعلومات، وتغطي مناطق متباعدة من العالم على ما سيأتيك بيانه بالتفصيل. وهو من «إعداد» عبد الله عمر البارودي الذي يعمل، طبقاً لما كتب على الغلاف وفي المقدمة، مديراً لمركز الخدمات والأبحاث الثقافية، الذي يبدو أن مقره في بيروت، ولكن أعياني أن أجد في الكتاب إشارة ولو موجزة إلى المركز : أهدافه والجهة التي تشرف عليه ومنشوراته وعنوانه البريدي. ولو أن المؤلفين والناشرين العرب عملوا إلى الصفحات الخالية في صدور الكتب وأعجازها للتعريف بأنفسهم ومؤلفاتهم ومطبوعاتهم والكتب الأخرى في سلاسلهم لسدت ثغرة من الثغرات الكثيرة في الضبط البيبليوغرافي العربي. وللبارودي، غير هذا الكتاب. كتب أخرى سيأتيك بعض خبرها، ولا يخلو من طرافة، في نهاية هذه المقالة.

يبدو لأول وهلة أن البارودي بذل جهداً كبيراً في «إعداد» هذه الأبحاث الكثيرة ذات الموضوعات المتشعبة وتهيئتها للنشر، وترجمة بعض المصطلحات إلى العربية. ولكن جهده، مهما كان، لا يغفر له تخطيه بديهيات البحث والتأليف حين أغفل النص على أصحاب هذه البحوث الكثيرة والدلالة الصريحة على بيانات نشرها؛ لإحقاق الحق وتمكين الآخرين من مراجعتها على أصولها. وإنصافاً للبارودي يجب أن نذكر، باديء ذي بدء، أنه لم ينسب هذه الأبحاث لنفسه بصريح القول، ولكنه ـــ والحق يجب أن يقال ولو كان فيه مرارة ـــ ادعاها بطريقة عملية حين نشرها في كتاب حمل اسمه هو دون أي اسم آخر، ولا يغنيه في هذا الصدد أساليب التدليس والتعمية التي لجأ إليها، وسوف أعرض أدناه حقائق القضية بشيء من التفصيل ليرى القارىء الكريم أن المسألة في غاية الوضوح.

لقد فشت القرصنة الفكرية في السنوات الأخيرة، ولعل أصحابها يظنون أن الناس لا يقرأون أو ينسون ما يقرأون، ولا شك أنهم الخاسرون في نهاية المطاف. وفي المقابل صار لزاماً على من يطلع على شيء منها أن يعلن عنه ليرتدع أصحابها ويتعظ بهم غيرهم. وأجدني في غنى عن التأكيد بأن القصد من هذه المقالة ليس التجريح الشخصي لانعدام دواعيه، بل التقويم المنهجي الخالي من الأغراض، والغيرة على علم المكتبات والمعلومات أن يصبح كلأً مباحاً يكتب فيه من هب ودب ومن يحسن ومن لا يحسن، وتحذير أمثال صاحب الكتاب من تكرار هذا العمل غير اللائق بأهل العلم.

كتب على الغلاف «إعداد عبد الله عمر البارودي». وكلمة «إعداد» هذه يستخدمها بعض المؤلفين، ولكنها غير محددة المعالم، وتستخدم في الغالب حين يكون العمل المنشور مؤسساً على عمل

سابق لشخص آخر ، ولا يريد المؤلف أن يدعي الأفكار لنفسه لأن دوره في التأليف يقع في دائرة الجمع أو التلخيص أو الترجمة بتصرف ، أو حتى السطو أحياناً . ومن أمثلة ذلك كتاب «لبنات المستقبل» الذي كتب على غلافه «إعداد د . محمد مصطفى الفولي» (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ ؛ سلسلة المكتبة الثقافية ، العدد ٢٨٥) ، وهو في الواقع ترجمة مع شيء من التصرف لكتاب ألماني . غير أن الفولي كان أميناً فيما عدا صفحة الغلاف ، فسجل بيانات الكتاب الأصلي بالعربية والألمانية في مكان بارز من المقدمة . وقد تكون كلمة «إعداد» مقبولة في بعض الحالات ، ولكنها مرفوضة من «مدير مركز الخدمات والأبحاث الثقافية» ، فإما أن يكون الكتاب تأليفاً أصيلاً ينسبه الإنسان إلى نفسه ويتحمل مسؤوليته الفكرية ، وإما ترجمة أمينة كاملة يعطى فيها كل ذو حق حقه ، وإما ترجمة مختصرة متصرفاً فيها يذكر فيها بيانات النشر الأصلية لمن يريد الاستزادة والمقارنة والتوثيق . أما أن يقدم كتاب ما تحت اسم «الإعداد» ويطوى خبر المؤلف الأصلي فما هو إلا باب إلى السطو والقرصنة الفكرية يجب أن يحذره الجميع ، ولا سيما المكتبيون الذين هم أمناء على أفكار الناس وتراث الأمم .

أما المقدمة القصيرة التي كتبها البارودي فقد خلت من الإيضاح الصريح الذي يشفي الصدر ويحسم الأمر . كل ما جاء فيها هو هذه العبارة الاستطرادية التي ننقلها بنصها : «ولو كنا من دعاة الانقباض على الذات والتزمت الثقافي لما وضعنا كتاباً أغلب الدراسات التي فيه لكتاب غربيين» . وهي كما يرى القارىء الكريم عبارة مطاطية غير حاسمة ؛ أولاً لأنها لم تأت في سياق الحديث عن المسؤولية الفكرية لهذا الكتاب . وهي ثانياً لا تتجه بالضرورة إلى هذا الكتاب بالذات ، فقد يكون له كتاب آخر يحتوي على دراسات مترجمة . وهي ثالثاً متناقضة بعض الشيء ، فالدراسات «وضعها» هو ، وهي في الوقت ذاته لمؤلفين غربيين ، ولا أدري كيف يكون ذلك ! وهي رابعاً تفيد-بأن «أغلب» الدراسات مترجمة ، إذن فإن «أقلها» يكون من إبداع الأستاذ البارودي ونتاج فكره ، وسيأتيك أنه في واقع الأمر ليس له فيه قليل ولا كثير .

ودعك من غموض صفحة الغلاف والمقدمة ، وعليك بالأبحاث ذاتها . إن أبسط قواعد البحث السليم التي لا تخفى على البارودي ولا على غيره توجب عليه أن يدون تحت كل بحث من الأبحاث الستة والخمسين ، في حاشية الصفحة الأولى من صفحات البحث أو في أعلاها تحت العنوان المترجم مباشرة ، بيانات ببليوجرافية وافية تشمل اسم صاحب البحث المترجم وعنوان البحث والمصدر الذي نشر فيه وما إلى ذلك من بيانات التوثيق ، كله بلغة البحث الأصيلة التي نشر فيها ؛ ليطمئن القارىء إلى أمانة المؤلف ويعود إذا شاء إلى البحث بلغته الأصلية ليقارن ويتأكد . ولكن البارودي أغفل ذلك كله إلا في حالات نادرة ، لعل أبرزها الموضوع الذي بحث في الأسماءالبنغالية . ويحتمل جداً أنه عزا هذه المقالة بالذات إلى صاحبها لأن القراء سيدركون فوراً أنه لا يعرف البنغالية ! ويحتمل جداً أن الإشارة إلى صاحب المقالة في الحالات النادرة الأخرى جاءت سهواً منه أو ممن ساعده على «الإعداد» .

وإذا صرفنا النظر عن ظلال ألفاظ «الإعداد» و «التأليف» ، فإن النتيجة العملية هي أنه قد نشر هذه المقالات الست والخمسين في كتاب يحمل اسمه لا اسم سواه ، وإذن فالقارىء معذور إذا تلقاها بهذا المعنى واستفاد منها على هذا الأساس . والواقع أن القراء قد فهموا فعلاً أن الكتاب كتاب البارودي ، وإليك مثلاً ما كتبه محرر «عالم الكتب» في عرض الكتاب عقب صدوره (وهو عرض إعلامي لا مراجعة) :

«أعد المؤلف هذه الدراسات في علم المكتبات والأرشيف والتوثيق والإعلام ليهدي الاختصاصيين العرب إلى تنسيق استفادتهم من النظم الغربية في هذه المجالات ، وفي نفس الوقت التوصل إلى نظام عربي موحد يلائم ثقافتهم ويحررهم من التبعية للنظم الغربية» [عالم الكتب ٤ (٣) : ٥١ (محرم ١٤٠٤ هـ/أكتوبر ١٩٨٣)] .

والشاهد هنا أن كاتب العرض نظر إلى أبحاث الكتاب على أنها «للمؤلف» البارودي ، وانطلق من ذلك لينظر إليه باعتباره رائداً في تأصيل علم المكتبات ومرشداً للمكتبيين العرب في محاولاتهم للخروج من التبعية الفكرية للعرب .

ثانياً : الكشف عن أمر دمنة :

لقد رابني أمر هذا الكتاب منذ أن رأيته لأول مرة ، فالمقالات كثيرة جداً بينما البارودي غير معروف تماماً ، ويستبعد جداً أن يكتب كاتب هذا العدد الكثير من الأبحاث في فرع صغير نسبياً من فروع المعرفة ثم يبقى مغموراً لدى زملائه في ذلك التخصص . ثم إن الكتاب لا يشير إلى أن هذه الدراسات قد نشرت من قبل في مكان آخر ، بينما جرت العادة أن تنشر هذه الدراسات في الدوريات على مدى سنوات طويلة ثم تجمع في كتاب واحد ، والقرينة الثالثة أن هذه الدراسات ، كما سيأتيك بيانها ، شديدة التفاوت في موضوعاتها وتغطيتها الجغرافية وذات صبغة عالمية ، ويستبعد أن يكتبها كاتب واحد ، ويستبعد أكثر أن يكتبها كاتب عربي .

من أين جاءت هذه الأبحاث ، لقد ظننت في البداية أنه يصعب جداً ، بعد التعمية المقصودة التي لجأ إليها الزميل ، أن يصل الباحث

إلى جواب قاطع على هذا السؤال ؛ لأن ذلك يستلزم ، إلى جانب شيء من مهارات المخبر البوليسي ، البحث في ببليوغرافيات علم المكتبات ، ولا سيما الكشافات ونشرات الاستخلاص الأجنبية ، عن المقالة الواحدة تحت رؤوس الموضوعات التي تعالجها (ونذكر هنا أن «البارودي» قد غمط اسم المؤلف وعنوان المقالة في لغته الأصلية ، ولعله تصرف في ترجمة العنوان إلى العربية) ، ثم مقارنة مضمون المقالة الذي «أعده» البارودي باللغة العربية (أي تصرف فيه ، كما مرَّ بك) بكل مقالة نشرت في ذلك الموضوع . ودون أقل من ذلك خرط القتاد وترك الرقاد !

ولكن لحسن الحظ جاء الفرج بأيسر مما تصور الباحث في البداية . إن الباحث ليشعر ، من خلال قراءة الأبحاث وتنوقها ونقد نصوصها نقداً داخلياً ، أنها أبحاث مكتبية ذات صبغة عالمية مقارنة : بعضها بحوث في قضايا المكتبات الأوربية وبعضها يتعلق بالبلاد النامية ، وكثير منها يعرض تجارب دولة ما في مواجهة مشكلة بعينها لفائدة الدول الأخرى . والواقع أن القارىء المطلع على أدب المكتبات لا يملك وهو يتصفح هذا الكتاب جملة وتفصيلاً ، إلا أن يتنسَّم منه «عبير» اليونسكو والاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات (IFLA) وغيرهما من الجمعيات المكتبية الدولية . وكان هذا الشعور غير المنهجي بداية ممتازة لكشف بعض أسرار هذا الكتاب العجيب ! لذلك كان من المنطقي أن نبدأ رحلة البحث عن أصل هذه المقالات مع مجلة اليونسكو للمكتبات والمعلومات التي تصدر في باريس عن منظمة اليونسكو بعدة لغات إحداها بالإنجليزية .

وقبل الشروع في المقارنة خطر لنا خاطر آخر هو البحث أولاً في الطبعة العربية للمجلة التي كانت تصدر من القاهرة بعنوان «مجلة اليونسكو للمكتبات» ، على الرغم من أن الطبعة العربية لا تحتوي بالضرورة على جميع الأبحاث المنشورة في الطبعات الأخرى . ولكن الطبعة العربية لها ميزة مهمة جداً ، هي أنها قد تدلنا في آن واحد على بيانات المقالة الأصلية وبيانات الترجمة العربية . لنعرف إن كان البارودي قد نقل هذه الأبحاث عن أصولها الأجنبية ، فيكون له فضل الترجمة على الأقل ، أم أغار على جهد المترجم العربي أيضاً فتكون إساءة مضاعفة .

وكانت النتيجة مذهلة حقاً ، إذ لم يستلزم الأمر إلا تصفح عناوين الطبعة العربية لنكتشف بالأدلة الدامغة أن جميع مقالات الكتاب الست والخمسين منسوخة حرفياً من هذه المجلة ، وأن البارودي سمح لنفسه بالسطو على جهود عشرات الكتاب من سائر أرجاء العالم ، وجهود صفوة من المكتبيين العرب الذين ترجموا تلك الأبحاث إلى العربية ، وقد تمكنا بحمد الله من رد جميع مقالات الكتاب الست والخمسين إلى أصحابها كما هو مفصل أدناه .

ثالثاً : موارد الجزء الأول :

يضم الجزء الأول سبعاً وعشرين مقالة ، إليك بيانها وبيان أصحابها ومترجميها ومواضعها من الكتاب ومجلة اليونسكو للمكتبات ، مرتبة على ترتيبها في الكتاب . وسوف نشير بعد عنوان المقالة إلى موضعها من الكتاب ، ثم إلى موضعها من «المجلة» التي تعني في جميع الأحوال الطبعة العربية من مجلة اليونسكو للمكتبات (ويلاحظ أن المجلة تدل في جميع الأحوال على موضع المقالة من الطبعة الإنجليزية لمجلة اليونسكو) .

١ ــ يبدأ الكتاب بمقالة عنوانها «حاجة الدول النامية إلى الكتب» ١ : ٩-١٨ ، وهي منقولة حرفياً من مقالة دينان مالهوترا وعنوانها «مجاعة الكتب في الدول النامية» ، وقد ترجمها شعبان خليفة ونشرتها المجلة ٣ : ٨-١٧ (مايو ١٩٧١) .

٢ ــ ومقالة «بعض اللمحات التاريخية في إدارة التوثيق والمكتبات والأرشيف» المنشورة في الكتاب ١ : ١٩-٣٦ ، نسخها بتمامها من مقالة جوليان كاين «إدارة التوثيق والمكتبات والأرشيف» التي ترجمها فرحات بهجت توما ، ونشرت في المجلة ٧ : ٦-١٥ (مايو ١٩٧٢) ، مع تصرفات لا معنى لها في العنوان وبعض الكلمات في المتن والحواشي .

٣ ــ أما مقالة «الفهرسة الدولية» ١ : ٣٧-٥٠ ، فأصلها مقالة دورثي أندرسون «برنامج الاتحاد الدولي لجمعيات وهيئات المكتبات الخاص بالأوصاف الببليوغرافية المقننة» ، وقد ترجمها عوض توفيق عوض ونشرتها المجلة ٣٣ : ٦-١٧ (نوفمبر ١٩٧٨) ، ومسخ العنوان على ما ترى .

٤ ــ ومقالة «التحكم الببليوغرافي للمعلومات المعاد تسجيلها» ١ : ٥١-٦٢ ، هي لجوهانز فان درفوللك ، وترجمها أحمد كابش ونشرها في المجلة ١١ : ١٠-١٧ (مايو ١٩٧٣) .

٥ ــ ومقالة «دور المكتبي كببليوغرافي» التي جاءت في ١ : ٦٣-٦٩ من الكتاب ، أغار فيها على مقالة الكاتبة النيجيرية بيمبة أبوييد «المكتبي كببليوغرافي» المنشورة في المجلة ٧ : ٣٨-٤٣ (مايو ١٩٧٢) ، وترجمها عبد المنعم محمد موسى . وفي هذه المقالة بالذات تحديد لدور المكتبي في بيان المسؤولية الفكرية كان يجدر بالبارودي أن يعيه ويطبقه على نفسه ! وقد خلط البارودي بين المستخلص ونص المقالة .

٦ ــ ومقالة «التدريب المهني لأخصائي الأرشيف : مشكلات التحديث والتوفيق» ١ : ٧٠-٨٥ ، اختلسها من مقالة ليونل بل بعنوان «التدريب المهني لأمناء الوثائق» ، وقد ترجمها محمود

مصطفى الأعصر ونشرتها المجلة ٦ : ٣٠-٤٣ (فبراير ١٩٧٢).

٧ ــ ومقالة «التصنيف بعد ديوي : مراحل وتجارب» ١ : ٨٦-١٠٤ ، جاء بها من مقالة أريك دي جروليير «التصنيف بعد ديوي بمئة عام» التي ترجمتها سعاد حسن ونشرتها المجلة ٢٨ : ٢٠-٣١ (أغسطس ١٩٧٧) ، وغير العنوان كما ترى .

٨ ــ ومقالة «الأساليب الفنية لإعداد الفهارس الموحدة» ١ : ١٠٥-١٦٠ ، اقتبسها حرفياً من مقالة سيلفينر ويلمن التي ترجمها محمد المهدي ونشرتها المجلة ١٠ : ٣٨-٧٣ (فبراير ١٩٧٣) .

٩ ــ ومقالة «الفهرسة في المطبوع : نماذج عن برامج جديدة للفهرسة قبل النشر مع تعليقات» ١ : ١٦١-١٧٩ ، كتبها المكتبي الأمريكي الشهير فيرنر كلاب وترجمها عبد المنعم محمد موسى ونشرها في المجلة ١٢ : ٦-١٩ (أغسطس ١٩٧٣) . وقد أدخل البارودي تغييرات تافهة على العنوان ، وتصرف في بعض الحواشي للإعفاء على الأثر . ولكن اسم كلاب ورد سهواً كما يظهر في إحدى الحواشي ١ : ١٦١ .

١٠ و ١١ ــ مقالة «الفهرسة المشتركة والحصول على المواد المكتبية ذات القيمة من جميع أنحاء الدول» المنشورة في ١ : ١٨٠-٢٠٦ من الكتاب ، ومقالة «الفهرسة المشتركة : القسم الثاني» ١ : ٢٠٧-٢٣٣ ، سلبهما بحروفهما من مقالة هرمان ليبرز «الفهرسة المشتركة والحصول على المواد المكتبية ذات القيمة من جميع أنحاء العالم» التي ترجمها محمد المهدي ونشرت على دفعتين في المجلة (العدد ٥ ، ص ٢٦-٤٩ والعدد ٧ ، ص ١٦-٣١) . ومن المفهوم أن تنشر المقالات الطويلة في المجلات على أجزاء ، ولكن لا معنى لتجزئتها في هذا الكتاب إلا المغالاة في الأمانة العلمية ، أو أن سبكهما في مقالة واحدة طويلة يتطلب جهداً يخرج عن دائرة «الإعداد» !

١٢ ــ ومقالة «تطبيق نظام الترقيم القياسي الدولي للكتاب» ١ : ٢٣٤-٢٤٤ ، أغار فيها على مقالة كارل ولهلم نوباور التي ترجمها أحمد كابش ونشرتها المجلة ١٧ : ١٦-٢٣ (نوفمبر ١٩٧٤) .

١٣ ــ ومقالة «عرض لمشروع (نوسب) لفهرسة الدوريات بالمكتبات الإسكندنافية» ١ : ٢٤٥-٢٦٠ ، جاء بها من مقالة بورج برنهاردت «فهرس موحد للدوريات بالمكتبات الإسكندنافية : مشروع نوسب» التي ترجمها محمد المصري عثمان ونشرتها المجلة ٢٤ : ٥٢-٦٢ (أغسطس ١٩٧٦) ، وتصرف في العنوان على ما ترى .

١٤ ــ ومقالة «دوريات التوثيق وتوصيات المنظمة الدولية للقياس» ١ : ٢٦١-٣٠٠ ، استقاها من مقالة دنيس كوفنديّ «طريقة عرض دوريات التوثيق والمكتبات والأرشيف» ، التي ترجمها عوض توفيق عوض ونشرتها المجلة ٢٢ : ١٢-٤٣ (فبراير ١٩٧٦) .

١٥ ــ ومقال «تبادل البيانات الببليوغرافية للكتابات بغير الحروف الرومانية» ١ : ٣٠١-٣١٢ ، صاحبها هانز وليش (الصواب ويليش) التي ترجمتها عائدة نصير ونشرتها المجلة ٤١ : ٢٠-٢٨ (نوفمبر ١٩٨٠) .

١٦ ــ ومقالة «أهمية استخدام الأرشيف في مجال العلوم والتكنولوجيا» ١ : ٣١٣-٣٢١، استخلصها لنفسه من مقالة ف . أ . دولجيه التي ترجمتها ميرفت مصطفى عمر ونشرتها المجلة ٢٣ : ٥٤-٥٩ (مايو ١٩٧٦) .

١٧ ــ ومقالة «الأسماء البنغالية الإسلامية : مشكلات فهرستها وطرق حلها» ١ : ٣٢٢-٣٣٥ التي نص على اسم كاتبها ك . م . سيف الإسلام ، منقولة هي الأخرى من المجلة ٤١ : ٤٦-٥٥ (نوفمبر ١٩٨٠) ، وقد ترجمها فرحات بهجت توما . وقد طمس الإشارة إلى المترجم في الحواشي التي نقلها .

١٨ ــ ومقالة «النظام المتبع في حفظ الوثائق» ١ : ٣٣٦-٣٤٢ منسوخة ، مع اختصار بقية العنوان ، من مقالة أ . واجنر التي ترجمها محمود عباس حمودة ونشرتها المجلة ٤ : ٣٦-٤٣ (أغسطس ١٩٧١) .

١٩ ــ ومقالة «وظيفة الوثائق في الإدارة العامة» ١ : ٣٤٣-٣٤٨ مأخوذة بنصها وفصها من مقالة موريس ريجر التي ترجمها محمود مصطفى الأعصر ونشرتها المجلة ١٢ : ٦٦-٦١ (أغسطس ١٩٧٣) .

٢٠ ــ ومقالة «دور الوثائق في التربية» ١ : ٣٤٩-٣٦١ ، أصلها مقالة جي ديبوسك التي ترجمها حسن علي الحلوة ونشرتها المجلة ٣ : ٦٦-٧٧ (مايو ١٩٧١) .

٢١ ــ ومقالة «دور الوثائق والمدارس وعلاقتها من حيث إمكانياتها ومشكلاتها وحلودها» ١ : ٣٦٢-٣٧٨ ، استولى عليها من مقالة هانس ــ جوفيم بهر التي ترجمها محمود مصطفى الأعصر ونشرتها المجلة ١٧ : ٣٠-٤١ (نوفمبر ١٩٧٤) .

٢٢ ــ ومقالة «نظام لإعداد النشرات الإعلامية وكشاف الكلمات الدالة» ١ : ٣٧٩-٣٨٥ ، بغى فيها على مقالة ت . هوايت هول التي ترجمها مدحت محمود حلمي ونشرتها المجلة ١٣ : ٢٠-٢٥ (نوفمبر ١٩٧٣) ، وكان أصل العنوان «نظام متكامل غير آلي ...» وهو أكثر دلالة على مضمون المقالة .

٢٣ ــ ومقالة «تدريب مستخدمي المعلومات : البرامج ، المشكلات ، التوقعات» ١ : ٣٨٦-٤٠١ ، استمدها بكاملها من مقالة جاكس توكاتليان التي ترجمتها سامية محمد حسن محمد ونشرتها المجلة ٣٥ : ١٤-٢٣ (مايو ١٩٧٩) .

٢٤ ، ٢٥ ــ ومقالة «المكتبات التقنية الصغيرة ، القسم الأول : دليل للمكتبيين دون تدريب تقني» ١ : ٤٠٢-٤٤٥ ، سطا فيها على مقالة د . ج . كامبل التي تحمل العنوان ذاته ، وترجمها أحمد كابش ، ونشرتها المجلة ١٤ : ٤٢-٦٧ (فبراير ١٩٧) . أما القسم الثاني منها وعنوانه «المكتبات التقنية الصغيرة : دليل للمكتبيين الذين ينقصهم التدريب التكنولوجي» ١ : ٤٤٦-٤٦٨ ، فمنقول كذلك من المجلة ١٥ : ٢٦-٤١ (مايو ١٩٧٤) وقد ترجمه عبد الستار الحلوجي .

٢٦ ــ ومقالة «دور الأخصائي الموضوعي في مكتبة جامعية» ١ : ٤٦٩-٤٧٨ ، هي بالحرف مقالة ساريجيت ساندهو التي ترجمها جورج أمين جرجس ونشرتها المجلة ٢٠ : ٦-١٣ (أغسطس ١٩٧٥) .

٢٧ ــ ومقالة «مساعدات وخدمات أمناء المكتبات للمترددين إلى المكتبات» ١ : ٤٧٩-٥٠٣ ، غنمها من مقالة دافني كلارك التي ترجمها محمد جمال نوير ونشرتها المجلة ٣٦ : ٤٤-٥٧ (أغسطس ١٩٧٥) . وقد أدخل على العنوان تعديلات لا ضرورة لها وحذف إحدى الحواشي الدالة على المؤلف الحقيقي .

رابعاً : موارد الجزء الثاني :

أما الجزء الثاني فيحتوي على تسع وعشرين مقالة ، شأنها شأن مواد الجزء الأول ، وهذا بيانها مع ردها إلى أصحابها :

٢٨ ــ المقالة الأولى عنوانها «أهداف المكتبة العامة» ٢ : ٥-١٧ ، وهي منقولة من مقالة فرانك م . جارنر التي ترجمها فرحات بهجت توما ، ونشرتها المجلة ١٤ : ٣٤-٤١ (فبراير ١٩٧٤) .

٢٩ ــ وتليها مقالة بعنوان «الأدوات السمعية والبصرية والمكتبات العامة» ٢ : ١٨-٣٢ ، انتحلها من مقالة أنا ــ ماريا كيلبرج التي ترجمتها نفيسة جوهر ونشرتها المجلة ١٨ : ٣٢-٤٣ (فبراير ١٩٧٥) . ومما يستطرف بذكره أن الكاتبة ختمت مقالتها قائلة : «الأفكار الواردة في هذا المقال هي أفكار الكاتب ولا تعبر عن آراء إدارة البحث والتطوير بالمكتبة البريطانية ، ويوجه الكاتب شكره إلى ...» [٢ : ٣١] . إن من حقك أيها القارىء أن تظن ، اعتماداً على هذا النص وما قدمه البارودي من معلومات ببليوغرافية شحيحة ، أنه كان يعمل في المكتبة البريطانية !

٣٠ ــ ومقالة «الحجم المثالي لمجموعات المكتبة العامة العلمية» ٢ : ٣٣-٥٠ ، استولى عليها من مقالة جو ن . ستولجاروف التي ترجمها شعبان خليفة ونشرتها المجلة ١٣ : ٥٤-٦٥ (نوفمبر ١٩٧٣) .

٣١ ــ ومقالة «خطوط لشبكة آلية كبيرة للمكتبات العلمية» ٢ : ٥١-٧٠ ، استدخلها من مقالة كارل ف . ستوك التي ترجمها أحمد كابش ونشرتها المجلة ١٥ : ٥٠-٦٤ (مايو ١٩٧٤) ، ولكنه حذف كلمة «التمساوية» المهمة من نهاية العنوان .

٣٢ ــ ومقالة «المكتبات وتعليم الكبار» ٢ : ٧١-٩٠ ، كاتبها في الحقيقة هو فرانك جيسب ومترجمها أحمد كابش ، وهي منشورة في المجلة ١٦ : ٦-١٧ (أغسطس ١٩٧٤) .

٣٣ ــ ومقالة «دراسة تحليلية في علم المكتبات الدولي والمقارن» ٢ : ٩١-١٠٣ ، أخذها من مقالة نعيم الدين قرشي «علم المكتبات الدولي والمقارن : دراسة تحليلية» التي ترجمها صابر مريد نان ونشرتها المجلة ٤١ : ٧٤-٨٣ (نوفمبر ١٩٨٠) . ويلاحظ التغيير الطفيف الذي أدخله على العنوان بلا ضرورة .

٣٤ ــ ومقالة «أثر وظيفة الإرسال لمراكز التبادل القومية في التبادل القومي للمطبوعات» ٢ : ١٠٤-١٢٠ ، أتى بها من مقالة بيتر جينزل التي ترجمها عوض توفيق عوض ونشرتها المجلة ٢٥ : ٣٢-٤٣ (نوفمبر ١٩٧٦) . ويلاحظ أن المقالة تعالج القضية على أساس تجربة ألمانيا الشرقية !

٣٥ ــ ومقالة «النهوض بعمليات تبادل المطبوعات مع الدول النامية بإفريقيا : بعض المقترحات» ٢ : ١٢١-١٢٧ ، ما هي إلا مقالة ف . فانويجنجاردن التي ترجمتها ميرفت مصطفى عمر ونشرتها المجلة ٢٥ : ٤٤-٤٩ (نوفمبر ١٩٧٦) .

٣٦ ــ ومقالة «اختيار الكتب العلمية في مكتبات الكليات والمعاهد العليا في الدول العربية» ٢ : ١٢٨-١٣٨، ادعاها لنفسه من مقالة بهذا العنوان لجورج زعرور نشرتها المجلة ٨ : ٥٢-٥٩ (أغسطس ١٩٧١) ، وقد ترجمها محمد المهدي . وتصرف في بعض حواشي المترجم لينسبها إلى نفسه .

٣٧ ــ ومقالة «نظم معالجة واسترجاع المعلومات في الدول العربية : مداخل تقليدية وإمكانات حديثة» ٢ : ١٣٩-١٥٤، اغتصبها من مقالة محمد عبد الخالق مدكور المنشورة في المجلة ٤٢ : ٣٢-٥١ (فبراير ١٩٨١) .

٣٨ ــ ومقالة «متطلبات الأنظمة القومية للإعلام العلمي والفني» ٢ : ٥٥-١٦١ ، أخذها من مقالة ن . ب . أروتجونوف التي ترجمها مدحت محمود ونشرتها المجلة ١٦ : ٣٠-٣٥ (أغسطس

١٩٧٤) . وقد أدخل على العنوان تغييرات شكلية لا ضرورة لها .

٣٩ ــ ومقالة «دور المكتبات القومية في النظم القومية والدولية للإعلام» ٢ : ١٦٢-٢٠٦ ، التقطها من مقالة لوبومير دراماليف التي ترجمها عوض توفيق عوض ونشرتها المجلة ٢٧ : ٨-٣٣ (مايو ١٩٧٧) .

٤٠ ــ ومقالة «وسائل الإعلام في خدمة رجل الشارع» ٢ : ٢٠٧-٢٢٤ ، استلها من مقالة هـ . كامبل التي عربها عزيز منصور ونشرتها المجلة ١٦ : ٤٨-٥٩ (أغسطس ١٩٧٤) .

٤١ ــ ومقالة «معلومات العلوم الاجتماعية : دراسة عن المصادر» ٢ : ٢٢٦-٢٣٦، مسخها من مقالة جورجي روزسا التي ترجمها عوض توفيق ونشرتها المجلة ٣٤ : ٣٦-٤٤ (فبراير ١٩٧٩) . وخلط على عادته بين النص والمستخلص ، وغير فاتحة المستخلص التي كانت «لقد لخص المؤلف ...» لتصير «لقد لخص ...» لئلا يفهم القارىء أن هناك مؤلفاً غيره .

٤٢ ــ ومقالة «مشكلات الإعلام على المستويين القومي والدولي الناتجة عن تطور النظم التعليمية» ٢ : ٢٣٧-٢٨٠ ، جلبها من مقالة أعدتها سكرتارية اليونسكو (مكتب التربية الدولي) وترجمها عوض توفيق ونشرتها المجلة ٣٦ : ٢٠-٤٣ (أغسطس ١٩٧٩) .

٤٣ ــ ومقالة «المشكلات المتعلقة بإقامة وتشغيل شبكات الإعلام في الدول النامية» ٢ : ٢٨١-٢٨٩ ، هو فيها عالة على مقالة جايم روبريدو التي ترجمها محمد عادل يوسف ونشرتها المجلة ٢٦ : ٢٤-٢٩ (فبراير ١٩٧٩) .

٤٤ ــ ومقالة «النظم القومية للإعلام» ٢ : ٢٩٠-٣٠٤ ، تجدها بحروفها تقريباً في مقالة ستيفين جرين التي ترجمها فرحات بهجت توما ونشرتها المجلة ٢٩ : ٢٤-٣٧ (نوفمبر ١٩٧٧) . وقد اختصر العنوان اختصاراً مخلاً ، وخلط على ديدنه بين النص والمستخلص ، ولكن فاته أن يحذف اسم المؤلف من المستخلص كما فعل في الحالات المماثلة ، ولا أظن ذلك إلا سهواً منه .

٤٥ ــ ومقالة «متطلبات التدريب للعاملين مستقبلاً في مجال الإعلام» ٢ : ٣٠٥-٣١٨ ، منقولة من مقالة مارك ب . مارتالر التي ترجمتها نفيسة جوهر عبد الرحمن ونشرتها المجلة ٢٠ : ٤٢-٥١ (أغسطس ١٩٧٥) ، وعنوانها في الأصل «مستلزمات ...» .

٤٦ ــ ومقالة «دور التعويم في برامج تعليم وتدريب المستفيدين» ٢ : ٣١٩-٣٣٤ ، جاءت من مقالة «دور التقويم في برامج تعليم وتدريب المستفيدين «لبيتر تايلور التي ترجمها فرحات بهجت توما ونشرتها المجلة ٣٦ : ٥٨-٦٧ (أغسطس ١٩٧٩) . وورد «التعويم» هكذا في عنوان المقالة وفهرس المحتويات ، وهي تطبيع يدل تكراره على قلة العناية بإخراج هذا الكتاب .

٤٧ ــ ومقالة «دراسة علم الإعلام والتنمية» ٢ : ٣٣٥-٣٥٠ ، ليست إلا مقالة تيفكو ساراسيفيك ذات العنوان نفسه التي ترجمها عوض توفيق ونشرتها المجلة ٣٠ : ١٦-٢٥ (فبراير ١٩٧٨) .

٤٨ ــ ومقالة «البحث في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية وأنشطة الإعلام» ٢ : ٣٥١-٣٦٢ ، طواها من مقالة لوسي كلرمان ونيكي فوديونما التي ترجمتها سامية محمد حسن ونشرتها المجلة ٢٨ : ٢٢-٣٩ (أغسطس ١٩٧٧) . ولكنه اختصر العنوان الفرعي «الوضع الحالي في فرنسا» .

٤٩ ــ ومقالة «التشكيل المكتبي للريف : وظائفه وتنظيمه» المنشورة في ٢ : ٣٦٣-٣٧٨ من الكتاب ، منسوخة حرفياً من مقالة ف . أ . شار بهذا العنوان التي ترجمها فرحات بهجت توما ونشرها في المجلة ٨ : ٦-١٥ (أغسطس ١٩٧٢) ، مع الخلط كالعادة بين النص والمستخلص .

٥٠ ــ ومثلها مقالة «المواد السمعية والبصرية والمكتبات الريفية» ٢ : ٣٧٩-٣٩٠، إذ هي منقولة عن المجلة ٨ : ١٦-٢٣ (أغسطس ١٩٧٢) ، وهي من تأليف هـ . سوبرينو وترجمة شعبان خليفة .

٥١ ــ ومقالة «بعض التوصيات بشأن صلاحية الميكروفيلم» ٢ : ٣٩١-٤٠٥ ، هي في الأصل مقالة أعدتها هيئة تحرير المجلة في باريس وترجمها محمد عادل محمد يسري ونشرتها المجلة ٢٥ : ٢٠-٣١ (نوفمبر ١٩٧٦) .

٥٢ ــ ومقالة «الجوانب الفنية لحفظ الميكروفيلم في دور الوثائق» ٢ : ٤٠٦-٤٢٣ ، هي ذاتها مقالة ستيفين ج . هافرلينج التي ترجمها محمود مصطفى الأعصر ونشرتها المجلة ٢٠ : ٣٠-٤١ (أغسطس ١٩٧٥) .

٥٣ ــ ومقالة «مقتنيات المكتبة المدرسية : نموذج لتقدير التكلفة» ٢ : ٤٢٤-٤٤٠ ، أخذها من مقالة الفرد لوترمان التي ترجمتها ماري عزمي ونشرتها المجلة ٣١ : ١٨-٢٧ (مايو ١٩٧٨) .

٥٤ ــ ومقالة «القراء الصغار» ٢ : ٤٤١-٤٥٣ ، سلبها من مقالة جونتر هيجل التي ترجمتها هدى برادة ونشرتها المجلة ١ : ٦-١٥ (نوفمبر ١٩٧٠) .

٥٥ ــ ومقالة «دليل إعداد الأبحاث العلمية للنشر» ٢ : ٤٥٤-٤٦٣ ، أغار فيها على القواعد التي أعدتها اليونسكو وترجمها مدحت محمود ونشرت في المجلة ١ : ٨٤-٩١ (نوفمبر

١٩٧٠) ، وهو مثال عن السطو فريد : أن يسطو كاتب على أعمال اليونسكو !

٥٦ ــ والمقالة الأخيرة عنوانها «التفتيش على المكتبات» ٢ : ٤٤-٥٣ ، ومصدرها المقالة التي كتبها كارلوس فيكتور بنا وترجمتها هدى برادة ونشرت في المجلة ٤ : ٤٤-٥٣ (أغسطس ١٩٧١) .

فهذه موارد مقالات الكتاب وهي ست وخمسون : كلها مسلوخ ــ بالحرف الواحد في جميع الحالات تقريباً ــ من مجلة اليونسكو للمكتبات في طبعتها العربية التي كانت تصدر من القاهرة ، وبذلك فإن حجم العدوان مضاعف : الأفكار هي للمؤلف الأجنبي ، والنص العربي للمترجم المصري . وفي جميع الأحوال غمط اسم المؤلف والمترجم فلم يذكرهما بصريح العبارة تحت العنوان مباشرة ، وقد مرت بك أمثلة من تغيير بعض العبارات التي يفهم منها أن ثمة مؤلفاً غيره . ولكنه في ثلاث حالات (الأرقام ٩ ، ١٦ ، ٤٤) ترك ما يدل على اسم المؤلف ، دون المترجم ، في المستخلص أو الحاشية . ولا شك عندنا أن ذلك (أي ذكر المؤلف لا حذفه !) حصل من باب السهو والنسيان ، أو لعله كلف آخرين بإعداد الكتاب للطبع فلم يطبقوا تعليماته بالدقة اللازمة ، وبالطبع لا يستقيم في عقل ولا منطق أن يدعي لنفسه ثلاثاً خمسين مقالة ثم تدركه الأمانة فينسب ثلاثاً أخرى إلى أصحابها ، وليس في المقالات الثلاث من الخصوصية في المضمون والأسلوب ما يجعلنا نذهب إلى ظن آخر .

خامساً : قائمة البيليوجرافيا والمختصرات :

وتأتي في نهاية هذا الكتاب العجيب قائمة ببليوغرافية عنوانها «قائمة المراجع وأسماء المؤلفين» ، فيها بيانات باللغة العربية لتسعة وثلاثين مصدراً أجنبياً . وإن القارىء ليشعر ، وهو يقرأ مفرداتها ، بتنافرها وغرابتها وترتيبها بطريقة عشوائية . وبالرغم من ذلك فقد أسعدتني هذه القائمة لأول وهلة لأني ظننت أنها قائمة المقالات التي سطا عليها البارودي في الكتاب (مع غرابة تأجيل هذه البيانات إلى نهاية الكتاب وعدم النص عليها حيث تشتد الحاجة) . ولكن خاب ظني هنا أيضاً ؛ لأن عدد المداخل فيها أقل بكثير من عدد الأبحاث في الكتاب (تسعة وثلاثون في مقابل ستة وخمسين) ، ولأنه لم ينص في مفرداتها صراحة على أن بحث كذا ، الذي مضى بين صفحة كذا وكذا ، هو من تأليف فلان وقد نشر أصله في مجلة كذا . وأيضاً ليس في القائمة عناوين المقالات التي يتألف منها أصل الكتاب ، ولا أسماء القلة من المؤلفين الذين ذكرت أسماؤهم مع أبحاثهم . وهي ليست قائمة مراجع البارودي في تأليف الكتاب ، لأنه بيقين لم يؤلفه أصلاً . مراجع من هي إذن ؟ لقد وجدت بتتبع هوامش المقالات المنشورة في المجلة وهوامش كتاب البارودي ذاته أنه تلقط مفردات القائمة من حواشي المؤلفين الذين أغار عليهم ، ولم يكلف نفسه حتى مجرد ترتيبها بطريقة فنية سليمة . القائمة إذن مجرد أداة للتدليس على القارىء والإيحاء إليه بطريقة غير مباشرة بأن صاحب القائمة هو صاحب دراسات الكتاب .

وما قيل في قائمة المراجع يقال في قائمة المختصرات التي جاء بها في نهاية الكتاب ، فالغرض هو هو : أعني إيهام القارىء بأن هذه العشرات من الأبحاث خطها قلم واحد هو قلم البارودي . وبالطبع لا يعسر على من تصفح أبحاثاً بهذه الكثرة أن يجمع من متونها وحواشيها عدداً كبيراً من المختصرات ومعانيها ويفرغها في قائمة تطمئن القراء وتشعرهم بعلم المؤلف ومعرفته بلغة المكتبات ومصطلحاتها . وقد مر بك من مظاهر التعمية الأخرى ما يعزز هذا التفسير . وتحسن الإشارة إلى أنه نشر في أعداد متفرقة من مجلة اليونسكو للمكتبات عدد من قوائم الاختصارات المعربة ، ويترجح عندي أنه أغار عليها .

سادساً : التغيير في نصوص المقالات :

قد يظن ظان أن البارودي قد تصرف في هذه المقالات بما يعطيه على الأقل شبهة المشاركة العلمية ــ والحدود تدرأ بالشبهات ! ــ ولكن الواقع أنه لم يقدم شيئاً ولم يضف جديداً ألبتة ، مع أنه أدخل قليلاً من التعديلات والتغييرات هنا وهناك ، ولكن أكثرها جاء للتعمية وجر الرداء على الأثر ، وجاء بعضها لا معنى ولا مبرر له .

وبالطبع لا يتسع المقام لعرض جميع تصرفاته في جميع المقالات ولا فائدة من وراء ذلك ، ولكن نكتفي بسرد تصرفاته في مقالة واحدة اخترناها عشوائياً ، وهي القسم الأول من مقالة «الفهرسة المشتركة والحصول على المواد المكتبية ذات القيمة من جميع أنحاء الدول» (المشار إليها برقم ١٠) ، فهلم ننظر ماذا أضاف إليها :

١ ــ تغيير كلمة «العالم» في العنوان إلى «الدول» ، فصارت العبارة «في سائر أنحاء الدول» ، وهو تعبير غريب حقاً !

٢ ــ معلوم أن المترجمين المصريين ينقلون حرف "G" الإفرنجي إلى حرف الجيم العربي ، بينما يغلب على أهل الشام نقله غيناً ، كما في كلمة «ببليوجرافيا» المصرية و «ببليوغرافيا» الشامية . وبصرف النظر عن الأصوب منهما فإني أستغرب جداً أن البارودي ، الذي يظهر أنه لبناني ، لم يستخدم في هذا الكتاب كله إلا حرف الجيم في هذه الكلمة وعشرات الكلمات المماثلة . وهذه وحدها قرينة قوية على أنه لم يؤلف هذه المقالات ولم يترجمها .

٣ ــ خلط وهو ينسخ المقالة بين المستخلص الذي ورد في المجلة

بعد العنوان مباشرة مطبوعاً بحرف ثقيل على هيئة خاصة ، وبين نص المقالة ذاته ، فطبعهما في نسق واحد ، وقد تكرر هذا الخلط في مقالات أخرى كثيرة جداً ، ولست أفسر ذلك إلا بأنه لم يستطع أن يدرك أن هذا مستخلص وذاك نص المقالة ، أو أنه وكل «إعداد» الكتاب إلى من لا يفرق بينهما .

٤ ــ بدأ المستخلص بجملة «يقدم الكاتب» (ص ٢٦ ، سطر ٤) فغيرها إلى «نقدم» ، ولا تفسير لذلك إلا أنه يريد أن يكون هو الكاتب .

٥ ــ وجاء في المستخلص (ص ٢٦ ، سطر ١٠) كلمة «فارمنجون» وهي خطأ مطبعي صوابه المشهور «فارمنجتون» ــ وهي خطة أمريكية شهيرة لتزويد المكتبات الأمريكية بمطبوعات الدول الأخرى ــ ولكن البارودي أو أعوانه نقلوها بحروفها بالرغم من ورودها على الصواب في متن المقالة . ولعل هذه «بصمة» تدل على المتهم بطريقة لا تقبل الجدل !

٦ ــ وحذف جملة «وقد ظهر القسم الثاني من هذه الدراسة في العدد التالي من مجلة اليونسكو للمكتبات» (ص ٢٦ ، سطر ١٦) والحاشية الملحقة بها لئلا ينكشف مصدر المقالة ، وحسبك به دليلاً على النقل الحرفي غير المتبصر .

٧ ــ وغير حاشية تقول «حتى تاريخ نشر هذا المقال» (ص ٢٧ ، سطر (١) من أسفل) لتصير «حتى تاريخ كتابة هذا المقال» (والإشارة هنا إلى سنة ١٩٧٠ م) ، وكأنه يريد أن يوحي بأنه كتب هذه المقالة في تلك السنة المبكرة ، ولا حاجة إلى تفسير هذا الصنيع .

٨ ــ جاء في الأصل «انظر الببليوغرافيا الواردة بعد القسم الثاني من هذه الدراسة» ، وهذه العبارة موجودة عند البارودي ولكن الببليوغرافيا لا وجود لها .

٩ ــ وحذف حاشية تقول : «إن الكاتب إذ يشعر بالعرفان للمساعدة التي قدمت له ..» (ص ٢٨) : لأنها تشير إلى الكاتب ولو من بعيد .

١٠ ــ ومن أخطاء المترجم النحوية التي نقلها (بأمانة !) «وقد أدخلت تعديلات ثلاث» ، والصواب «ثلاثة» (ص ٣١ ، سطر ١٧) .

١١ ــ ومن الأخطاء المطبعية في المجلة كلمة «براو» التي صوابها «براون» (ص ٣٣ ، سطر ٣) ، وقد نقلها كما هي ، ثم نقل صيغتها الإنجليزية "Brown" على الصواب كما جاءت في المجلة . وحسبك دليلاً على النقل أنه يصيب ويخطىء تبعاً للمترجم .

١٢ ــ ومثلها كلمة «فيسبادن» المدينة الألمانية المعروفة : وقع فيها خطأ مطبعي في الأصل «فيسيادن» ، فنقله بأمانة !

١٣ ــ ونقل جدولاً بحذافيره وأرقامه من المجلة (ص ٣٣) مع المحافظة التامة على التفاصيل الطباعية وتوزيع الكلمات على الأسطر .

١٤ ــ ووردت كلمتا «عفار وعيسى» مرتين (وهما جمهورية جيبوتي حالياً) ولكن أمرهما اضطرب على المترجم فنقلهما في المرة الأولى بالحروف اللاتينية دون تعريب (ص ٣٤ ، سطر ٣)، وعربهما في الثانية «آفار وآيسار» (ص ٣٩ ، سطر ٢٢) . وفي كل ذلك تبعه البارودي حذو القذة بالقذة .

١٥ ــ وجاءت كلمة «سيلان» في المجلة والكتاب غير مرة ، وهي دليل واضح على السطو ، لأن اسم «سيلان» تغير إلى «سريلانكا» بين نشر المقالة في المجلة ونشرها في الكتاب !

١٦ ــ وأورد المترجم صوراً عديدة ، يبدو أنها ليست في الأصل الإنجليزي ، لثماني بطاقات فهرسة عربية من إعداد فرع مكتبة الكونغرس في القاهرة . ولكن البارودي اكتفى بثلاث منها مع أخطاء فنية شديدة في شكل البطاقات ومضمونها وأبعادها .

فهذه أمثلة على نصيبه الذي لا ينازع فيه من مادة الكتاب ، وليس فيها ما يرفع رأس صاحبه أو يشير إلى تضلعه في علم المكتبات والمعلومات الذي اجترأ على التأليف فيه .

سابعا : خاتمة :

لعل القارىء الكريم تبين له من هذا السرد المفصل أن الكتاب ما هو إلا حلقة من مسلسل السطو المادي والفكري الذي ابتليت به المكتبة العربية ، وأن صاحبه عبد الله عمر البارودي ، الذي وضع اسمه على غلافه واجتهد قدر طاقته ليستخلصه لنفسه ويمحو عنه آثار عشرات الكتاب والمترجمين من عرب وأجانب ، ليس له فيه نصيب قليل أو كثير . ولست أدري ما الذي يدفع إنساناً إلى ركوب هذا المركب الذليل :

ــ أهو الطمع المادي ؟

ــ أم الرغبة في مجرد التأليف ؟

ــ أم الظن بأن الناس لا يقرؤون ؟

ــ أم رغبة إنسان ما ، بحكم الوظيفة أو غيرها من الظروف ، في إلصاق نفسه بعلم من العلوم والدخول في زمرة المتخصصين فيه .

ــ أم وظيفة «مدير مركز الخدمات والأبحاث الثقافية» التي لابد معها من التعالم والتأليف في مجال ثقافي ؟

ــ أم ضعف حماية الحقوق الفكرية في البلاد العربية ؟

ولكني أعلم علم اليقين أن خسائره في النهاية أعظم من مغانمه ، بالغة تلك ما بلغت ، وأن القراء والباحثين سوف يكشفونه طال الزمن أم قصر ، وعندها يسقط اعتباره ومنزلته في عيون أنداده

ونظرائه من أهل هذا التخصص . والمأساة الكبرى في القضية كلها أن البارودي لو أحسن الاختيار وجمع مواده من مصادر عديدة وعزا كل مقالة إلى أصحابها وصرح بأن نصيبه في الكتاب هو مجرد الجمع والاختيار والتنسيق والإخراج ـــ لو فعل لاستطاع أن يقدم شيئاً مفيداً مهما كان قليلاً ويحتفظ بشرفه وأمانته ، ولكنه أراد أن يستأثر لنفسه بالفضل كله وهيهات !

ومما يستطرف بذكره ختاماً لهذا البحث أنه تحسر في مقدمة كتابه ـــ وإضافة الكتاب إليه هنا لا تدل على الملكية بالضرورة ـــ على وضع علم المكتبات في العالم العربي فقال : «إن علم المكتبات والأرشيف والتوثيق والإعلام في بلادنا العربية يحتاج إلى إعادة نظر من حيث النظم» ، ثم ختم سلسلة الدعاوي العريضة قائلاً : «إن هذا الكتاب ليس نظاماً بديلاً بالطبع ، فالمختص والقارىء يعلم ذلك ولاشك . وإنما هو مفيد للطالب في الإعلام وعلم المكتبات والتوثيق وعلم الاجتماع ومساعد للأستاذ في تدريس تلك المواد وسند للعامل في هذا الحقل . ويكفي للمهتم أن ينظر في فهرس الكتاب ليرى مدى أهمية هذا الكتاب وكثرة وغنى الدراسات التي حواها» ، وقديماً قالوا : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» .

وينبغي على الباحثين أن يحذروا هذا الكتاب وينبذوه ، إذ لا خير في عمل يقوم على السطو والخيانة ، ويجب ألا يرجع إليه المكتبيون في أبحاثهم ودراساتهم ، بل يعودون إلى مواده في أصولها ومظانها من مجلة اليونسكو للمكتبات ، وأن ينبهوا زملاءهم وطلابهم إلى ذلك .

وتحسن الإشارة ، وقد طالت هذه الرحلة غير الشيقة ، إلى كتابين آخرين للبارودي إياه : أحدهما ثمرة قرصنة فكرية بلا شك ، والآخر حري أن يكون كذلك أيضاً . أما الأول فهو تحقيق كتاب الأنساب لأبي سعد السمعاني (بيروت : دار الجنان ، ١٤٠٨/١٩٨٨) ، وهو كتاب موسوعي ضخم في خمسة مجلدات ، يحتوي على أسماء رواة الحديث وما يتصل بذلك من المعلومات التي يحتاجها علماء الحديث لتحقيق الأسانيد . ومعروف أن الكتاب نشرته دائرة المعارف العثمانية في الهند بتحقيق عبد الرحمن المعلمي رحمه الله ، وأنه بذل في ذلك جهداً عظيماً لا يستغرب منه وهو أحد أبرز جهابذة هذا العلم في القرن الهجري الرابع عشر . ولكن البارودي سرق جهده في التصحيح ومقابلة المخطوطات والتعليقات الثرة الثمينة في الحواشي ، إذ كتب على غلاف طبعته الشوهاء : «تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي» ! أما التعليقات فليس له فيها إلا فضل السطو ، وأما المقدمة فليس لها قيمة علمية ولكنه أشار فيها إلى عمله فقال : «أعتمد في تحقيق وإخراج هذه النسخة على النسخة التي قام بطبعها محمد أمين دمج ببيروت باعتبارها أضبط النسخ المطبوعة ولاعتماده أربع نسخ من الكتاب» . فلم يتكرم بمجرد الإشارة إلى المعلمي ولا دائرة المعارف العثمانية ، أما نسخة «محمد أمين دمج» فهي صورة بالأوفست من الطبعة الهندية ، ولعله نشرها بلا إذن من دائرة المعارف العثمانية ولا إشارة إليها . وما أعجب صنيع البارودي : يشير بأمانة إلى صاحب النسخة البيروتية المشبوهة ويغفل ناشر النسخة المحققة ومحققها !

أما الكتاب الآخر فعنوانه «المعجم العربي للمصطلحات المكتبية» (بيروت : عالم الكتب ، ١٠٤٣ هـ/١٩٨٣) ، وجاء في ٣١٩ صفحة . وتحدث في مقدمته الموجزة عن بعض الأعمال العربية المشابهة ولكنه أغفل الإشارة إلى «معجم المصطلحات المكتبية» لمحمد أمين البنهاوي رحمه الله . ويحتمل أن يكون البارودي قد بنى معجمه على ما ورد في المقالات التي سطا عليها مما أشير إليه أعلاه ، أو أنه أغار على معجم البنهاوي أو غيره . وهذه قضية أخرى نتركها للباحثين ، ولا سيما من مارس التأليف في مصطلحات علم المكتبات والمعلومات .

دراسات مختارة في المكتبات والتوثيق والإعلام

إعداد

عبد الله عمر البارودي

واقع المكتبات الطبية في الأردن

ربحي مصطفى عليان
الجامعة الأردنية

يسري أحمد عجمية
مؤسسة عبد الحميد شومان

مقدمة عامة

توجد أنواع مختلفة للمكتبات يمكن حصرها في الأنواع الرئيسية التالية :

المكتبات الوطنية National Libraries وتهدف إلى جمع الإنتاج الفكري الوطني للبلد وحفظه والتعريف به ، المكتبات العامة Public Libraries وتسعى إلى توفير مواد المعرفة وتقديم الخدمات المكتبية لكافة أفراد المجتمع ، وتشمل المكتبات العامة مكتبات الأطفال والمكتبات المتنقلة ، المكتبات الأكاديمية Academic Libraries ، وتشمل المكتبات المدرسية ومكتبات المعاهد والكليات والمكتبات الجامعية ، وطابعها العام التعليم والبحث في الدرجة الأولى ، المكتبات المتخصصة Special Libraries وتتبع المؤسسات المتخصصة في موضوع أو مجال معين وتقدم خدماتها عادة للعاملين المتخصصين في هذه المؤسسات . وهناك المكتبات الخاصة Private Libraries وهي المكتبات الشخصية أو مكتبات الأفراد . وأما مكتبات العلوم الطبية Medical Science Libraries فتعتبر نوعاً من أنواع المكتبات المتخصصة .

ويعود السبب في اختلاف المكتبات بعضها عن بعض ــ ومن ثم المكتبات الطبية ــ إلى عدة عوامل أو أسباب تتلخص في الأسباب التالية : اختلاف الأهداف والغايات والوظائف ، اختلاف المقتنيات والمصادر المتوفرة ، الاختلاف في طبيعة ومستوى الخدمات ، والاختلاف في الهيئات والمؤسسات الممولة والمشرفة على هذه المكتبات .

بشكل عام تتوافر الأنواع المختلفة للمكتبات في الأردن باستثناء المكتبة الوطنية والمكتبات المتنقلة . وتعتبر المكتبات الجامعية والمكتبات المتخصصة أكثر أنواع المكتبات تطوراً وازدهاراً في الأردن ، وذلك بسبب وعي الجهات المسؤولة عن هذه المكتبات لأهميتها من جهة ، ولتوفر الدعم المادي والمعنوي لهذه المكتبات من جهة أخرى . أما المكتبات المدرسية والمكتبات العامة فهي من أفقر أنواع المكتبات في الأردن ، وتعاني من مشكلات عديدة ، وهي غائبة عن الساحة في كثير من الأحيان . أما بالنسبة لوضع المكتبات الطبية في الأردن ، فهذا ما ستظهره نتائج الدراسة .

تهدف المكتبات بشكل عام والمكتبات الطبية بشكل خاص إلى تقديم عدد من الخدمات المكتبية والمعلوماتية لمجتمع المستفيدين منها من خلال الوظائف الأساسية التالية :

أ ــ جمع المعلومات من مصادرها المختلفة To Collect Information .

ب ــ تنظيم هذه المعلومات من خلال العمليات الفنية الخاصة بذلك To Organize Information .

ج ــ استرجاع المعلومات عند طلبها أو ظهور الحاجة إليها To Retrieve Information .

د ــ بث المعلومات من خلال الخدمات المكتبية والمعلوماتية المختلفة To Disseminate Information .

وتحتاج المكتبات للقيام بوظائفها المختلفة إلى عدد من المقومات الأساسية تتلخص فيما يلي :

١ ــ توفر مصادر للمعلومات Information Resources .

٢ ــ ميزانية كافية Budget .

٣ ــ كادر بشري مؤهل وبيئة مكتبية مناسبة مشجعة Professional .

وبالنسبة للعاملين في مجال العلوم الطبية فإنهم يحتاجون إلى المعلومات التي تتصف بالحداثة والشمولية ، وذلك لإشباع عدد من الحاجات لدى المتخصصين في المجالات الطبية المختلفة التي تتلخص في :

ــ معالجة مشكلة طبية روتينية .

ــ التعرف على طبيعة دواء معين .

ــ البقاء على اتصال مع أحدث التطورات في المجالات الطبية .
ــ كتابة بحث أو تقرير طبي .
ــ الحاجة إلى خلفية لموضوع طبي معين .
ــ التحضير لمؤتمر أو محاضرة أو ندوة طبية .
ــ التحضير للتخصصات وللامتياز أو للدراسات العليا .
ــ التعرف على ما تم إنجازه من قبل الزملاء في مجال التخصص .
ــ معلومات عن القوانين والأنظمة الخاصة بالمجالات الطبية .

وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بمكتبات العلوم الطبية بشكل عام ، وإلى التعرف على واقع مكتبات العلوم الطبية في الأردن من حيث : الموقع ، الأثاث ، الميزانية المخصصة ، العاملون ، المجموعات والخدمات بشكل خاص . كما تهدف الدراسة إلى تعرّف المشكلات التي تواجهها مكتبات العلوم الطبية في الأردن . ومن ثم إلى صياغة توصيات تسهم في تطوير هذه المكتبات ورفع مستواها .

المكتبات الطبية : Medical Libraries

لقد ظهر هذا النوع من المكتبات نتيجة طبيعية للاتجاه نحو التخصص في العلوم الطبية ، وكذلك لظهور المؤسسات والجمعيات والمنظمات والكليات المتخصصة في مختلف ميادين العلوم الطبية والعلوم الطبية المساندة . وقد بذلت محاولات متعددة لتعريف المكتبة الطبية ، ولم تنته المحاولات بعد ، بسبب طبيعة المكتبات المتخصصة بشكل عام والمكتبات الطبية بشكل خاص ، وعلى وجه العموم يمكن تعريف المكتبات الطبية بأنها تلك المكتبات التي تقتني مجموعة من المواد المكتبية ومصادر المعلومات المتخصصة في موضوع طبي معين أو عدة موضوعات طبية ذات علاقة ، وتقوم بتقديم الخدمات المكتبية والمعلوماتية للمتخصصين في حقول العلوم الطبية وللعاملين في المؤسسة الطبية التي تتبعها المكتبة ولغيرهم من المتخصصين في المجال ، وهذا التعريف يعني أن مكتبات العلوم الطبية تشمل :
أ ــ مكتبات المستشفيات بأنواعها المختلفة Hospital Libraries .
ب ــ مكتبات المؤسسات الطبية والصحية المختلفة .
ج ــ مكتبات الاتحادات والجمعيات والمنظمات الطبية والوطنية والدولية .
د ــ مكتبات الوزارات والدوائر الحكومية الخاصة بالصحة .
هـ ــ مكتبات الأطباء والمتخصصين في العلوم الطبية المختلفة Private Libraries .
و ــ مكتبات كليات العلوم الطبية Medical School Libraries.
ز ــ مكتبات مراكز البحوث والدراسات الطبية Medical Research Libararies .

وتمتاز المكتبات الطبية عن غيرها من المكتبات بما يلي :
أولاً : من حيث موضوع مقتنياتها ، فهي محصورة في العلوم الطبية ، وأحياناً في فرع من فروع العلوم الطبية موضع اهتمام المؤسسة الطبية الأم التي تتبعها .
ثانياً : من حيث المستفيدون Users ، فهم في الغالب من العاملين في المؤسسة الطبية التي تتبعها المكتبة ، وغالباً ما يكونون على درجة متقدمة من التعليم ومتخصصين في موضوع اهتمامها .
ثالثاً : من حيث المواد المكتبية والمقتنيات Collections فالمكتبات الطبية لا تهتم بالكتب كمصدر رئيسي للمعلومات ، بل تهتم بمصادر أخرى للمعلومات أكثر حداثة وأكثر تخصصاً وعمقاً في المعالجة الموضوعية كالدوريات المتخصصة مثلاً .
رابعاً : من حيث الخدمات Library Services ، يفترض في المكتبات الطبية أن تقوم بتقديم خدمات فنية وخدمات عامة أكثر عمقاً ودقة وتخصصاً وسرعة .

كما تتميز عن غيرها من المكتبات في الحجم ، فغالباً ما تكون هذه المكتبات صغيرة الحجم ، مع أن هذا ليس شرطاً ، حيث يوجد في بعض الدول المتقدمة مكتبات طبية وطنية أو مكتبات طبية تابعة لكليات الطب أو لوزارات أضخم بكثير من أنواع أخرى من المكتبات ، لكن غالبية المكتبات تكون صغيرة الحجم وتعاني الكثير خاصة في الدول النامية .
وبالنسبة لمجتمع المستفيدين من المكتبات الطبية فإنه يمكن حصره فيما يلي :
أ ــ الأطباء Physicians بغض النظر عن تخصصاتهم .
ب ــ الممرضات القانونيات والممرضات المساعدات Nurses .
ج ــ الباحثون Medical Researchers في مجال العلوم الطبية .
د ــ المخططون Planners ومتخذو القرارات في المجالات الطبية والصحية .
هـ ــ الإداريون Managers للمستشفيات والمراكز الطبية والصحية المختلفة .
ع ــ الأساتذة Teachers المدرسون للموضوعات الطبية في الكليات والجامعات .
ز ــ الصيادلة Pharmacists .

ويفضل أن تقع المكتبة الطبية في المبنى الرئيسي للمؤسسة التي تتبعها ، وأن تكون قريبة من الإدارة ومراكز البحوث والدراسات والنشاطات العلمية والثقافية والإعلامية المختلفة التي تقوم بها المؤسسة الطبية . ويفضل اختيار الموقع المناسب بحيث يسهل الوصول إليه من مختلف الأقسام والدوائر المتوفرة ، وينبغي أن يكون

موقع المكتبة الطبية بعيداً عن أماكن الضوضاء والإزعاج ، وأن يكون مؤثثاً بشكل جيد وتتوفر فيه كل التسهيلات اللازمة للقراءة والمطالعة والدراسة والبحث العلمي المتخصص .

وتهدف المكتبات الطبية بشكل عام إلى توفير المعلومة الطبية المناسبة وإيصالها إلى الشخص المناسب في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ، وتسعى المكتبة الطبية إلى تحقيق هذا الهدف العام من خلال القيام بالوظائف والعمليات التالية :

١ ــ توفير مجموعة مناسبة من مصادر المعلومات الطبية .
٢ ــ نشر المعلومات الطبية الجديدة والمطلوبة بين المتخصصين في المؤسسة ، وذلك من خلال إعداد الببليوغرافيا والكشافات والمستخلصات الطبية والنشرات الإعلامية وتوزيعها على ذوي الاهتمام .
٣ ــ تقديم الخدمات المكتبية والمعلوماتية المناسبة في مجال العلوم الطبية .
٤ ــ التعاون مع المكتبات الطبية الأخرى .

أما خدمات المكتبات الطبية الأساسية فتشمل ما يلي :

ــ خدمات الإعارة Circulation الداخلية والخارجية سواء الكتب أو الدوريات أو غيرها من المواد المكتبية ، وذلك وفق قواعد وإجراءات معينة .
ــ الخدمات المرجعية Reference Services والإرشادية المتخصصة ، سواء بشكل مباشر أو من خلال الهاتف أو بواسطة البريد أو أية وسيلة أخرى مناسبة .
ــ الخدمات الببليوغرافية Bibliographic Services المختلفة ، وذلك من خلال توفير وإعداد الأعمال الببليوغرافية الموضوعية .
ــ خدمات التصوير Photocoping Services بمختلف أشكالها .
ــ خدمة الترجمة Translation Services لبعض المواد المهمة المتوفرة بلغة أجنبية غير شائعة في المؤسسة التي تخدمها المكتبة .
ــ خدمات البث الانتقائي للمعلومات Selective Dissemination of information .
ــ خدمة الإحاطة الجارية Current Awareness .
ــ خدمات الاتصال المباشر بقواعد المعلومات Online Bibliographic Search .

وتقدم المكتبات الطبية خدماتها عادة بمستوى متقدم من السرعة والدقة والعمق ، ولهذا قامت بإدخال الحاسب الآلي إلى عملياتها وخدماتها في وقت مبكر مقارنة مع غيرها من المكتبات ، انطلاقاً من حرصها على تقديم المعلومة الطبية المناسبة في الوقت المناسب أكثر من حرصها على تقديم المادة المكتبية المناسبة .

ومن أجل ذلك تقوم المكتبات الطبية باقتناء مجموعات متخصصة من الكتب والدوريات والمراجع والنشرات والكتيبات والبحوث والتقارير والوثائق والأدلة والمطبوعات الأخرى في مجال التخصص . بالإضافة إلى مجموعات جيدة ومتنوعة من المواد السمعية والبصرية وخاصة الشفافيات وأشرطة الفيديو والشرائح والأفلام الثابتة والمتحركة ، وكذلك المصغرات الفيلمية مثل الميكروفيلم والميكروفيش .

ولكي تستطيع المكتبات الطبية تحقيق أهدافها وتقديم خدماتها المكتبية والمعلوماتية المختلفة بمستوى التقدم ، تحتاج إلى كادر بشري قادر على الاطلاع بهذه المسؤوليات . ولهذا يفترض في العاملين في هذه المكتبات أن تتوفر لديهم :

ــ مؤهلات علمية في علوم المكتبات والتوثيق والمعلومات .
ــ خبرة كافية في التعامل مع مصادر المعلومات الطبية .
ــ الاستعداد الشخصي والقابلية مع المتخصصين في مجال العلوم الطبية .
ــ الإلمام الكافي بلغة أجنبية واحدة على الأقل .

ويفضل أن يعمل في المكتبات الطبية عدد من المتخصصين الموضوعيين ممن لديهم خلفية عامة في العلوم الطبية مع المعرفة بالعمل المكتبي (Subjec Specialist) .

المكتبات الطبية في الأردن

تعتبر الحركة المكتبية في الأردن حديثة العهد نسبياً . إذ لم تؤسس المكتبات بمفهومها الحديث إلا مع حلول القرن العشرين حيث بدأت النهضة الحديثة للأردن في مختلف المجالات . أما قبل العشرينات من هذا القرن فتشير المصادر إلى أن الخدمات المكتبية بالمفهوم الحديث كانت غائبة عن الساحة الأردنية . ويمكن القول إن مرحلة الخمسينات من هذا القرن هي مرحلة متميزة في تاريخ الحركة المكتبية في الأردن ، حيث تم خلالها ظهور المكتبات بمختلف أنواعها في الأردن عام ١٩٦٢ م وتأسست كذلك جمعية المكتبات الأردنية عام ١٩٦٥ م التي قامت ولا زالت تقوم بدور مهم وبارز في دعم وتطوير الحركة المكتبية في الأردن بمختلف مجالاتها . وقد تميز عقد السبعينات بتطور المكتبات المتخصصة بشكل عام والمكتبات الطبية بشكل خاص .

لقد ظهرت أول مكتبة في العلوم الطبية في الأردن مع بداية الخمسينات ، وبالتحديد عام ١٩٥٣ وهي مكتبة كلية التمريض التابعة لوزارة الصحة ، وقد تطورت مجموعاتها خاصة في حقل التمريض ، وأصبحت تضم أكثر من ٨٦٠٠ كتاب و ٢٣ دورية ، وتشرف على المكتبة أربع موظفات ، ثلاثة منهن يحملن دبلوم

متوسط في علم المكتبات ، والأخرى تحمل التوجيهية ودورة في علم المكتبات . وتقدم المكتبة خدماتها من إعارة وخدمة مرجعية لأعضاء الهيئة التدريسية من أطباء وممرضات وممرضين وطلبة التمريض في الكلية .

ولم يبدأ التطور الحقيقي لمكتبات العلوم الطبية في الأردن إلا مع أوائل السبعينات عندما تأسست مكتبة الحسين الطبية عام ١٩٧٣ ومكتبة مستشفى الجامعة الأردنية في نفس العام التي ألحقت بمكتبة الجامعة الأردنية لتصبح قاعة مطالعة فرعية كقاعات المطالعة في كليات الطب والتمريض والصيدلة . وتشتمل هذه القاعات على ما يقرب من ١٢٤٦٠ كتاباً و ٧٢٣ دورية ، بالإضافة إلى أعداد من مواد أخرى غير الكتب ، ويشرف على هذه القاعات أربعة موظفين ، واحد منهم يحمل الدبلوم العالي في علم المكتبات والتوثيق ، وواحدة تحمل الدبلوم المتوسط في علم المكتبات ، وأخرى تحمل الدبلوم المتوسط في التربية الإسلامية والاجتماعيات ، والأخرى من حملة التوجيهي . وتقدم هذه المكتبات خدمات الإعارة الداخلية والخارجية والخدمات الإرشادية والمرجعية وإصدار الببليوغرافيات ، وكذلك إقامة المعارض والندوات والمحاضرات للمختصين في العلوم الطبية من طلبة أطباء وممرضين من داخل الجامعة وخارجها .

وفي عام ١٩٧٤ تأسست مكتبة نقابة الأطباء الأردنيين التي تضم (٢٠٠٠) كتاب و (١٠٠) دورية و (٦٨) مادة من مواد غير الكتب كالأفلام والأشرطة ، وتقدم خدماتها للأطباء المنتسبين للنقابة ولطلبة العلوم الطبية في الجامعات والمعاهد الطبية الأخرى ، وتشرف على المكتبة موظفة واحدة لديها دبلوم متوسط في علم المكتبات ، وتقتصر خدماتها على الإعارة والخدمة الإرشادية والمرجعية وإصدار الببليوغرافيات الموضوعية والمتخصصة أحياناً .

وفي عام ١٩٧٧ م تأسست مكتبة معهد المهن الطبية المساعدة التي عرفت فيما بعد بمكتبة مستشفى البشير ، ثم عادت إلى التسمية القديمة حديثاً ، وتحتوي هذه المكتبة على (١٥٠٠) كتاب و (٦١) دورية ، وتشرف عليها موظفتان : إحداهما تحمل الدبلوم المتوسط في علم المكتبات ، والأخرى تحمل الدبلوم المتوسط في الاجتماعيات ودورة في علم المكتبات ، وتقدم خدماتها من إعارة وخدمة مرجعية واستنساخ إلى الأطباء والعاملين في الحقل الطبي في مستشفى البشير ولطلبة المعهد أيضاً .

وفي الثمانينات ازداد عدد المكتبات الطبية ، حيث تأسست خمس مكتبات طبية : واحدة منها في مجال الأدوية وصناعاتها ، وثلاث منها في مجال التمريض ، والخامسة في موضوع الطب .

ففي عام ١٩٨٣ تأسست مكتبة الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية (اكديما) ، وتحتوي على (١٥٠٠) كتاب و (١١٥) دورية ، ويشرف عليها أمين مكتبة يحمل درجة البكالوريوس في الإدارة العامة ودبلوم الدراسات العليا في علم المكتبات والتوثيق ، وتقدم المكتبة خدماتها لموظفي الدوائر المختلفة في الشركة من صيادلة ومهندسين وإداريين واقتصاديين ، وتشمل هذه الخدمات الإعارة والخدمات المرجعية والإرشادية ، والاستنساخ وإصدار الببليوغرافيات الموضوعية . وفي العام ذاته تأسست مكتبة كلية التمريض في اربد التي تحتوي على (١١٠٠) كتاب و (٥٢) دورية ، وتشرف عليها موظفتان إحداهما تحمل الدبلوم المتوسط في علم المكتبات ، والأخرى لديها توجيهي ، وتقدم خدماتها لأعضاء الهيئة التدريسية للكلية من أطباء وممرضات وممرضين وطلبة .

وفي عام ١٩٨٥ تأسست مكتبة المستشفى الإسلامي التي تضم ١٤٠٠ كتاب و ٦٠ دورية وعدداً من الوسائل السمعية والبصرية . ويشرف عليها موظف واحد يحمل دبلوم اللغة الإنجليزية ودورة في علم المكتبات ، وتقدم خدماتها لأطباء المستشفى وطلبة مدرسة التمريض ، وتشمل هذه الخدمات الإعارة ، الاستنساخ ، الخدمة المرجعية ، ونشرات الإحاطة الجارية .

وبالرغم من وجود هذا العدد من المكتبات الطبية في الأردن ، إلا أن واقع الحال يشير إلى غياب هذه المكتبات عن عدد كبير من المستشفيات والمؤسسات الطبية المختلفة المنتشرة في ربوع الأردن ، بالرغم من أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به هذه المكتبات في دعم ومساندة الأنشطة الطبية المختلفة لهذه المؤسسات .

الدراسة

أهدافها وأهميتها :

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على واقع مكتبات العلوم الطبية في الأردن من حيث الموقع والمكان المخصص والأثاث ، الميزانية المخصصة ، العاملون ، والمقتنيات . كما تهدف إلى التعرف على طبيعة الخدمات التي تقدمها هذه المكتبات ، وعلى طبيعة المشكلات التي تواجهها . وتسعى الدراسة إلى تحقيق هذه الأهداف من خلال الإجابة عن التساؤلات الرئيسية التالية :

١ ـــ ما هو واقع مكتبات العلوم الطبية في الأردن ؟

٢ ـــ ما هي الخدمات المكتبية والمعلوماتية التي تقدمها مكتبات العلوم الطبية في الأردن للمستفيدين منها ؟

٣ ـــ ما هي المشكلات التي تواجهها مكتبات العلوم الطبية في الأردن ؟

وتأتي أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات ، لعل أهمها أنها من

الدراسات القليلة التي أجريت في الأردن حول موضوع مكتبات العلوم الطبية . بالإضافة إلى ذلك فإن نتائج هذه الدراسة تعتبر على درجة من الأهمية لأمناء مكتبات العلوم الطبية ولمتخذي القرارات والمسؤولين عن هذه المكتبات في الأردن ، وخاصة عند التخطيط لإنشاء وتطوير مكتبات طبية جديدة ، أو عند محاولة التخطيط لتطوير الأنشطة والعمليات والخدمات المكتبية والمعلوماتية التي تقوم بها هذه المكتبات .

أداة البحث :

حيث إن هذه الدراسة مسحية ، فقد تم استخدام الاستبيان كأداة رئيسية لجمع البيانات من عينة هذه الدراسة . وقد تكوّن الاستبيان من (١٤) سؤالاً تتناول واقع مكتبات العلوم الطبية المشاركة في الدراسة من جوانب مختلفة . وقد تم تطوير أداة البحث بعد الرجوع إلى عدد من الاستبيانات التي استخدمت لدراسات مشابهة . وقد عرض الاستبيان على عدد من المحكمين المتخصصين في علم المكتبات والعاملين في مكتبات العلوم الطبية للتأكد من شموليته وعدم احتوائه على أية أخطاء أو أسئلة مبهمة . وقد أخذت جميع الملاحظات بعين الاعتبار وتم إعداد الاستبيان وتوزيعه على عينة الدراسة .

وبالإضافة إلى الاستبيان فقد استخدمت المقابلات الشخصية Interviews ، والهاتفية مع أمناء المكتبات المشاركة في الدراسة كوسيلة لجمع المعلومات أو الإجابة على بعض التساؤلات . كذلك فإن الزيارات الشخصية Visits والملاحظات المباشرة Direct Observations لما يجري داخل بعض مكتبات العلوم الطبية في الأردن كانت وسيلة مساعدة لجمع المعلومات ، وبذلك تكون الطرق التالية قد استخدمت كأدوات لجمع المعلومات لأغراض هذه الدراسة .

أ ــ أسلوب الاستبيانات Questionnairs

ب ــ المقابلات الشخصية Interviews

ج ــ الزيارات والملاحظات المباشرة Observations

عينة الدراسة :

لا يوجد دليل شامل وحديث لمكتبات العلوم الطبية في الأردن ، ولهذا فقد تم الاعتماد على دليل المكتبات والمكتبيين في الأردن لعام ١٩٨٤ وعلى الاتصالات الشخصية للتعرف على المكتبات المتوفرة التي يمكن أن تشملها الدراسة . فقد تم التوصل إلى عشر مكتبات طبية في الأردن ، تتوافر في المستشفيات والمؤسسات الطبية وكليات العلوم الطبية المنتشرة في مختلف المناطق .

وقد تم توزيع الاستبيان على (١١) مكتبة طبية بعضها باليد والبعض بواسطة البريد . وبعد ثلاثة أسابيع تم الحصول على (٩) استبيانات صالحة لأغراض الدراسة ، أي بنسبة ٨٢٪ وهي من المكتبات التالية :

١ ــ مكتبة الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية (أكديما) .
٢ ــ مكتبة كلية الزرقاء للتمريض .
٣ ــ مكتبة كلية التمريض الأردنية .
٤ ــ مكتبة كلية التمريض ــ إربد .
٥ ــ مكتبة مديرية الرعاية الصحية .
٦ ــ مكتبة نقابة الأطباء .
٧ ــ مكتبة المستشفى الإسلامي .
٨ ــ مكتبة معهد المهن الطبية المساعدة .
٩ ــ المكتبات الطبية في الجامعة الأردنية .

الدراسات السابقة :

لم يحظ موضوع واقع مكتبات العلوم الطبية في الأردن بدراسات شاملة وجادة سابقاً . ففي عام ١٩٧٥ أعدّ استطلاع حول مكتبة مدينة الحسين الطبية بينت نتائجها أن المكتبة كانت تضم (١٠٠٠) كتاب في الموضوعات الطبية المختلفة وتشترك بـ (١٣) دورية أجنبية متخصصة . وكان في المكتبة ثلاث عاملات متدربات . أما خدماتها فكانت مقتصرة على الإعارة الداخلية والخارجية . وكانت المكتبة تعاني من فقر في المقتنيات التي كانت مقتصرة على مواد الكتب ، ومن غياب عدد كبير من الخدمات المكتبية والمعلوماتية ، ومن قلة عدد المستفيدين الحقيقيين ، ومن غياب التعاون مع المكتبات الأخرى، وأخيراً من النقص في عدد العاملين المتخصصين .

أما أول دراسة مسحية حقيقية في هذا المجال فقد أجريت عام ١٩٨٠ وقدمت كمشروع تخرج للحصول على درجة الدبلوم العالي في علم المكتبات والتوثيق من الجامعة الأردنية ، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع مكتبات الطب والتمريض في الأردن . شملت الدراسة (٦) مكتبات في حقل الطب والتمريض وغطت الجوانب التالية : العاملين ، المقتنيات ، الميزانية ، البناء ، الأثاث ، الخدمات الفنية ، خدمات القراء وجوانب أخرى من خلال استبيان خاص أعد لهذا الغرض . وقد بينت الدراسة أن واقع معظم هذه المكتبات غير مرض تماماً ، بل اعتبر في بعض النواحي سيئاً جداً إذا ما قورن بوضع مكتبات الطب والتمريض في البلدان المتقدمة ، وقد خرجت الدراسة بعدة اقتراحات وتوصيات من أجل تطوير مكتبات الطب والتمريض في الأردن .

أما دليل المكتبات والمكتبيين في الأردن لعام ١٩٨٤ فقد ضم

معلومات عن عدد من مكتبات العلوم الطبية هي : مكتبة الحسين الطبية ، ومكتبة مستشفى البشير ، ومكتبة نقابة الأطباء ، ومكتبة كلية التمريض ، ومكتبة مديرية الرعاية الصحية ، بالإضافة إلى مكتبة الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية . وقد أظهرت المعلومات أن أقدم هذه المكتبات هي (مكتبة كلية التمريض الأردنية) التي تأسست عام ١٩٥٣ م . أما الميزانية السنوية لهذه المكتبات فقد تراوحت ما بين ألف إلى خمسة آلاف دينار . وتراوح عدد المقتنيات من الكتب ما بين (٨٠٠) و (٢٦٠٠) كتاب معظمها بالإنجليزية . أما الدوريات فتراوحت ما بين ١٣ و ١٢٥ دورية متخصصة في العلوم الطبية . وقد بينت النتائج أن معظم العاملين في هذه المكتبات هم من غير المؤهلين . أما الخدمات التي تقدمها فهي تقليدية جداً ولا تتعدى الإعارة والخدمة المرجعية البسيطة .

وفي دراسة أجريت عام ١٩٨٦ حول استخدام الأطباء في الأردن لمصادر المعلومات الطبية وقدمت لنيل درجة الدكتوراه أظهرت النتائج ما يلي :

ــ تستخدم مصادر المعلومات والمكتبات الطبية لأغراض متعددة أهمها بالترتيب :

الاطلاع على أحدث التطورات في حقل التخصص ، التحضير للدراسات العليا أو التخصص ، حل أو معالجة مشكلة طبية ، الوصول إلى معلومات حول دواء معين . كذلك تستخدم المكتبات الطبية أحياناً لأغراض التدريس والبحث ، للتحضير لمؤتمر علمي ، وتستخدم نادراً للتعرف على جهاز طبي معين أو لمعرفة الإجراءات القانونية والحكومية في المجال الطبي أو للأغراض الإدارية .

ــ المجموعات الخاصة ، الكتب الطبية ، المجلات الطبية المتخصصة ، والمراجع الطبية هي المصادر الطبية الأكثر استخداماً من قبل الأطباء في الأردن وبالترتيب نفسه ، يتبعها الاتصالات المباشرة مع الزملاء والمؤتمرات الطبية والرسائل الجامعية والمواد السمعية والبصرية والإذاعة والتلفزيون والصحف .

ــ المكتبات الأكثر استخداماً هي المكتبات الخاصة ، وتتبعها المكتبة الطبية للمستشفى ، المكتبات الجامعية ، معارض ومراكز بيع الكتب ، مكتبات الزملاء الأطباء ، وأخيراً المكتبات الطبية الأخرى .

كذلك أظهرت نتائج الدراسة أن الأطباء الذين لديهم خبرة أقل يستخدمون المكتبات أكثر من زملائهم ذوي الخبرة الأطول ، وأن الأطباء المتخصصين يستخدمون المكتبات ومصادر المعلومات الطبية أكثر من زملائهم من غير المتخصصين ، وأن الأطباء المنشغلين بالتدريس أو البحث يستخدمون المكتبات الطبية أكثر من غيرهم . وكذلك أظهرت النتائج أن الأطباء الذين درسوا الطب باللغة الإنجليزية يستخدمون المكتبات ومصادر المعلومات الطبية أكثر من زملائهم خريجي الجامعات التي لا تدرّس الطب بالإنجليزية .

نتائج الدراسة

١ ــ واقع المكتبات الطبية من حيث الموقع والمكان للمكتبة والأثاث المكتبي :

الخطوة الأولى في إنشاء أية مكتبة تكمن في اختيار الموقع بحيث يكون في مكان متوسط يسهل على الجميع الوصول إليه ، كما أنه يجب أن يكون قابلاً للتوسع ، بالإضافة إلى ضرورة توفير التهوية والتدفئة والأثاث المكتبي المناسب من مناضد ومقاعد مريحة ورفوف جيدة .

وقد أظهرت الدراسة أن معظم مباني المكتبات الطبية لم تصمم أصلاً لتكون مكتبات ، فهي في معظمها غير مناسبة للوظيفة التي وجدت من أجلها ، كما أنها لا تستطيع تلبية احتياجاتها المستقبلية في التوسع . أما بالنسبة للتسهيلات الضرورية للمطالعة والبحث كالأثاث المناسب والتدفئة والتهوية والإضاءة الجيدة فهي نادراً ما تكون متوفرة .

من حيث الميزانية المخصصة : Budget

الميزانية عبارة عن كشف يبين المتوقع من الموارد المالية للمكتبة خلال فترة زمنية محددة عادة ما تكون سنوية ، وعلى ضوء الميزانية تقوم المكتبة بعمل برنامج مالي مفصل تحدد من خلالها أنشطتها وعملياتها وخدماتها المختلفة ، لهذا يجب إعطاء الميزانية أهمية كبيرة نظراً لدورها المهم في تنمية وتطوير المبنى والأثاث والمقتنيات ، وفي المساعدة على توفير الكوادر البشرية المؤهلة للعمل المكتبي .

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن غالبية هذه المكتبات لا يوجد لها ميزانية محددة ومستقلة ، بل هي جزء من ميزانية المؤسسة الأم ، وقد تراوحت الميزانية التي ذكرتها بعض المكتبات المشاركة في الدراسة ما بين (٥٠٠٠) إلى (٩٠٠٠) دينار أردني تقريباً ، كما أظهرت هذه الدراسة أن المخصصات المالية لغالبية هذه المكتبات غير كافية ، وأنها تحتاج إلى مزيد من الدعم والاهتمام حتى تتمكن من تلبية احتياجاتها والقيام بدورها بشكل جيد .

من حيث العاملون : Staff

تحتاج المكتبات بشكل عام والمكتبات الطبية بشكل خاص إلى مكتبيين مؤهلين Professionals قادرين على تحمل مسؤولياتهم ، متميزين بصفات مهنية وشخصية تؤهلهم للقيام بالأعمال الفنية

وغير الفنية الملقاة على عاتقهم ، لذا عند اختيار العاملين في المكتبات الطبية يجب مراعاة ضرورة توفر المؤهلات التالية :

١ ــ أن يكون مؤهلاً أكاديمياً في علم المكتبات أو التوثيق أو المعلومات .

٢ ــ أن يكون لديه خبرةفي العمل المكتبي .

٣ ــ أن يكون لديه ثقافة عامة وأخرى خاصة بالعلوم الطبية .

٤ ــ أن يكون ذا شخصية قادرة على التعامل مع المستفيدين .

وقد أظهرت الدراسة عدد العاملين في المكتبات الطبية المشاركة في الدراسة (٢٠) موظفاً منهم اثنان فقط (١٠٪) من حملة الدبلوم العالي للمكتبات والتوثيق ، واثنا عشر (٦٠٪) من حملة الدبلوم المتوسط في علم المكتبات ، وثلاثة ١٥٪ من حملة الدبلوم المتوسط في موضوعات أخرى ، وثلاثة (١٥٪) من حملة التوجيهي ودورة في علم المكتبات من الدورات التي تعقدها جمعية المكتبات الأردنية .

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة
دبلوم عالي مكتبات وتوثيق	٢	١٠٪
دبلوم متوسط مكتبات	١٢	٦٠٪
دبلوم متوسط موضوعات أخرى	٣	١٥٪
بكالوريوس موضوعات مختلفة	—	—
ثانوية عامة + دورة تدريبية	٣	١٥٪

من حيث المجموعات أو المقتنيات : Library Collections

تعتبر المقتنيات أو المواد المكتبية المتوفرة لدى المكتبات الطبية من الأمور الواجب مراعاتها عند إنشائها أو تقويمها ، ولهذا فإن عملية اختيار الكتب والمواد الأخرى تعتبر أساسية ومهمة .

ولتحقيق الأهداف المرجوة من المكتبة الطبية يجب اقتناء مجموعة جيدة من الكتب والدوريات ومواد أخرى غير الكتب ، مع التركيز على الدوريات ، لأنها تعتبر من أهم مصادر المعلومات الحديثة .

وقد أظهرت نتائج الدراسة المسحية والزيارات التي قام بها الباحثان لعدد من المكتبات الطبية أنها تحتوي على مجموعات فقيرة كماً ونوعاً من الكتب والدوريات والمراجع والمواد السمعية والبصرية ، بل إن بعضها يكاد يخلو في كثير من الأحيان من المواد السمعية والبصرية ، وبالنسبة للمكتبات الطبية المشاركة في الدراسة لا يوجد لدى أية واحدة منها سياسة خاصة ومكتوبة لتنمية المجموعات ، ويمكن ملاحظة ذلك من النتائج التي خرجت بها الدراسة .

وقد تراوح عدد الكتب المتوفرة في المكتبات الطبية المشاركة في الدراسة ما بين (١١٠٠) كتاب و (١٢٤٦٠) كتاب ، أما عدد الدوريات فقد تراوح ما بين (٢٣) دورية و (٧٢٣) دورية .

المكتبة	الكتب	الدوريات	مواد أخرى
الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية (اكديما)	١٥٠٠	١١٥	—
كلية الزرقاء للتمريض	١١٣٠	٣٦	—
مديرية الرعاية الصحية	١٣٠٠	١٩٥	—
كلية التمريض الأردنية	٨٦٠٠	٣٣	يوجد
كلية التمريض ــ إربد	١١٠٠	٥٢	
نقابة الأطباء	٢٠٠٠	١٠٠	
المستشفى الإسلامي	١٤٠٠	٦٠	يوجد
معهد المهن الطبية المساعدة	١٥٠٠	٦٠	يوجد
المكتبات الطبية/الجامعة الأردنية	١٢٤٦٠	٧٢٣	يوجد

من حيث الخدمات : Library Services

تتطلب الخدمات المكتبية في المكتبات الطبية ثلاثة متطلبات رئيسية لا يمكن للمكتبة الطبية أن تحقق أهدافها مع غياب هذه المتطلبات وهي :

١ ــ توفر المواد المكتبية الجيدة المنتقاة في كافة موضوعات العلوم الطبية .

٢ ــ توفير كادر بشري مؤهل قادر على القيام بإدارة وتنظيم واسترجاع هذه المعلومات .

٣ ــ خلق الجو المناسب للمطالعة والبحث .

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن جميع المكتبات الطبية مفهرسة ومصنفة ، أما أبرز الخدمات التي تقدمها هذه المكتبات فهي على النحو التالي :

الخدمات	التكرار	النسبة
الإعارة	٩	١٠٠٪
الإرشاد	٩	١٠٠٪
الخدمة المرجعية	٩	١٠٠٪
الاستنساخ والتصوير	٦	٦٧٪
إصدار الببليوغرافيات	٣	٣٣٪
إحاطة جارية	١	١١٪
البحث الآلي المباشر	—	—
البث الانتقائي للمعلومات	—	—
معارض	١	١١٪

تظهر النتائج أن جميع المكتبات الطبية في الأردن تقدم خدمات الإعارة والإرشاد والخدمة المرجعية ، وهذه خدمات تقليدية لابد من توفرها في أية مكتبة و ٦٧٪ منها تقدم خدمات الاستنساخ و ٣٣٪ تصدر ببليوغرافيات و ١١٪ فقط تصدر نشرات إحاطة جارية و ١١٪ تقيم معارض وندوات ومحاضرات .

ويلاحظ من هذه النتائج أن الخدمات التي تقدمها المكتبات الطبية المشاركة في الدراسات خدمات تقليدية ، وحتى هذا النوع من الخدمات نجدها غائبة عن عدد منها ، أما الخدمات المكتبية المتقدمة التي تعتبر أساسية ومهمة في المكتبات المتخصصة عموماً والمكتبات الطبية خصوصاً مثل خدمة البث الانتقائي للمعلومات ، الإحاطة الجارية ، الاستخلاص ، التكشيف ، الترجمة وخدمات البحث الآلي المباشر للمعلومات فهي غائبة تماماً عنها بالرغم من أهميتها القصوى للأطباء ولكافة العاملين في قطاع العلوم الطبية ، حيث إن ما يكتب في الموضوعات الطبية يفوق كل ما يمكن حصره أو معرفته وحصول المستفيدين على المعلومة بيسر وسهولة أمر في غاية الأهمية ، لما في ذلك من اختصار للوقت والجهد .

التوصيات

من أهم التوصيات التي يوصي بها الباحثان بالإضافة إلى التوصيات المدرجة أدناه : ضرورة توفر مكتبة طبية أو مركز معلومات طبية في كل مستشفى أو مؤسسة طبية أو صحية في الأردن ، لتقوم بتقديم الخدمات المكتبية والمعلوماتية المناسبة لمجتمع العاملين في هذه المؤسسات :

الموقع والمبنى :

ــ المبنى يجب أن يكون معداً مسبقاً ليكون مكتبة طبية .

ــ يجب أن يكون موقع المكتبة متوسطاً ويمكن الوصول إليه بسهولة من قبل المستفيدين .

ــ يجب أن تكون هناك مساحة واسعة للكتب والمواد الأخرى لأغراض المطالعة والقراءة والبحث ، وكذلك مكاتب للعاملين فيها .

ــ إمكانية التوسع المستقبلي للمكتبة .

ــ ضرورة توفر الأثاث المكتبي المناسب والأجهزة الأخرى اللازمة .

ــ يجب استشارة أحد المكتبيين المؤهلين في المجال عند القيام بالتخطيط لإنشاء المكتبة الطبية وتجهيزها .

٢ ــ الميزانية :

ــ ميزانية المكتبة يجب أن تدرس وتؤخذ بعين الاعتبار كجزء من الميزانية العامة للمؤسسة الطبية .

ــ يجب أن يعدَّ الميزانية مكتبي مؤهل ويرفعها للإدارة .

ــ يجب أن تضم الميزانية مخصصات العاملين ، المواد المكتبية المطبوعة وغير المطبوعة ، النسخ والتصوير ، الأجهزة والأثاث المكتبي ، وكذلك نشاطات التعاون المختلفة كالإعارة المتبادلة مثلاً .

ــ يجب أن تتزايد القيمة المخصصة سنوياً .

٣ ــ العاملون :

ــ ضرورة توفر مكتبي مؤهل من جامعة معترف بها لتقديم الخدمات المكتبية .

ــ ضرورة توفر عدد من المكتبيين المتدربين .

ــ أن يكون لدى المكتبيين معرفة كافية بحاجات العاملين من المعلومات الطبية .

ــ ضرورة القيام بالأعمال المكتبية المختلفة : التزويد ، الفهرسة والتصنيف ، الإجابة على الأسئلة المرجعية هاتفياً ، الإعارة الداخلية والخارجية ، تطوير السياسات وإجراءات العمل في المكتبة ، دراسة الحاجات ، إعداد الميزانية وتقديم التقارير للإدارة وكذلك حفظ السجلات والإحصاءات .

ــ ضرورة توفير الدورات والبعثات الخاصة بتأهيل وتطوير كفاءات المكتبيين العاملين في المكتبات الطبية للاطلاع على أحدث ما طرأ من تطورات في علم المكتبات والمعلومات تمكنهم من تقديم أفضل الخدمات للمستفيدين .

ــ تشجيع المختصين في العلوم الطبية على دراسة علم المكتبات والمعلومات تمكنهم من القيام بالخدمات المعلوماتية المتقدمة للمستفيدين كالاستخلاص والتكشيف والترجمة وغيرها من خدمات استرجاع المعلومات .

٤ ــ المصادر المكتبية :

ــ ضرورة توفر مجموعات حديثة من :

أ ــ الكتب والأعمال المرجعية الطبية .

ب ــ الدوريات والكشافات والمستخلصات الطبية المتخصصة مع التركيز على الدوريات .

ج ــ مواد سمعية وبصرية .

د ــ مواد أخرى كالمصغرات الفيلمية .

ــ يجب أن تكون هناك سياسة مكتوبة وثابتة لتنمية المجموعات كي لا يطغى موضوع على آخر ، وأن يكون رسم الخطة حسب حاجة المؤسسة ، سواء كانت تعليمية أو علاجية أو للبحوث .

ــ يجب أن تضم المجموعات كتباً ومراجع ودوريات باللغة العربية والأجنبية .

ــ يجب أن تفهرس المجموعات وتصنف وترتب على الرفوف بحيث يسهل استخدامها من قبل المستفيدين .

٥ ــ الخدمات المكتبية :

يجب على مكتبة العلوم الطبية أن تقدم الخدمات التالية :

ــ إعارة داخلية وخارجية وإعارة متبادلة مع المكتبات الأخرى .
ــ إرشاد وتدريب المستفيدين على استخدام المكتبة ومصادرها .
ــ إعداد الكشافات والمستخلصات والببليوغرافيات الموضوعية عند الحاجة .
ــ البحث العلمي من خلال الكشافات والمستخلصات والببليوغرافيات والحاسب الآلي .
ــ خدمات الإحاطة الجارية والبث الانتقائي للمعلومات .
ــ خدمة الترجمة .
ــ خدمة التصوير بأشكالها المختلفة .

٦ ــ التعاون :

حيث إنه من المستحيل على أي مكتبة اقتناء كل المواد التي يمكن أن تحتاجها ، لذا لابد من وجود صيغ للتعاون بين هذه المكتبات على المستوى المحلي والوطني وعلى المستوى العربي ثم على المستوى العالمي ، وهذا ما يدعو إلى ضرورة تطوير المكتبة الطبية الوطنية في الأردن لتقوم بما يلي :

١ ــ جمع وحفظ الإنتاج الفكري الوطني وكذلك الإنتاج العالمي في الموضوعات الطبية .
٢ ــ إعداد برامج تدريب أثناء الخدمة للعاملين في المكتبات الطبية
٣ ــ إنتاج الكشافات والببليوغرافيات الطبية .
٤ ــ تنسيق التعاون بين المكتبات الطبية في الأردن .

٧ ــ إنشاء قاعدة معلومات طبية عربية :

هناك حاجة ماسة في العالم العربي بالدرجة الأولى إلى تحليل وتيسير متابعة الباحثين للمعلومات التي يحتاجون إليها في إجراء بحوثهم من الإنتاج الفكري الطبي العربي ، وهذا يتطلب ضرورة تحليل الإنتاج الفكري بصفة عامة . تحليل الإنتاج الفكري المتضمن في الدوريات الطبية العربية ، وتحليل كامل الإنتاج الفكري الطبي العربي القديم منه والحديث والمنشور في جميع الدوريات الطبية العربية .

إن إنشاء هذه القاعدة يساعد في إصدار :

١ ــ كشاف جارٍ للإنتاج الفكري الطبي العربي مثل الكشاف الطبي .
٢ ــ ببليوغرافيات موضوعية يكون في تجميعها ونشرها فائدة للباحثين في الطب داخل المنطقة العربية أو خارجها .
٣ ــ ببليوغرافيات بناء على طلب من الباحثين .
٤ ــ فهرس جارٍ بالكتب الموجودة في المكتبات الطبية في الوطن العربي .
٥ ــ قائمة موحدة بالدوريات الموجودة في المكتبات الطبية العربية .

وهناك مجالات أخرى للتعاون كالإعارة المتبادلة ، مشاركة المصادر ، التصوير ، التزويد ، التخزين وغيرها .

٨ ــ إدخال الحاسوب وتقنية المعلومات في المكتبات الطبية في الأردن :

نظراً لانفجار المعلومات وزيادة الإنتاج الفكري أصبح النشر العلمي من أنشط المجالات التي تهدف إلى تشجيع البحث العلمي ، ولتسهيل مهمة الباحثين في الوصول إلى المعلومة بأسرع وقت وأقل جهد ، لذا فإن استخدام الحاسوب في المكتبات بشكل عام والمكتبات الطبية بشكل خاص أمر في غاية الأهمية ، نظراً لما تقوم به هذه التقنية الحديثة في تسهيل الخدمة المكتبية من خزن واسترجاع للمعلومات بطريقة آلية ، وكذلك لتسهيل مهمات الاتصال ببنوك المعلومات العلمية العالمية مثل MEDLARS .

المصادر

أبو عجمية ، يسري . دليل المكتبات والمكتبيين في الأردن/يسري أبو عجمية ، محمد مهيدات وعمر حمادنة .ــ عمان : (المؤلفون) ، ١٩٨٢ .

شبيطة ، فوزي . استطلاع حول مكتبة مدينة الحسين الطبية . رسالة المكتبة (حزيران ١٩٧٥) .

ماونت ، الس . المكتبات المتخصصة/الس ماونت : ترجمة علي سليمان الصوينع .ــ الرياض : معهد الادارة العامة ، ١٤٠٧ هـ .

نظم وخدمات المعلومات الطبية/إعداد شوقي سالم ... (وآخرين) : تحرير شوقي سالم .ــ الكويت : المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية ، ١٩٨٦ .

ALA Encyclopedia of library and Information Science. Chicago: ALA, 1980.

Abu Ajamieh, Yusra. Survery on the Status of the Medical and Nursing Libraries in Jordan.- Granduation Project. University of Jordan, 1980.

Ellayan, Ribhi. The Use of Medical Information Resources by Practicing Physicians of Selected Hospitals in Jordan. Ph. D. Thesis. University of Pittsburgh, 1986.

دراسة تحليلية للإنتاج الفكري العربي* في مجال المكتبات والمعلومات الصادر عام ١٩٨٧م

محمد فتحي عبد الهادي
أستاذ المكتبات في قسم المكتبات والوثائق
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١ . تمهيد :

صدرت عدة أدلة ببليوجرافية تعمل على حصر الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات ، منها ما يحصر الإنتاج في دولة معينة ، أو ما يحصره في مكتبة معينة ، أو في فترة زمنية محددة ، أو في موضوع بعينه من موضوعات المكتبات والمعلومات ، أو في شكل معين من أشكال أوعية المعلومات[١] . على أن أهم الأدلة وأكثرها شمولاً واستمراراً في التغطية هو «الدليل الببليوجرافي للإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات»[٢] الذي يحصر الإنتاج الفكري العربي ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حتى نهاية عام ١٩٨٧ وذلك في إصدارات متنوعة .

وقد نبه هذا الدليل بصفة عامة إلى مدى تزايد الإنتاج العربي في هذا المجال وخاصة في السنوات الأخيرة ، فضلاً عن تعدد أشكال الإنتاج وتنوع موضوعاته . وبالرغم من أن هناك دراسات قليلة تعمل على تحليل هذا الإنتاج الفكري إلا أنها ليست دراسات شاملة ، فهي إما تحلل ما صدر في مكان أو أماكن معينة أو في موضوع محدد[٣] . ولم تعدّ بعد الدراسة التي تحلل هذا الإنتاج جملة أو في فترة زمنية محددة ، ولذلك تهدف هذه الدراسة إلى محاولة تحليل الإنتاج الفكري الصادر في سنة واحدة [١٩٨٧] كاستطلاع أو كمقدمة للتحليل الشمولي الذي يأمل الباحث القيام به . ومن ناحية أخرى فإن هذه الدراسة تحاول التعرف على ملامح هذا الإنتاج واتجاهاته في الثمانينات كما تمثله سنة ١٩٨٧ .

وتعتمد هذه الدراسة في بياناتها على الدليل الببليوجرافي للإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات (١٩٨٧)[٤] ، وتتناول الدراسة النواحي العددية والنوعية ، فضلاً عن اتجاهات التأليف والترجمة والنشر وما يتصل بها ، ثم التوزيعات اللغوية والجغرافية والموضوعية ، وتنتهي الدراسة بخلاصة تسجل أهم النتائج العامة .

٢ . حجم الإنتاج الفكري :

يسجل الدليل ٥١٨ قطعة أو وعاء معلومات ، وتغطي الأدلة السابقة الإنتاج على النحو التالي :

الفترة	العدد
١٨٨٠ — ١٩٧٦	٤٠٢٠
١٩٧٦ — ١٩٨٠	٢٠٠٠
١٩٨١ — ١٩٨٥	٣١٤٠
١٩٨٦	٤٨٨
وإذا أضفنا ١٩٨٧	٥١٨
فإنه يصبح مجموع الإنتاج	١٠١٦٦

وذلك يشير إلى أن الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات يزيد على عشرة آلاف وعاء معلومات على امتداد حوالي مائة عام ، وقد شهدت السنوات الأخيرة تزايداً واضحاً في حجم هذا الإنتاج ، فإن ما أنتج في الفترة من ١٩٨١ — ١٩٨٧ (٤١٤٦ وعاء معلومات) أكثر مما أنتج منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٧٦ ويمثل حوالي ٤٠٪ من مجموع الإنتاج . ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الإنتاج يتزايد من فترة إلى أخرى بالنظر إلى الأرقام التالية :

السنة	عدد القطع
١٩٤٧	١٤
١٩٥٧	٣٠
١٩٦٧	١٢٤
١٩٧٧	٣٥٩
١٩٨٧	٥١٨

٣ . أنواع أوعية المعلومات :

يوضح جدول رقم (١) : أنواع أوعية المعلومات .

جدول (١) : أنواع أوعية المعلومات

النوع	العدد	النسبة المئوية
كتب	٦٥	١٢,٥٪
كتيبات	٦	١,٢٪
رسائل جامعية	١٤	٢,٧٪
دوريات	٢	٠,٤٪
فصول من كتب	١	٠,٢٪
مقالات	٢٩٣	٥٦,٦٪
دراسات مؤتمرات	١٣٧	٢٦,٤٪
المجموع	٥١٨	١٠٠٪

ويمكن أن نسجل على هذا الجدول الملاحظات التالية :

أ . إن أوعية المعلومات المستقلة (٨٧ قطعة) أقل بكثير من أوعية المعلومات غير المستقلة (٤٣١ قطعة) وهذه ظاهرة طبيعية أو مألوفة في معظم المجالات العلمية وخاصة المجالات العلمية الناشئة ، مثل مجال المكتبات والمعلومات . على أن الملفت للنظر هو عدم تسجيل الدليل الببليوجرافي لأي مواد سمعية بصرية أو مصغرات . وقد يكون السبب هو عدم وجود وسائل أو أدوات تساعد على حصر هذه المواد ، أو أنها لا تنتج إلا في أحوال قليلة .

ب . من الطبيعي أن تأتي مقالات الدوريات في المرتبة الأولى بنسبة عالية إلى حد ما وهي ٥٦,٦٪ .

وتتوزع المقالات على ٢٩ دورية على النحو التالي :

جدول (٢) توزيع المقالات على الدوريات[٥]

رقم مسلسل	الدورية	عدد المقالات
١	الرسالة الإخبارية للشبكة العربية للمعلومات	٤٣
٢	المجلة المغربية للتوثيق	٣١
٣	مجلة المكتبات والمعلومات	٣٠
٤	رسالة المكتبة	٢٨
٥	عالم الكتاب	٢٧
٦	عالم الكتب	٢٥
٧	رسالة المعلومات	٢٣
٨	الناشر العربي	١٤
٩	صحيفة المكتبة	١٣
١٠	التوثيق الإعلامي	١٢
١١	مكتبة الإدارة	١٢
١٢	المجلة العربية للمعلومات	١١
١٣	العلم والمجتمع	٤
١٤	عالم الفكر	٣
١٥	المجلة العربية للثقافة	٢
١٦	ENSTINET Newsletter	٢
١٧	رسالة الخليج العربي	١
١٨	المجال	١
١٩	الفيصل	١
٢٠	التوثيق التربوي (الرياض)	١
٢١	العصور	١
٢٢	النشرة الإخبارية للجمعية المصرية للمعلومات	١
٢٣	التقييس	١
٢٤	النشرة الإخبارية للأكاديمية العربية للنقل البحري .	١
٢٥	تاريخ العرب والعالم	١
٢٦	Library Times	١
٢٧	المدير العربي	١
٢٨	رسالة التربية (عُمان)	١
٢٩	التربية (الإمارات)	١
	المجموع	٢٩٣

ويبين جدول (٢) مدى إسهام الدوريات على النحو التالي :

	دوريات	عدد المقالات	النسبة المئوية
٣٠ مقالة فأكثر	٣	١٠٤	٣٥,٥٪
٢٠ ــ ٢٩ مقالة	٤	١٠٣	٣٥,٢٪
١٠ ــ ١٩ مقالة	٥	٦٢	٢١,١٪
من ١ ــ ٩ مقالات	١٧	٢٤	٨,٢٪

ويوضح هذا التوزيع أن سبع دوريات أسهمت بنسبة ٧٠,٧٪ بينما أسهمت بقية الدوريات [٢٢ دورية] بنسبة ٢٩,٣٪ مما يشير

إلى تشتت في الإنتاج الفكري ، ويمكن النظر إلى الدوريات من ١ إلى ١٢ على أنها الدوريات الأساسية في تخصص المكتبات والمعلومات ، فقد نشرت هذه الدوريات المتخصصة ٢٦٩ مقالة [من مجموع ٢٩٣] بنسبة ٩١,٨٪ .

ويوضح جدول (٢) أن دوريات التخصص هي ١٦ دورية ، ومن ثم فإن عدد الدوريات «العامة» أو الدوريات في تخصصات أخرى التي تنشر مقالات في مجال المكتبات والمعلومات هو ١٣ دورية ، وتتوزع الدوريات في الفئة الثانية على النحو التالي :

تربية	٣	تاريخ	٢
علوم	٣	إدارة	١
عامة	٣	ثقافة	١

وقد ساهمت دوريات غير التخصص بـ ١٩ مقالة فقط ، علماً بأن بعض هذه المقالات له قيمة بالنسبة للدارسين في مجال المكتبات والمعلومات ومن أمثلتها :

ــ بنوك المعلومات التقنية : التخزين والاسترجاع والانتفاع بالمعلومات الصناعية والهندسية/د . ايه بلاكيبرن ؛ المترجم أحمد عباس مبروك .ــ العلم والمجتمع .ــ ع ٦٨ (سبتمبر/نوفمبر ١٩٨٧) .ــ ص ٢١ ــ ٣١ .

ــ مفاهيم أساسية حول تقنية المعلومات/عبد الإله الديوه جي .ــ عالم الفكر .ــ مج ١٨ ، ع ٣ (أكتوبر/ديسمبر ١٩٨٧) .ــ ص ٢١ ــ ٥٨ .

ــ التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف/ناصر عبد الله سلطان البركاتي .ــ العصور .ــ مج ٢ ، جـ ٢ (يوليو ١٩٨٧) .ــ ص ٣٢١ ــ ٣٣٤ .

ــ المعلومات : المفهوم والظاهرة/محمد محمد الهادي .ــ المدير العربي .ــ ع ١٧ (يناير ١٩٨٧) .ــ ص ٤٨ ــ ٥٥ .

أما الدوريات المتخصصة التي ساهمت بـ ٢٧٤ مقالة فإننا نسجل عليها بعض الملاحظات على النحو التالي :

١ . تنقسم هذه الدوريات إلى ثلاث فئات هي :
دوريات «دراسات» ١٠ دوريات «كتب» ٢ دوريات «أخبار» ٤ وقد ساهمت دوريات الفئة الأولى بـ ١٥٣ مقال ؛ بينما ساهمت دوريات الفئة الثانية بـ ٥٢ قطعة ، وساهمت دوريات الفئة الثالثة بـ ٦٩ قطعة . ومعنى ذلك أن هذه الفئة الأخيرة تشكل حوالي ٢٥٪ من مجموع «إنتاج» الدوريات .

٢ . تنشر بعض الدوريات المتخصصة مقالات في تخصصات أخرى غير تخصص المكتبات والمعلومات مثل :
التوثيق الإعلامي ، التوثيق التربوي (الرياض) ، الناشر العربي ، صحيفة المكتبة .

٣ . تهتم الدوريات المتخصصة بالمجال بصفة عامة ، ولم توجد بعد الدوريات التي تتخصص في موضوع واحد ، مثل دورية تتخصص في الفهرسة والتصنيف ، أو في إدارة المكتبات ومراكز المعلومات ، الخ .

٤ . بلغ عدد عروض الكتب والرسائل ذات القيمة ، وهي الموقعة غالباً بأسماء كاتبيها ، ٣١ عرضاً بنسبة ١٠,٦٪ من مجموع إنتاج الدوريات .

وقد نشرت هذه العروض في الدوريات التالية :

عالم الكتب	١٠	رسالة المكتبة	٢
مجلة المكتبات والمعلومات العربية .	٦	رسالة المعلومات	٢
المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات .	٤	المجلة العربية للمعلومات	١
عالم الكتاب	٣	مكتبة الإدارة	١
صحيفة المكتبة	٢		
			٣١

ومعنى ذلك أن مجلة عالم الكتب هي الدورية الأولى التي تنشر عروض كتب في تخصص المكتبات والمعلومات ، تليها مجلة المكتبات والمعلومات العربية .

٥ . نشرت بعض الدراسات المقدمة إلى مؤتمرات كمقالات في دوريات في العام نفسه وعددها (٧) . كما نشرت بعض المقالات نفسها في مجلتين مختلفتين في العام نفسه وعددها (٦) .

جـ . تأتي الأوراق والتقارير والدراسات المقدمة إلى مؤتمرات في المرتبة الثانية بعد مقالات الدوريات بنسبة ٢٦,٤٪ وهي نسبة كبيرة بدون شك وتدل على نشاط واضح في التجمع المهني ، وهي نتاج عشرة مؤتمرات على النحو التالي :

	عدد القطع
١ . الندوة الدولية لكتاب الطفل	٣٦
٢ . المؤتمر السابع للمعلومات	٢٧
٣ . الملتقى الأول حول الشبكة العربية للمعلومات	١٨
٤ . نظم وخدمات المعلومات الطبية	١٦
٥ . ندوة الطفل والقراءة	١٣
٦ . ندوة حول إصدار مجلة للأطفال	١٠
٧ . المؤتمر الثاني للمكتبات المدرسية	١٠
٨ . حلقة القيم التربوية في ثقافة الطفل	٣
٩ . المؤتمر التربوي السابع عشر	٣
١٠ . المؤتمر القومي لتطوير التعليم	١
	١٣٧

ويلاحظ أن بعض هذه المؤتمرات لم يعقد عام ١٩٨٧ وإنما نشرت أبحاثه في هذا العام (الندوة الدولية لكتاب الطفل ، حلقة القيم التربوية في ثقافة الطفل) . كما يلاحظ أن أعمال أربعة مؤتمرات قد نشرت في كتب ، بينما لم تنشر أعمال بقية المؤتمرات . والمؤتمرات التي نشرت أعمالها هي : الندوة الدولية لكتاب الطفل ، نظم وخدمات المعلومات الطبية ، حلقة القيم التربوية في ثقافة الطفل ، المؤتمر التربوي السابع عشر .

تبقى الإشارة إلى أن ثلاثة مؤتمرات لا تدخل في حقل المكتبات والمعلومات (انظر الأرقام ٨ ، ٩ ، ١٠) وإنما اشتملت على بعض الدراسات في هذا الحقل .

د . تأتي الكتب في المرتبة الثالثة بعد مقالات الدوريات ودراسات المؤتمرات بنسبة ١٢,٥٪ ونشر ٦٥ كتاباً في سنة واحدة ، يوحي بصفة عامة بكبر عدد الكتب التي تنشر في المجال . وفيما يلي محاولة لتقسيم هذه الكتب إلى فئات :

دراسات	١٨
كتب دراسية	١٧
كتب إرشادية	١٦
كتب مرجعية	٧
أعمال مؤتمرات	٥
قوانين	١
مواصفات	١
	٦٥

وهكذا يتضح أن الفئات الرئيسية للكتب هي الدراسات والكتب الدراسية والكتب الإرشادية .

وفيما يتعلق بالطبعات فقد تبين أن سبعة كتب فقط هي التي صدرت منها طبعات ثانية (خمسة كتب) أو ثالثة (كتابان) في هذا العام (١٩٨٧) وهي في أغلبها من الكتب الدراسية ، ومعنى ذلك أن هناك ٥٨ كتاباً جديداً في هذا العام .

وفيما يتعلق بالسلاسل فقد تبين أن خمسة عشر كتاباً قد صدرت في تسع سلاسل هي :

	عدد الكتب
١ . سلسلة الأرشيف والمعلومات	٤
٢ . سلسلة الوثائق والمعلومات	١
٣ . سلسلة المعلومات والحاسب الألكتروني	١
٤ . دراسات في الكتب والمعلومات	٢
٥ . السلسلة التوثيقية	١
٦ . سلسلة الأدلة العملية	٣
٧ . سلسلة الدورات التدريبية	١
٨ . مطبوعات مكتبة الملك فهد ، السلسلة الأولى	١
٩ . منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات .	١
	١٥

وكل هذه السلاسل ، ما عدا دراسات في الكتب والمعلومات ، مرقمة .

هـ . أجيزت ١٤ رسالة جامعية في هذا العام ونسبتها ٢,٧٪ ومن هذه الرسائل ١١ رسالة ماجستير و ٣ دكتوراه . ويلاحظ أن قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة قد قدم وحده تسع رسائل (انظر جدول ٣) .

جدول (٣) الرسائل الجامعية

الجامعة	ماجستير	دكتوراه	المجموع
جامعة القاهرة			
(قسم المكتبات والوثائق)	٧	٢	٩
جامعة الإمام محمد بن سعود			
(قسم المكتبات والمعلومات)	٢	—	٢
جامعة الملك عبد العزيز			
(قسم المكتبات والمعلومات)	١	—	١
جامعة حلوان	١	—	١
(قسم تكنولوجيا التعليم بكلية التربية)			
Florida State UNiv.	—	١	١
			١٤

و . يبقى من أنواع أوعية المعلومات الكتيبات والدوريات والفصول من كتب ، وأعدادها قليلة للغاية ، إذ توجد ستة كتيبات (١,٢٪) ثلاثة منها صادرة من مكتبة الملك فهد بالرياض .

أما الدوريات فالجديد منها الذي بدأ صدوره هذا العام هو الرسالة الإخبارية للشبكة العربية للمعلومات (مركز التوثيق والمعلومات بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية) ENSTINET Newsletter (أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة) . ونصل أخيراً إلى فصل كتبه أحد المتخصصين العرب في موسوعة علم المكتبات والمعلومات التي تصدر في نيويورك Encyclopedia of Library and information Science .

٤ . التأليف والترجمة والنشر :

ساهم في إعداد أوعية المعلومات في عام ١٩٨٧ م ٣٢٦ اسماً أي بمتوسط ١,٦٪ لكل اسم . ومن بين هذه الأسماء توجد ١٨ هيئة قدمت ٢٨ عملاً ، وهي نسبة ضعيفة إلى حد ما . وأبرز الهيئات مركز التوثيق والمعلومات بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية (خمسة كتب) فإذا انتقلنا إلى إنتاجية الأسماء (الأشخاص) (انظر جدول ٤) فإننا نلاحظ أن إنتاجية الشخص محدودة جداً فهي عمل واحد في

جدول (٤) إنتاجية الأسماء (الأشخاص)

عدد الأعمال	عدد الأشخاص
١	٢٥٠
٢	٤٧
٣	١٣
٤	٦
٥	٤
٦	٢
٧	١
٩	١
١٧	١
٢٧	١
	٣٢٦

الغالب ، وجاء ذلك بنسبة ٧٦,٧٪ ثم من قدم عملين بنسبة ١٤,٤٪ ومن قدم ثلاثة أعمال بنسبة ٤٪ ومن قدم أربعة أعمال بنسبة ١,٨٪ ومن قدم خمسة أعمال بنسبة ١,٢٪ وتجدر الإشارة إلى أن الأعمال المتعددة للفرد الواحد ليست كلها مؤلفات ، وإنما من بينها ما اقتصر دور الفرد فيه على الترجمة أو الإشراف أو ما إلى ذلك . ويمكن أن يتضح هذا من جدول (٥) الخاص بأعمال أكثر الأفراد إنتاجاً .

جدول (٥) أكثر الأفراد إنتاجية

النوع	كتب				دراسات	رسائل		
الاسم	تأليف	تقديم	ترجمة	مقالات	مؤتمرات	[إشراف]	تقارير	المجموع
١ . سعد محمد الهجرسي	—	١	—	٢٤	—	٢	—	٢٧
٢ . محمد فتحي عبد الهادي	١	١	١	٥	٦	٣	—	١٧
٣ . حشمت قاسم	—	—	—	٧	٢	—	—	٩
٤ . محمد إبراهيم السيد	٦	—	—	١	—	—	—	٧
٥ . حسن محمد عبد الشافي	٢	—	—	٢	١	—	١	٦
٦ . أحمد نجيب	—	—	—	١	٥	—	—	٦

وفيما يتعلق بالتأليف المشترك فإننا نجد أن نسبة قليلة للغاية (٢٤ عملاً) ومعظم الاشتراك في التأليف جاء في الدراسات المقدمة إلى المؤتمرات ، وبصفة خاصة المؤتمر السابع للمعلومات الذي عقد بالموصل .

(انظر جدول ٦)

جدول (٦) التأليف المشترك

النوع	دراسات			
التأليف المشترك	مؤتمرات	مقالات	كتب	المجموع
فردان	١١	٤	٣	١٨
ثلاثة أفراد	١	١	٤	٦
المجموع	١٢	٥	٧	٢٤

أما الإنتاج المترجم فهو قليل جداً في عام ١٩٨٧ ، فقد بلغت الأعمال المترجمة ١٤ عملاً بنسبة ٢,٧٪ وهي على النحو التالي :

كتب	٦
مقالات	٦
دراسات مؤتمرات	٢

وفيما يتعلق بالنشر فإننا نلاحظ أن الجهات الراعية للمؤتمرات هي في الغالب هيئات حكومية أو إقليمية ، ويمكن أن يتضح ذلك من البيان التالي :

هيئات حكومية	ستة مؤتمرات
هيئات إقليمية	مؤتمران
جمعيات	مؤتمران

ويكاد ينطبق الشيء نفسه على دوريات التخصص ، فإن الجهات الناشرة هي في أغلبها هيئات حكومية ، تليها هيئات إقليمية . ويتضح ذلك من البيان التالي :

هيئات حكومية	ست دوريات
هيئات إقليمية	أربع دوريات
جمعيات مهنية	ثلاث دوريات
دور نشر تجارية	دوريتان

أما ما يتعلق بنشر الكتب والكتيبات [٧١] فإن الموقف يختلف قليلاً ، إذ تأتي الهيئات الحكومية على رأس الجهات الناشرة ومعها دور النشر التجارية ، ثم الهيئات الإقليمية ، وهناك بعد ذلك المؤلف الذي ينشر لحسابه والمكتبة التي تنشر مطبوعات [مكتبة الملك فهد بالرياض] والجمعيات غير المهنية (الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة) وأخيراً دور نشر أجنبية بالنسبة للكتب بلغات أخرى غير العربية . ويمكن أن يتضح ذلك من البيان التالي :

هيئات حكومية	٢١	كتاباً وكتيباً
دور نشر تجارية	٢١	كتاباً وكتيباً
هيئات إقليمية	١٥	كتاباً وكتيباً

المؤلف	٦	كتب وكتيبات
مكتبات	٤	كتب وكتيبات
جمعيات غير مهنية	٢	كتب وكتيبات
جهات أجنبية	٢	كتب وكتيبات
	٧١	

وتجدر الإشارة إلى الحقائق التالية :

ــ تعتبر الهيئة المصرية العامة للكتاب أبرز الهيئات الحكومية التي نشرت كتباً في هذا المجال وخاصة في حقل الكتاب والنشر .

ــ لا توجد دور نشر تجارية معروفة على نطاق واسع نشرت كتباً في هذا المجال عام ١٩٨٧ .

ــ يعتبر مركز التوثيق والمعلومات بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية أبرز الهيئات الإقليمية في مجال نشر الكتب في تخصص المكتبات والمعلومات .

ــ لا توجد جمعيات مهنية قامت بنشر كتب في هذا التخصص خلال عام ١٩٨٧ مما يدعو إلى التساؤل بشأن دور هذه الجمعيات ومسئولياتها تجاه النشر .

٥ . التوزيع اللغوي :

يبين الجدول رقم (٧) التوزيع اللغوي للإنتاج الفكري الصادر عام ١٩٨٧ .

جدول (٧) التوزيع اللغوي

النوع / اللغة	العربية	الانجليزية	الفرنسية	المجموع
الكتب	٦١	٤	—	٦٥
الكتيبات	٦	—	—	٦
الفصول من كتب	—	١	—	١
الدوريات	١	١	—	٢
الرسائل الجامعية	١٣	١	—	١٤
دراسات المؤتمرات	١١٧	١٩	١	١٣٧
مقالات الدوريات	٢٧١	١٦	٦	٢٩٣
المجموع	٤٦٩	٤٢	٧	٥١٨
النسبة المئوية	٪٩٠,٥	٪٨,١	٪١,٤	٪١٠٠

ومن الطبيعي أن تكون اللغة الغالبة هي اللغة العربية بنسبة ٩٠,٥٪ وأن يشكل الإنتاج باللغتين الإنجليزية والفرنسية معاً ٩,٥٪ .

وتشكل دراسات المؤتمرات أكبر نسبة باللغة الإنجليزية (١٩ من ٤٢) ويرجع السبب في ذلك إلى تقديم دراسات بالإنجليزية في مؤتمرين دوليين هما الملتقى الأول حول الشبكة العربية للمعلومات والندوة الدولية لكتاب الطفل .

أما المقالات بالإنجليزية (عددها ١٦ مقالة) فقد نشرت في دوريات محددة هي : المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات ، رسالة المكتبة ، مجلة المكتبات والمعلومات العربية ، Library Times International, ENSTINET Newsletter حيث تخصص الدوريات الثلاث الأولى أقساماً منها للمقالات بلغات أخرى غير العربية ، ولذلك فإن المقالات بالفرنسية هي تلك التي نشرت في المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات .

٦ . التوزيع الجغرافي :

يبين الجدول رقم (٨) التوزيع الجغرافي للإنتاج الفكري الصادر عام ١٩٨٧ م .

جدول (٨) التوزيع الجغرافي

الدولة / النوع	كتب	كتيبات	فصول من كتب	رسائل	دوريات	مقالات	دراسات مؤتمرات	المجموع	النسبة المئوية
مصر	٣٤	٢	—	١٠	١	٧٢	٧٣	١٩٢	٪٣٧
تونس	١١	—	—	—	١	٨٨	١٨	١١٨	٪٢٢,٨
السعودية	٦	٤	—	٣	—	٧١	—	٨٤	٪١٦,٢
العراق	٥	—	—	—	—	١٢	٢٧	٤٤	٪٨,٥
الأردن	٢	—	—	—	—	٢٩	—	٣١	٪٦
الكويت	٢	—	—	—	—	٣	١٩	٢٤	٪٤,٦
ليبيا	—	—	—	—	—	١	—	١٤	٪٢,٧
الولايات المتحدة	—	—	١	١	—	١	—	٣	٪٠,٦
لبنان	٢	—	—	—	—	١	—	٣	٪٠,٦
عُمان	—	—	—	—	—	١	—	١	٪٠,٢
الإمارات	—	—	—	—	—	١	—	١	٪٠,٢
سوريا	١	—	—	—	—	—	—	١	٪٠,٢
بريطانيا	١	—	—	—	—	—	—	١	٪٠,٢
ألمانيا الغربية	١	—	—	—	—	—	—	١	٪٠,٢
المجموع	٦٥	٦	١	١٤	٢	٢٩٣	١٣٧	٥١٨	٪١٠٠

ونسجل فيما يلي بعض الملاحظات المتعلقة بالتوزيع الجغرافي :

ــ ساهمت ١٤ دولة بتقديم إنتاج فكري عربي في مجال المكتبات والمعلومات عام ١٩٨٧ منها ١١ دولة عربية وثلاث دول غير عربية .

ــ تأتي مصر في مقدمة الدول بنسبة ٣٧٪ تليها تونس بنسبة ٢٢,٨٪ ثم السعودية بنسبة ١٦,٢٪ والعراق بنسبة ٨,٥٪ وقد ساهمت هذه الدول الأربع بنسبة ٨٤,٥٪ من مجموع الإنتاج .

ــ يرجع ارتفاع إسهام بعض الدول مثل تونس إلى وجود منظمات إقليمية نشطة في مجال النشر بها . ومن ناحية أخرى كلما وجدت دوريات متخصصة في المجال في إحدى الدول كان ذلك سبباً من أسباب ارتفاع اسهام تلك الدول مثل السعودية ، الأردن ، تونس . كما كان لانعقاد مؤتمر في دولة ما دوره في رفع إسهام تلك الدولة مثل مصر ، العراق ، الكويت .

ــ يشير الجدول إلى ضعف واضح في إسهام بعض الدول مثل

سوريا ولبنان ، بل ويلفت النظر عدم وجود بعض الدول العربية مثل المغرب ، الجزائر ، السودان ، قطر ، على الرغم من وجود أقسام لدراسات المكتبات والمعلومات بهذه الدول . ولعل السبب في ذلك هو عدم تمكن القائم بالحصر البيليوجرافي المعتمد عليه في هذه الدراسة من تغطية الإنتاج الفكري الصادر في هذه الدول .

٧ . التوزيع الموضوعي :

يبين الجدول رقم (٩) التوزيع الموضوعي للإنتاج الفكري الصادر عام ١٩٨٧ .

جدول (٩) التوزيع الموضوعي

الموضوع	العدد	النسبة المئوية
علم المكتبات والمعلومات (عام)	٣٢	٦,٢٪
مصادر المعلومات وإنتاجها	١٧٨	٣٤,٤٪
العمليات والمعالجة الفنية للمعلومات	٤٥	٨,٧
خدمات المكتبات والمعلومات	٢٠	٣,٩
إدارة المكتبات ومراكز المعلومات	٦	١,١٪
مرافق المعلومات	١٣٢	٢٥,٥٪
تكنولوجيا المعلومات	٥٣	١٠,٢٪
الأرشيف والوثائق	٢٦	٥,ـــ٪
مهنة المعلومات	٢٦	٥,ـــ٪
	٥١٨	١٠٠٪

ويتضح من الجدول (٩) أن مصادر المعلومات وإنتاجها تحتل المرتبة الأولى بنسبة ٣٤,٤٪ ويليها مرافق المعلومات بأنواعها المختلفة بنسبة ٢٥,٥٪ . وإذا كان ما يتعلق بمرافق المعلومات طبيعياً ، فإن تضخم الإنتاج في الفئة الأولى (مصادر المعلومات وإنتاجها) يثير بعض التساؤلات .

ويلاحظ أن الإنتاج الفكري العربي بدأ ينمو ويتزايد في الموضوعات الحديثة ، مثل تكنولوجيا المعلومات التي احتلت المرتبة الثالثة بنسبة ١٠,٢٪ . ومن ناحية أخرى يلاحظ الضعف الواضح أو النقص الكبير في الإنتاج الفكري في بعض الموضوعات مثل : إدارة المكتبات ومراكز المعلومات ، خدمات المكتبات والمعلومات ، الأرشيف والوثائق .

خلاصة

١ . يتزايد الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات من فترة إلى أخرى . وأبرز ما يكون ذلك في الثمانينات من القرن العشرين الميلادي ، التي تزايد فيها الإنتاج تزايداً واضحاً عما سبقها من فترات .

٢ . تحتل مقالات الدوريات المرتبة الأولى بنسبة ٥٦,٦٪ تليها الدراسات المقدمة إلى مؤتمرات بنسبة ٢٦,٤٪ ثم الكتب بنسبة ١٢,٥٪ ثم الرسائل الجامعية بنسبة ٢,٧٪ وتأتي بعد ذلك الكتيبات ثم الدوريات ، وأخيراً الفصول من كتب .

٣ . تتوزع المقالات على ٢٩ دورية منها ١٦ دورية متخصصة وأبرز الدوريات إسهاماً في الإنتاج ، الرسالة الإخبارية للشبكة العربية للمعلومات ثم المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات ثم مجلة المكتبات والمعلومات العربية .

٤ . تدل كثرة عدد الدراسات المقدمة في مؤتمرات على نشاط واضح في التجمع المهني . وأبرز مؤتمرات هذا العام الملتقى الأول حول الشبكة العربية للمعلومات والمؤتمر السابع للمعلومات .

٥ . ما يزال قسم المكتبات والوثائق بكلية الآداب جامعة القاهرة هو القسم الأكاديمي الرائد في منح درجات الماجستير والدكتوراه في التخصص ، فقد منح القسم تسع درجات (٧ ماجستير ، ٢ دكتوراه) في عام ١٩٨٧ .

٦ . ساهم في إعداد أوعية المعلومات في عام ١٩٨٧ (٣٢٦) اسماً وكانت إنتاجية الفرد محدودة جداً فهي عمل واحد في الغالب . وجاء ذلك بنسبة ٧٦,٧٪ بينما كانت أعلى إنتاجية هو ٢٧ عملاً ، وهي حالة استثنائية . وجاءت نسبة التأليف المشترك ضعيفة وكذلك الأمر بالنسبة للأعمال المترجمة إلى العربية .

٧ . احتلت الهيئات الحكومية المرتبة الأولى فيما يتعلق بنشر الكتب والدوريات وأيضاً رعاية المؤتمرات .

٨ . تمثل المطبوعات الصادرة باللغة العربية ٩٠,٥٪ بينما تمثل المطبوعات الصادرة باللغتين الانجليزية والفرنسية ٩,٥٪ .

٩ . تأتي مصر في مقدمة الدول التي ساهمت بإنتاج فكري في مجال المكتبات والمعلومات بنسبة ٣٧٪ تليها تونس بنسبة ٢٢,٨٪ ثم السعودية بنسبة ١٦,٢٪ والعراق بنسبة ٨,٥٪ .

١٠ . جاء موضوع مصادر المعلومات وإنتاجها في المرتبة الأولى بنسبة ٣٤,٤٪ يليه ما يتعلق بمرافق المعلومات بأنواعها المختلفة بنسبة ٢٥,٥٪ ثم تكنولوجيا المعلومات بنسبة ١٠,٢٪ . ويلاحظ الضعف الواضح في الإنتاج الفكري في بعض الموضوعات ، مثل إدارة المكتبات والأرشيف والوثائق .

الهوامش

١ . انظر مثلاً :

ــ قزانجي ، فؤاد . مراجع الكتب والمكتبات في العراق/فؤاد قزانجي ، كوركيس عواد .ــ بغداد : وزارة الإعلام ، ١٩٧٥ .ــ ١٤٦ ، ٥ ص .

ــ المعهد الأعلى للتوثيق . المكتبة . آخر مقتنيات مكتبة المعهد الأعلى للتوثيق .ــ المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات .ــ ع ٥ (أكتوبر ١٩٨٧) .ــ ص ٢٥٣ ــ ٢٧٨ .

ــ عبد الرحمن ، عبد الجبار . قائمة ببليوغرافية بالإنتاج الفكري المعاصر في الدراسات المكتبية والببليوغرافية ١٩٤٥ ــ ١٩٧٢ .ــ البصرة ، ١٩٧٢ .ــ ٢٤ ص .

ــ عبد الهادي ، محمد فتحي . المكتبات المدرسية : قائمة ببلوجرافية بالإنتاج الفكري العربي .ــ عالم المكتبات .ــ س ١١ ، ع ١ ــ ٢ (يناير/أبريل ١٩٦٩) .ــ ص ٣٧ ــ ٤٤ .

الخولي ، جمال . قائمة ببليوغرافية بالرسائل الجامعية في علوم الوثائق والمكتبات والمعلومات التي أجيزت بجامعة القاهرة ١٩٥٦ ــ ١٩٨٥ .ــ المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات .ــ ع ٤ (مارس ١٩٨٦) .ــ ص ٢١٧ ــ ٢٣٧ .

٢ . انظر :

ــ عبد الهادي ، محمد فتحي . الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات .ــ ط ٢ .ــ الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٩٨١ .

ــ عبد الهادي ، محمد فتحي . الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات : عشر سنوات : ١٩٧٦ ــ ١٩٨٥ .ــ الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٩٨٩ .

ــ عبد الهادي ، محمد فتحي . الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات حصاد عام ١٩٨٦ .ــ مجلة المكتبات والمعلومات العربية .ــ س ٧ ، ع ٤ (أكتوبر ١٩٨٧) .ــ ص ١٢٩ - ١٩١ .

ــ عبد الهادي ، محمد فتحي . الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات (١٩٨٧) .ــ عالم الكتب .

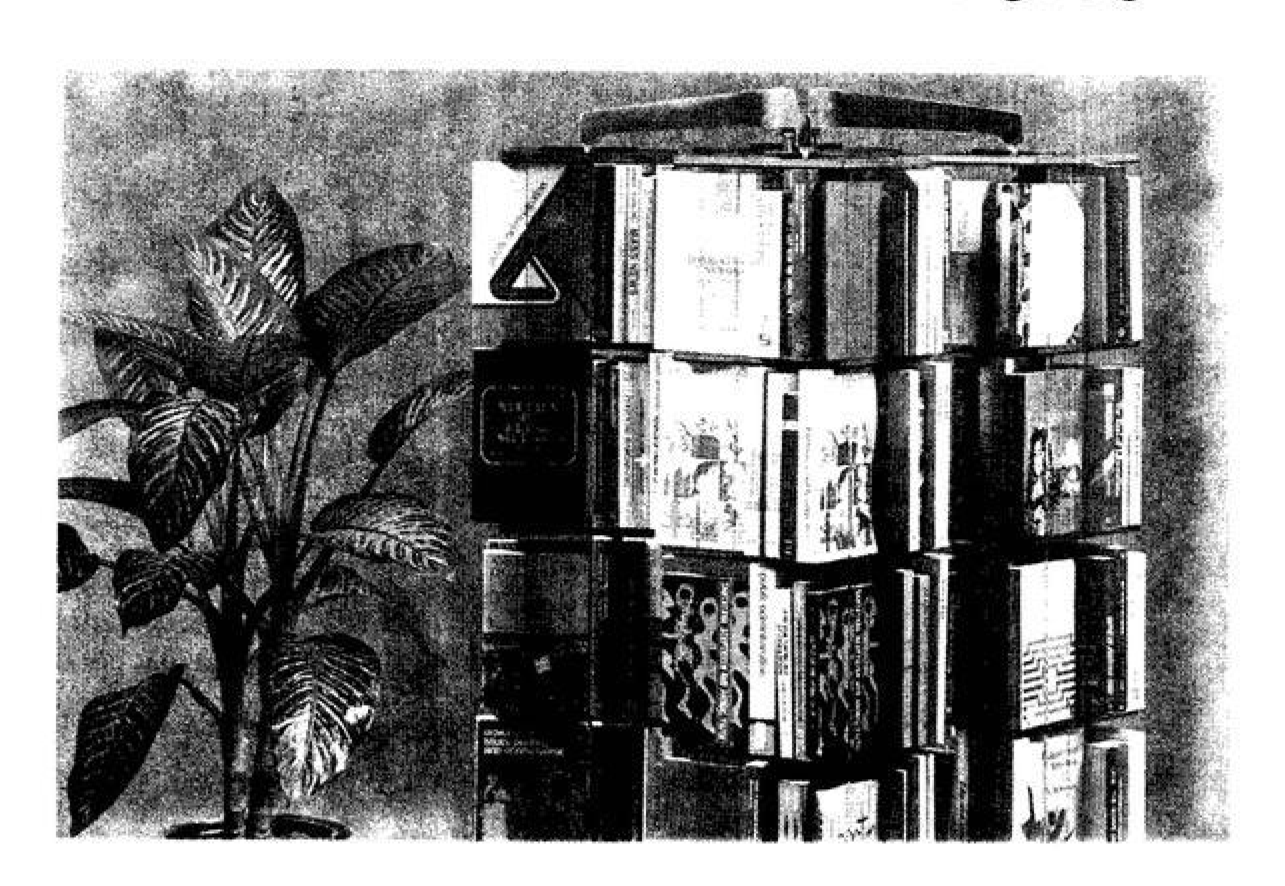
٣ . انظر مثلاً :

ــ عبد الهادي ، محمد فتحي . الإسهام الخليجي في مجال المكتبات والمعلومات : دراسة تحليلية .ــ ص ٦٧ ــ ٨٦ . في كتابه : دراسات في المكتبات والمعلومات .ــ الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٩٨٨ .

ــ عبد الهادي ، محمد فتحي . الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات العامة . دراسة ببليوجرافية .ــ ص ٥٩ ــ ٨٣ . في كتابه : دراسات في الضبط الببليوجرافي .ــ القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ .

٤ . عبد الهادي ، محمد فتحي . الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات (١٩٨٧) .ــ عالم الكتب .

٥ . استبعدت المقالات التي كانت مقدمة لبحوث في مؤتمرات وهي : (٣) في مجلة المكتبات والمعلومات العربية ، (٢) صحيفة المكتبة ، (١) المجلة العربية للمعلومات (١) عالم الكتب باعتبار أنها ستعالج في موضع آخر .



نحن واللاورقية

حسني عبد الرحمن الشيمي
أستاذ مساعد في قسم المكتبات والمعلومات
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

توطئة :

خيم جو من القلق على المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية لمدارس المكتبات الذي انعقد بواشنطن في الفترة من ٣٠ إلى ١ فبراير/شباط ١٩٨١ . حيث دارت مناقشات أساتذة المكتبات في قاعات المؤتمر وممراته وطرقه الجانبية حول الأفكار والخطط التي سيأخذ بها في الاعتبار وهم يتلمسون طريقهم نحو المستقبل .

فما السر في قلقهم هذا ، وماذا يكمن وراءه ؟ لقد كانت التقنية أحد أسباب الجو القلق إزاء التغيير البادي في الأفق ، فمعظم أساتذة المكتبات يرون أنه أصبح على كافة الطلاب أن يتزودوا بمعرفة تطبيقات الحاسوب[١] الخاصة باختزان واسترجاع المعلومات ، وأن يكتسبوا خبرة مباشرة بهذه التطبيقات . إن الحاجة إلى إدخال التقنية تقتضي مراجعة لمنهج الدراسة ، كما يجب أن تتغير بعض المقررات القديمة ، وأن تنشأ مقررات جديدة ، وهو ما يعد عملية مكلفة سواء من حيث الوقت أو النفقات المالية[٢] .

وربما كان المحرك الأشمل للقلق هو حقيقة أن وجود المكتبات ذاتها وبقاء الكتاب أصبحا أمام تحدٍّ «من جانب أولئك الذين يرون أن التطورات التقنية مثل البريد الإلكتروني ، والاجتماعات عن بعد ، ونظم النصوص المصورة (الفيديوية) في المكتب والمنزل ، وتضاعف قواعد البيانات سوف يؤدي في نهاية الأمر إلى تلاشي (انزواء) المكتبات[٣]» واختفاء الكتاب في شكله المطبوع .

والواقع أن اللقطة التي عرضناها تعبر عن مرحلة من أخطر المراحل في عمر المكتبات ذلك أننا نعيش مفترق طرق ، يصفه بعض الكتاب بأنه بداية عصر التقنية الإلكترونية ، التي توفر كثيراً من الحلول لمشكلاتنا ، كما تفرز أيضاً بعض المشكلات . وهكذا فإننا في حاجة إلى الإدراك الواعي للمتغيرات الطارئة ، وكيفية التواؤم معها . ومن هنا تهدف هذه الورقة إلى تشخيص هذه المرحلة ، وتوصيف وضع مكونات المكتبات والمعلومات فيها ، متوقفة في جزئها الأخير عند موقفنا من ذلك كله .

المكتبات في مواجهة التغير :

مع أن للإنسان فطرة ثابتة الجوهر ، فإن من خواص فطرته القابلية للتطور على الدوام ، والتطور أبرز ما في فطرته ، وأشد ما يميزها عن فطرة الحيوان . إنها بقول آخر خاصة مرونة مكنت الإنسان أن «يواجه البيئة المادية في جميع ظروفها ، فيسيطر عليها في النهاية على نحو من الأنحاء»[٤].

ومن هنا فلا عجب أن نرى التاريخ الإنساني سلسلة لا تتوقف من حلقات التطور أو التغير . وفي بعض فترات التاريخ كان التقدم بطيئاً وتدريجياً، وفي بعضها الآخر كان أكثر سرعة وفجائية . وهناك دائماً عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية وإنسانية وتقنية تحدد ما الذي يمكن الوصول إليه في وقت بعينه . وفي وقتنا يبدو أننا في فترة تميل فيها التغيرات إلى السرعة والمفاجأة[٥]، كما يبدو أيضاً أن الحياة في الجزء الأخير من القرن العشرين أكثر تعقيداً عما كان يتوقع أي إنسان منذ عشرين عاماً مضت .

وتعدّ خدمات المكتبات والمعلومات من أكثر المجالات تأثراً بما يحفل هذا القرن من تغيرات ، أظهرها للعيان التغير التقني الذي ينبهنا «كوربين Corbin» إلى ضخامته قائلاً[٦]:

«لا يدرك كثير من المكتبيين إدراكاً كاملاً أنهم في خضم ما لا يعدّ ثورة واحدة أو ثورتين ، وإنما ثلاث ثورات متزامنة ، تغذي كل منها الأخرى ، وعندما تأتلف أو تتحد هذه الثورات فإنها تكون كاسحة مؤلمة مثلما كان حال الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر» .

وأول هذه الثورات هي ثورة الحاسوب التي بدأت جدياً في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وتطورت كبنية تحتية أولية للقطاعات

الحكومية والتجارية ، والصناعية والترويحية ، والمنتجات الاستهلاكية ، والمكتبات ، والقطاعات الاجتماعية الأخرى . أما ظهور الثورة الثانية — أي ثورة المعلومات — فقد أتت متوازية مع ثورة الحاسوب ، في أعقاب الحرب العالمية الثانية أيضاً ، حتى إذا ما أقبلت أيامنا هذه ، وجدنا المجتمع وقد أصبح معتمداً على المعلومات مُساقاً بها .

وقد ظهرت آخر الثورات الثلاث بسرعة ، وهي ثورة الاتصالات ، بعد تطور الحاسوب والتقنية المرتبطة به ، وتوفيرها لإمكانية النقل الفوري للإشارات الرقمية والصوتية في أي مكان من العالم . وقد أثرت التطورات السريعة في هذه المجالات الثلاثة على أعمال الناس وعلى حياتهم ومنظماتهم ، ومن ثم على المجتمع[٧].

ويصل بعد ذلك «كوربين» إلى استنتاج أظنه غير مبالغ فيه حين يقول : «إن المجتمع كما نراه اليوم سوف ينهار في ظرف ساعات إذا اختفت الحاسوبات والمعلومات والاتصالات على حين غرة».

وإذا كانت هذه التغيرات البارزة أو الثورات قد أثرت على المكتبات بشكل متفاوت ، فإن صورتها في المستقبل تتسم بتحول أو تغير ينصبّ على جوهرها وبنيانها .

انزواء الشكل المعروف للمكتبات :

يمكن أن نوجز صورة المكتبة لدى المبشرين بعصر «اللاورقية» في أنها ستصبح مكتبة بغير كتب ! ومكتبة بغير جدران ، وهكذا فإن المكوّنات المكتبية الجوهرية ، التي قضينا شطراً من العمر ندرُسها ، وشطراً آخر ندرِّسها ، أصبحت عرضة للاهتزاز العنيف .

أما عن المكتبة وتخليها عن الكتب ، فذلك لأن التقدم التقني أدى إلى زيادة المعلومات المنتجة كمياً بقفزات بين آن وآخر ، ولقد أصبحت الأشكال المطبوعة للاختزان أو حمل المعلومات أكثر تكلفة في الإنتاج والتزويد والحفظ ، بينما أدى تعقّد الوصول إلى المعلومات المحتواة فيها إلى جعل هذه المعلومات غير قابلة للاسترجاع تقريباً .

وبحلول عام ٢٠٠٠ فإن المكتبة ستقوم بجمع المعلومات المسجلة على المصغرات والتسجيلات السمعية والشرائط الممغنطة، إضافة إلى أحدث وسائط الاختزان المتقدمة تقنياً ، مثل أقراص الليزر وشرائط الفيديو ، ووسائط لم نفكر فيها من قبل[٨] **﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾**[٩].

وأما عن زوال جدرانها فلأن كثيراً من المكتبيين سيزاولون عملهم من خلال البيوت أو المكاتب ، وهكذا فإن علم المكتبات لم يعد يعرف بمصطلحات «ماذا يجري في المكتبة»[١٠] بل إنه سيكون للمكتبة [؟] ما هو أكثر من مجموعتها الذاتية تحت تصرف المستفيدين ، فالنفاذ على شبكات المعلومات سيجعل المجموعات الأخرى متاحة كي تكمل المقتنيات المحلية[١١] .

وكأن «لانكستر» يريد إدخال السرور على قلوب المكتبيين ، برغم الصورة الشديدة التغيير التي يعرضها فيقول : «وفي الحقيقة فإن عملية التفكيك المؤسسي deinstitutionalization للمكتبة يمكن أن تثبت على المدى البعيد أنها مثمرة جداً بالنسبة لمكانته [أي المكتبي] وصورته النمطية في المجتمع ، إذ ليس هناك من مهنة الآن مقيدة بمؤسسة كما هو الحال بالنسبة للمكتبي»[١٢].

وهكذا فإن عليهم أن ينتهزوا الفرصة ، وأن يقرروا اختيارات محددة بالنسبة لمكتباتهم ، فهل سيرتكزون في سبب وجودها على الدور الذي تؤديه كمتاحف للكلمة المطبوعة ؟[١٣] أم ستصبح وسيطاً أو متعهداً للمعلومات ؟

وبطبيعة الحال فإن الإجابة التي يقدمها دعاة اللاورقية للمكتبين هي أن يسارعوا باتخاذ الاختيار الأخير والتخلص من جمود الدور المتحفي إلى حيوية الدور المتفاعل للمعلومات ، وبخاصة أن الانتظار في غير صالحهم ، فهناك مؤسسات أخرى في المجتمع جاهزة لالتهام هذا الدور الأخير .

ونسير مع أصحاب هذا الاتجاه إلى آخر الشوط فنسأل : هل تلغى المكتبات بصورة نهائية على المدى البعيد ؟

إنهم لا يقطعون بذلك ، بل يؤكدون عكسه ، أي بقاء المكتبات ، لكنه أقرب للبقاء الأثري ، أو إلى البقاء لأغراض محدودة تماماً .

«إن من المؤكد أنه ستظل هناك حاجة إلى قيام بعض المكتبات أو أجزاء من المكتبات بتحقيق الهدف الحفظي **Archival goal** لحفظ الكتب والمعلومات الأخرى للخلف أو الأجيال اللاحقة»[١٤].

«ومن جانب آخر فإنه ستكون هناك حاجة — حتى في دنيا الإلكترونيات للمكتبات في تجميع وفهرسة وتكشيف المواد ذات الأهمية المحلية الخالصة ... وإذا نظرنا إلى أبعد من ذلك فإنه يمكن أن تكون هناك مكتبات تقوم بتكشيف نص منتقى من الإنتاج الفكري من وجهة نظر عميقة التخصص ، وجهة نظر لا تعكسها مراصد المعلومات المتاحة»[١٥].

مستقبل الكتاب المطبوع :

يبدو أن قضية تضاؤل دور الكتاب المطبوع ، أو حتى اختفائه ، أصبحت هي صاحبة الغلبة بالنسبة لتوقعات المستقبل ، وفي المقابل فإن الذين عارضوا هذا الاتجاه قليلون بشكل ملحوظ ، أما الذين تبنوا المأتى الحذر «لننتظر ونرى» فإنهم يقرون بالتغيير ومقدمه ، لكنهم فقط يذهبون إلى أن نهاية عصر الكتاب المطبوع أو الورقي ستحدث في وقت متأخر[١٦]. ولما كان الاتجاه الأول قد عولج ضمن

انزواء المكتبات ، فمن حق المؤيدين للكتاب ، وأيضاً من حق الحذرين في تأييدهم أن نعرض لوجهات نظرهم[١٧].

الدور المتميز للكتاب واستمراريته :

إن مستقبل الكتاب الذي توفّر له ماضٍ طويل وقدرات مدهشة على البقاء يبدو مؤكداً . ذلك أن البدائل الكثيرة التي من بينها البطاقات المصغرة microfiche واسترجاع بنوك المعلومات ، والآن الاتصال ذو الاتجاهين بالتلفاز الذي يأتي بمواد بنوك المعلومات في المساكن الخاصة . إنها — أي هذه البدائل — معجزات حديثة لكنها ليست منافساً بشكل أساسي للكتب ، لأن أياً منها ليس معنياً بالقراءة المتصلة ، أو أن ذلك ليس الهدف الأساسي منها . إنها تهدف للاستشارة المرجعية ، أو لتحديث المعلومات أو للمراجعة ، أو للبحث والمقارنة ، وفوق كل شيء للمعلومات (من الطبيعي أن الكتب تعد من أجل هذه الأنواع من الوظائف كافة ، لكنها لا تقتصر عليها) ، فالكتاب لا يكون كتاباً [هكذا يرى الكاتب] إذا كان جريدة على بطاقة مصغرة ، أو حزمة سمعبصرية أو مخزناً في الحاسوب فلا يمكن قراءته من الغلاف إلى الغلاف[١٨].

اليسر القرائي للكتاب :

إن الرأي الذي يستبعد أن تختفي الكتب في المستقبل المنظور على اعتبار أنها ما زالت أسرع وأسهل وسيلة يمكن استخدامها في اختزان واسترجاع المعلومات في النص الطويل ، بل ومن المحتمل أن تظل كذلك ، هذا الرأي يستند أيضاً على تحليل لموقف الإنسان الذي يمكنه قراءة الكتب بالجلوس أمام شاشة تلفاز أو قارىء مصغرات . فأمناء المكتبات الذين استخدموا أشعة الكاثود CRT لفترات طويلة اكتشفوا أن الصداع والإجهاد البصري يعدان مخاطر عملية ، كما أن المستفيدين واجهوا مشقة وعبروا عن عدم رضاهم بمثل هذه التقنية[١٩].

وإذا كان هناك من يحتج بوجود حل عملي يتمثل في ربط تقنيات المعلومات بطابعات لإنتاج نسخ ورقية ، فهل يمكن لهذا الربط أن يحل المشكلة فعلاً ؟ إن المتوقع أن تكون الإجابة بالنفي ، فكم من الوقت يمضي قبل أن يغرق الإنسان في جبل من المستخرجات الطباعية ؟ كما أن هذا السؤال يفترض أنه سيتاح للمستفيد مستخرجات طباعة لا نهائية ، ومثل هذا الافتراض غير صحيح حتى في حالة أولئك الذين نسلم بأنهم ذوو قدرة عالية من حيث دفع مقابل المعلومات[٢٠].

هل دعاة «اللاورقية» سطحيون ؟

لكن واحداً من أصحاب اتجاه «الأقلية» الذي نحن بصدده ، وهو د . ج . فوسكت ، لا يكتفي باتخاذ موقف دفاعي ، وإنما يشدد النكير على دعاة «اللاورقية» ، إذ يقول في كتابه التأصيلي المتميز «طرائق الاتصال» :

«وفي وجه هذا التدفق الهائل من المعلومات الموضوعية ، التي تسمى غالباً الآن — وغالباً خطأ — بيانات ، تظهر تقنيات المعلومات لتقدم حلاً ألمعياً لمشكلة كيفية ضبطها وجعلها متاحة . وقد كانت إحدى النتائج المتسمة بالبلاهة الشديدة لهذا الاتجاه هي النزوع إلى التدني في منزلة المكتبات ، والتوقع بأن الكتب والمكتبات سوف تختفي في نهاية المطاف ، بل إن بعض المكتبيين قد كتبوا كتباً ضخمة وسطحية يبشرون فيها بمقدم المجتمع اللاورقي»[٢١].

وبعد أن يشير إلى أن المستقبل يبدو في معظم الأحيان كأنه مزيج من الأمور المجرَّبة والمُختبرة والجديدة والمشوّقة ، فإنه يرى أن «حقيقة الموقف الراهن — فيما يختص بالمكتبات — هي أن الكتب والدوريات يزداد استخدامها ومستخدموها أكثر من أي وقت مضى ، ويعزى هذا حقيقة في المكتبات الأكثر حداثة إلى أن الوصول إلى المعلومات المناسبة قد تحسن كثيراً بفضل أدلة المصادر [البيليوجرافية] المحسّبة»[٢٢].

ثم يحاول الرجل أن يتتبع خلفية دعوة «اللاورقية» ، موضحاً أنه يمكن للمرء أن يكتشف أن التأثير المشؤوم لعلم نفس السلوكيين وفلسفة المذهب العلمي (البراجماتي) يقف خلف بعض الكتابات عن مجتمع اللاورق ، ثم يستطرد قائلاً :

«وبما أن معظم هذه المكتبات تأتي من الولايات المتحدة حيث يغوص هذا التأثير بعمق شديد في الوعي القومي ، فإنها لا تبعث على الدهشة وإنما تثير المخاوف» .

«ذلك أن السؤالين اللذين لم يثرا في هذه الكتابات هما السؤالان الأهم فيها كلها : لمن تقدم المعلومات ؟ وماذا سيفعلون بها عند الحصول عليها ؟»[٢٣].

ولعل الاتجاه الثالث ، يمثل الاتجاه الحذر أو الأقرب إلى الواقعية ، بالرغم من أنه يصل إلى ذات النتيجة التي يستعجل دعاة اللاورقية الوصول إليها ، حيث يرى أن من الواضح ونحن نمضي نحو العقد القادم [عشريات الخامس عشر الهجري ، تسعينات العشرين الميلادي] أن نظم حفظ السجلات التي تعد أساس الضبط البيليوجرافي في المكتبات قد تغيرت من حيث الشكل ، وإلى حدّ ما من حيث الخصائص .

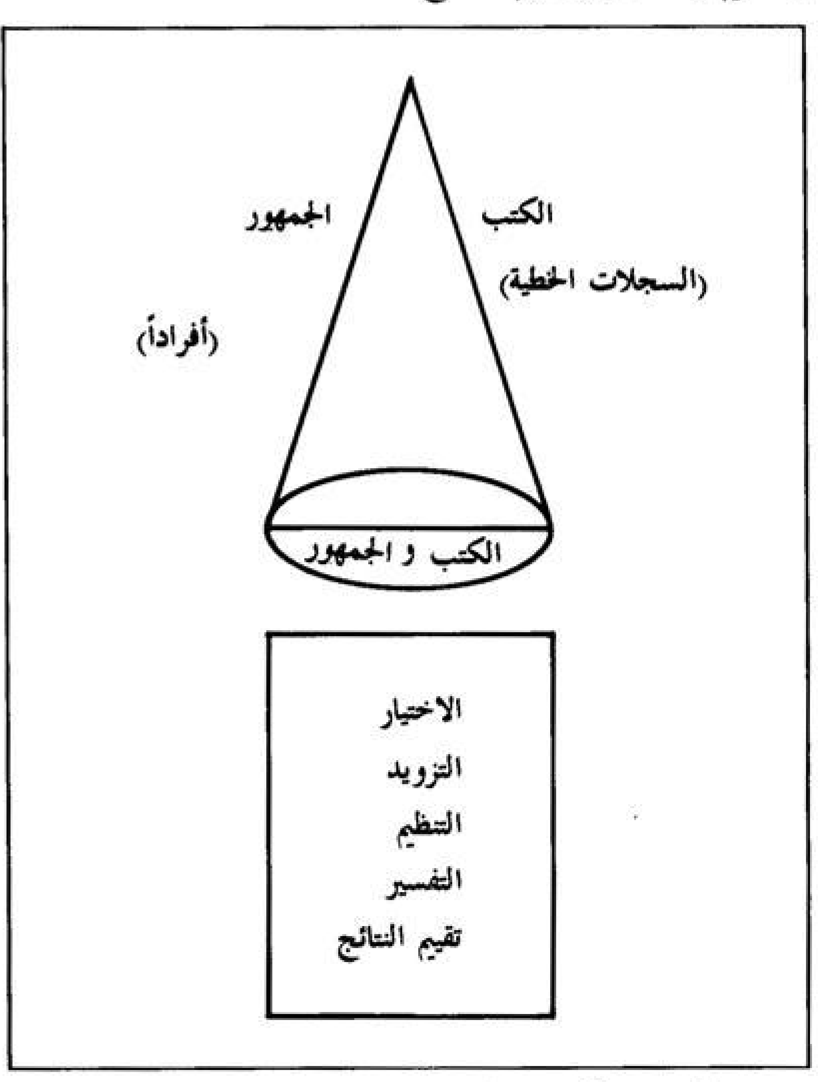
فالحقل — حقل المكتبات والمعلومات — يعتمد بطبيعته على التقنية ، وعليه أن يستجيب للتطورات الجديدة ، وإلا غامر بأن يصبح بالياً كمهنة ، ذلك أن تقنية المعلومات التي ظلت سائدة

لسنوات طوال كان عمادها الورق ، واستندت إلى ميكنة أقل تطوراً ، وعلى جهد بشري أكثر تكلفة .

على أن هذه الحقبة الورقية لم تنته تماماً ، كما أنها لم تكن حقبة راكدة ، فمكتبة ورقية الأساس في ثمانينات القرن العشرين تختلف إلى حد كبير عن مثيلتها في ثمانينات القرن التاسع عشر . ومع ذلك فإن عصر المعلومات القائمة على الورق يسير نحو نهايته[٢٤].

دور المكتبي في البيئة التقنية :

كنت ــ وما أزال ــ أعجب بتلخيص «شيرا» لموقع دور الأمين أو المكتبي من خلال تمثيله على شكل مثلث ، أحد ضلعيه الكتب ، والضلع الآخر المستفيدون ، بينما القاعدة هي الكتب والمستفيدون أو الجمهور ، حيث يكون هدف الأمين مركزاً مباشرة على خط القاعدة ــ أي الجمع بين الإنسان والمواد المسجلة للمعرفة في علاقة مثمرة إلى الحد الممكن[٢٥]. ويحقق الأمين ذلك من خلال المعرفة بكلا مكوني الضلعين ثم القيام بالعمليات المهنية كالاختيار والتزويد والتنظيم والتفسير وتقويم النتائج .



إن البيْنية بين الكتاب والإنسان الفرد man-book-intetace هي التي تمتلك بين يديها مفتاح فلسفة المكتبات[٢٦]... (لاحظ أن هذه العبارات الأخيرة نشرت عام ١٩٧٠ م) .

ترى هل يتغير ، أو يجب أن يتغير دور المكتبي مع التغيرات التي حاولت استعراضها ؟ الواقع أن الدور المنوط بالمكتبي ، وكونه حلقة وصل فعالة ، ليس عرضة لتغير جوهري[٢٧]. لقد قام المكتبيون دائماً بدور المرشدين لمصادر المعلومات . وإذا كانت هذه الخدمة تترجم في إيجاد الوعاء الذي يحمل المعلومات ، فإن هذه الفلسفة تحتاج إلى توسعة ، أما إذا كان اهتمام المكتبي موجهاً نحو الإمداد بالمعلومات بغض النظر عن وعائها ، فإنه قد يكون قد خطا خطوات واسعة نحو التكيف مع الشكل التقني الجديد للمكتبة .

وإذا كان المعيار الحالي للنجاح بالنسبة للمكتبي هو إيجاد الوعاء الذي يحمل المعلومات ، فإن المعيار الجديد ينبغي أن ينبني على إيجاد المعلومات ذاتها[٢٨].

إن الخطأ الذي يقع فيه البعض يتأتى من خلال ما تُوقعه التقنية في روع الإنسان عموماً ، من تضاؤل أو تلاشي دور العنصر البشري ، أي المكتبي ، قياساً على الوظائف الكثيرة والمعقدة التي تضطلع بها التقنية .

والواقع أن خاصة التعقيد هذه هي ذاتها التي تكفل للمكتبي دوراً حيوياً . فالتقنية التي يسجل من خلالها الفكر ، والاتجاه نحو المركزية في اختزانها (قواعد المعلومات الكبرى) وتنامي قوة المعلومات في عصرنا تنطوي على احتمالات الضرّ كما تنطوي على المنفعة[٢٩]. ولا خلاف بين علماء الاجتماع والاتصال على ضرورة جانب من التقنية لجعل ذلك الحمل الزائد من المعلومات ممكن الاستخدام ، لكن التقنية المستخدمة ، تؤتي نفعها إذا اندمجت فيها قدرات المكتبي ، ومن ثم يمدان ــ كلاهما معاً ــ المجتمع بأداة قوية .

ومن أمثلة الوظائف الحيوية للمكتبي في ظل البيئة التقنية الجديدة ما يلي :

- تقديم إطار أو مجال للالتقاء بين قنوات المعلومات وبين الفرد الذي يفتقد المهارة أو الدراية باستخدامها للوفاء باحتياجاته .
- فإذا كان لدى الفرد المستفسر مهارة البحث من خلال قواعد بيانات ببليوجرافية أو قواعد معلومات على الخط on line ، فإنه يمكن لمختصي المعلومات (المكتبي) أن يتدخل عند نقطة معينة خلال إجراء البحث لتقديم المعاونة ، سواء أكان ذلك استجابة لرسائل طلب «نجدة» تصدر عن نظام الحاسوب المستخدم ، أو لرسائل مماثلة من جانب الباحث[٣١].
- إن الدور الذي تأكدت أهميته للمكتبيين مع التطورات الجديدة يقتضي منهم أن يدركوا حاجتهم للتغيير ، وأن يعيدوا توجيه أنفسهم نحو التعامل مع ما تنتجه التقنية المتجددة للمعلومات ، ذلك أنه

فضلاً عن المتطلبات التأهيلية المعروفة[٣٢]، فإن الأمر الأكثر أهمية هو أن تتوفر للمكتبيين سمتا المرونة والقدرة على التجديد ، وإلا فإن آخرين سيلتهمون دورهم ، تاركين المكتبات أشبه بمتاحف التاريخ[٣٣].

ويبلور «داولين» هذه الرؤية بشكل أوضح حيث يعتبر أن أمناء المكتبات في الوقت الحالي على أعتاب اتخاذ قرار : إذ عليهم أن يختاروا بين القيام بإدخال تغييرات في المكتبات تتواكب مع الحاجات المتغيرة للمعلومات في المجتمع ، ومن ثم يحققون النجاح في العصر الإلكتروني القادم ، وبين الاستمرار في دورهم التقليدي لكونهم قيّمين على الكتب . فهل سيسمحون للدور التقليدي بأن يكون هو خط النهاية بالنسبة لمستقبل المكتبات ؟ وهل سيكون هناك دور حيوي في المستقبل لمثل هذه المؤسسات والعاملين فيها ؟

إن هذه الأسئلة التي يطرحها «داولين» لا يوجهها بطبيعة الحال إلى الأمناء أفراداً أو حتى فئات ، وإنما لمجتمعهم الواسع ، وإن شئت لفكرهم الشامل ، ولذا فإنه يعود إلى القول «إن على المكتبيين ، إذا ما أرادوا أن يكونوا هم أصحاب القرار بشأن تلك القضايا ، أن تكون لهم فلسفة ذكية ومحكمة»[٣٤].

والحقيقة أن الحاجة إلى فلسفة للمهنة ، وفلاسفة أو «رواد يساعدوننا في حل المشكلات من خلال إرشادنا عبر التغيرات الضرورية»[٣٢] أمر يتطلب بعض التفصيل الضروري لأغراض الورقة الحالية .

الحاجة إلى حكماء أو فلاسفة للمهنة :

من الضروري أن يكون لكل مهنة فلاسفتها أو حكماؤها ، أي الأفراد الذين يمكنهم الرؤية الشاملة لأحداث العالم ، والذين يستطيعون أن ينسجوا كلاً من نقاط التركيز ، والعناصر : الأصلية ، والجديدة ، والقديمة ، والحكيمة ، والحمقى ، في نماذج مميزة . ويعد القيام بهذا التوقع نشاطاً خطيراً بطبيعة الحال ، من الممكن أن يكون صالحاً فقط عند الدرجة التي يكون بها الفيلسوف حكيماً والقارىء لديه الرغبة في أن يفحص بل ويتحدى تلك التوقعات بالتقويم[٣٦].

ويستطرد «إيستليك» Eastlick صاحب الفقرة السابقة قائلاً : «ولسوء الحظ فإن مهنة المكتبات الناشئة حالياً ليس لها فلاسفة . فنحن نميل إلى الانسياق مع التيار الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، بل إن ما هو أسوأ من ذلك أننا لا نتجه إلى السير في مقدمة ذلك التيار حيث النشاط مندفع ومتفجر ، وإنما نتجه إلى السير في مسار خلفي أكثر هدوءاً ، نتبع دائماً ولا نقود أبداً . وربما كانت تلك هي طبيعة مؤسسة مثل المكتبة أن تتحرك بحذر ، وأن تصون بحرص المعرفة المسجلة لنشاط الإنسان و[إنجازاته] الماضية .

ولعل الدور التاريخي للمكتبات ، الذي يجعلها تنظر إلى الوراء ما زال الأمر الذي يسيطر على تفكير أغلبية الناس عند النظر إلى أنشطة المكتبة . فإن الدور التاريخي للمكتبات ، الذي يتسم **بأهمية لن يحدث تحديها** ، ليس كافياً لمواجهة مشكلاتها اليوم .

أما في وقتنا الحالي الذي يتنامى فيه الاتجاه نحو التغيير ، فإن حاجة مؤسسات المكتبات والمعلومات ، إلى المشاركة في قيادة حركة المجتمع أمر أساسي .

وإذا كانت الفقرات القليلة السابقة تصف حال أناس سطروا آلاف الصفحات في قضايا تمس فلسفة المهنة ، إن لم تكن تقع في صميم القلب منها مثل : المسؤولية الاجتماعية للمكتبات ، والمكتبات وحرية الفكر، والمكتبات والتغير الاجتماعي ، والمكتبات فيما بعد العصر الصناعي ، ... الخ . فما بالنا نحن في المنطقة العربية ، وإنتاجنا الفكري في مجال المكتبات والمعلومات محدود في مجمله ، وما يرتبط منه بواقعنا الفعلي أكثر محدودية ، فهل من فرصة لأفكار تفلسف أو تحكم حركة المجال ؟

إن القسم الأخير من هذه الورقة يحاول توضيح الوضع الفكري لاهتماماتنا في المجال ، وذلك من خلال طرح قضية من القضايا الكلية أو الشاملة ، إنها قضية «اللاورقية» التي استغرقتها الصفحات السابقة ، وبقي — بل هو الهدف — أن ندرك موقفنا نحن منها ، ولذا فليس من المستغرب أن يجعل الكاتب من عنوان هذا القسم عنواناً للورقة كلها . والآن إلى «نحن واللاورقية» .

نحن واللاورقية :

منذ حوالي ثلاثة عشر عاماً ، كتب صاحب المقال الحالي مقالاً يعتب فيه على الذين يتحدثون عن الزوال السريع لعصر الكتب أو الأوعية المطبوعة ، واستبدال الوسائل السمعية والبصرية بها . (وكانت الوسائل السمعية والبصرية هي التسمية الشائعة في الكتابات العربية وقتها للدلالة على تقنيات المعلومات) فقد اعتبر أن سيرنا في ذلك الاتجاه يعدّ قفزاً على الواقع ، وتجاوزاً لأولويات الاهتمام ، ثم أجرى مقارنة بين خصائص الكتاب في شكله المطبوع وبين الأوعية الأخرى ، أوضح في عقبها أنه لا مجال للتنافس بين هذه الوسائط جميعاً ، وأنه إذا كان لابدّ لهذا التنافس أن يحدث ، فليكن في سبيل الاستفادة من إمكانات وخصائص كل وسيلة إلى أقصى حد ممكن ، إلا أنه بصفة عامة كان أكثر انحيازاً للأوعية المطبوعة ، وطالب بأن تكون الأولوية لتوفير مستلزمات القراءة من مكان وتجهيزات [وأوعية] وتنظيم وخدمات يقوم عليها أمناء مؤهلون بكفاية للجمع بين الفرد والكلمة المطبوعة لتحقيق أثر إيجابي

فعال» ، «وفي هذا الصدد فإن أهمية تكوين مجموعات من الكتب والدوريات والمطبوعات الأخرى في مستوى ملائم ، وكمٌ يسمح بالتنوع والوفاء بالاحتياجات الفكرية أمر لا يحتاج إلى توضيح»[٣٧].

ويمضي التغير التقني وتزداد أدواته تنوعاً ، وقدراته تفوقاً ، وأثره في مجتمعاتنا اتساعاً . ويراجع الكاتب نفسه على ضوء ما توفر له من خبرات وتجارب ، فيجد أنه في موقف أصعب مما كان عليه (قبل ثلاثة عشر عاماً) . فقد كانت رؤيته للقضية أوضح وأيسر ، وكانت لديه الثقة في أنه يجيب على الأسئلة المطروحة وقتها .

أما الآن فإنه يدرك أن أبعاد هذه القضية أوسع كثيراً ، فهي ليست محصورة ضمن مجال المكتبات والمعلومات كتخصص أو مهنة ، وإنما تتشابك فيها الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بل والسياسية . وأتطلع حولي فإذا بنا ــ كدارسين ــ مشغولون (إن لم نقل غارقين) في شعاب متفرقة من مجال تخصصنا الموضوعي ، كما يعكس الأدب المنشور في المجال في معظمه هذا التفرق ، وإن شئت فقل التشتت[٣٨].

فإذا جئنا إلى الجهود الجماعية ، التي تعد المؤتمرات مظهرها الرئيسي إن لم نقل الوحيد ، وجدنا أنفسنا في وضع أفضل نسبياً من حيث «كلية» القضايا المطروحة ، لكنها أيضاً تخلو من طرح القضايا الكبرى أو الرؤى الاستراتيجية إن صح التعبير . فمؤتمراتنا تنعقد حول : فهرسة أسماء المؤلفين ــ تأهيل الأمناء ــ استخدام الحاسوب في المكتبات ومراكز المعلومات ــ الإعارة بين المكتبات .. الخ وهي موضوعات لا جدال في أهميتها ، إلا أنها قضايا لا تغني ولا تستغني عن المعالجات (الإطارية) التي تحيط بها جميعاً .

ويرى الكاتب أن أجدر القضايا (الإطارية) ــ بعد تحديد موقع خدمات المكتبات والمعلومات في الواقع الحالي لأمتنا ــ هي استراتيجيتنا للحقبة التقنية التي يطلق عليها البعض عصر الإلكترونيات أو عصر اللاورقية paperless age .

إن ما يحدث في منطقتنا العربية من إدخال لتقنيات المعلومات والتوسع في استخدامها دون فلسفة تحكم وتوجه وترشد هذا الاستخدام يعد خطأ فادحاً ، وقد يصل بالنسبة لأصحاب التخصص والمسؤولية في المجال ــ إذا هم تعمدوا الإغفال ــ حد الخطيئة .

والآن إلى بعض الأسئلة التي تمثل اجتهاداً مبدئياً في تحليل القضية المطروحة[٣٩] .

ما هو موقفنا بين الورق واللاورق ؟

هل يمكننا دخول عصر اللاورق أو عصر الإلكترونيات دون استيعاب العصر الورقي ؟ بطريقة أخرى هل نتحول عن الأوعية التقليدية (المطبوعة) إلى الأوعية المصغرة أو المحسبة أو المليزرة ؟ ومن القراءة بشكلها التقليدي إلى القراءة في شكلها التقني ؟ وهل يمكن لهذه النقلة أن تتحقق في يسر ؟[٤٠].

ثم مرة أخرى مع القراءة : أي قراءة ننميها في أفراد المجتمع ؟ القراءة بالمفهوم الذي يعني فك الرموز (أو محو الأمية) وهي مهمة ما زالت تمثل حجماً مؤثراً في منطقتنا العربية ، وإن مللنا إلى نسيانها !! أم القراءة في وظيفتها التثقيفية والبحثية[٤١]؟ أم القراءة بمفهوم القدرة على تلقي المعلومات من التقنيات الجديدة والحاسوب أبرزها ؟

وحول الورقية واللاورقية يأتي السؤال الواقعي : هل يمكن أن يتعايشا في ذات المجتمع ؟ وهل يتساويان في سلم الأولويات ؟ وإذا كانت الإجابة بالنفي فلأيهما تكون الأولوية ؟

ومما يتعلق بهذه النقطة يجيء التساؤل من منظور الأنواع المختلفة لخدمات المكتبات والمعلومات والفئات الاجتماعية الموجهة إليها ــ أي هذه الأنواع أكثر احتياجاً لتقنية الورق (الكتاب والأوعية الأخرى المطبوعة) ؟ وفي المقابل ما هي الخدمات الأكثر اعتماداً على التقنيات الحديثة ؟ ولابد أن يأتي بعد ذلك السؤال «الوسط» عن نوع خدمات المكتبات والمعلومات التي تقدمها مؤسساتها من خلال الاستفادة من التقنيتين (الورقية واللاورقية) معاً ...

وإن كان لنا أن نطرح هذه الأسئلة لتحديد الموقف في المنطقة العربية جملة من تقنيات المكتبات والمعلومات ، نظراً للقواسم المشتركة بين مجتمعات أو أقطار هذه المنطقة ، فمن الضروري أن يلحق بذلك ويكمله أسئلة محلية خاصة بكل قطر أو دولة نظراً للقواسم غير المشتركة مثل التفاوت الاقتصادي والتعليمي ، وبشكل مباشر التفاوت التقني (اقتناء أجهزة الحاسوب ــ على سبيل المثال ــ ونوعياتها وأعدادها) . وهذا التحليل المحلي أو الجزئي ، إن صح إعداده واستثماره ، يمكن أن يعالج التفاوت في الإمكانات التقنية لصالح المجموعة العربية ، وبخاصة مع استفادة هذه المجموعة من الثورة في الاتصالات (المشار إليها سابقاً) وإطلاق التوابع (الأقمار الصناعية) العربية للاتصالات .

إن الأسئلة التي ساقها الكاتب ليست بطبيعة الحال هي كل ما يثار أو ينبغي أن يثار فيما نحن بصدده ، وهذا أمر نعاود تأكيده ، كما أن الإجابة على هذه الأسئلة ، وبالأحرى ما يضاف إليها تتجاوز طاقة أي شخص فرد من أبناء التخصص أو المهنة . إنها لا يمكن أن تجاوب إجابة رشيدة إلا من خلال جهد جماعي ، جهد فريق بصرف النظر عن الشكل الذي يتخذه : مؤتمر ، ندوة ، حلقة بحث . المهم أن تتوفر لها إمكانات الدراسة الفاحصة ، وإمكانات جمع البيانات والمد ات ، فالطريق إلى معالجة القضايا الكبرى يمرّ

عبر فيض من التفاصيل والجزئيات(٤٢) .

والإمكانات المشار إليها تقتضي إسهام هيئة أو منظمة من المنظمات العربية ، سواء على مستوى الأقطار العربية أو إحدى منظمات جامعة الدول العربية ، هيئة أو منظمة تدرك أو يمكن أن تدرك أهمية هذه القضية وتأثيرها الحيوي في مستقبل هذه الأمة ، وتدرك أيضاً أن المسألة ليست استضافة مندوبين وحفلات استقبال وتكريم ، ثم بيان ختامي تسوده عبارات الود والتمني ، وإنما الصورة التي يراها الكاتب أقرب إلى مشروع دراسة ـــ بما يعنيه ذلك من اعتماد منهج البحث العلمي أساساً ـــ يقوم به فريق عبر فترة زمنية تتواءم مع متطلبات جمع البيانات وفحصها وتحليلها واستخراج النتائج ، ثم يكون الملتقى ، أو المؤتمر لعرض ما تم التوصل إليه ومناقشته .

وقد يتساءل البعض لم لا نطالب التجمعات المهنية في مجال المكتبات والمعلومات أن تكون صاحبة المبادرة في هذا المشروع ؟

ولا يخالجني شك في أن أولى الناس بهذا هو التجمعات المهنية باعتبارها ـــ على حد تعبير «داولين» العامل الحاسم في معادلة النجاح لخدمات المكتبات والمعلومات(٤٣) ـــ لكن فيما أفهم يقصد الجمعيات المهنية النشطة التكوين والتنظيم والأداء ، أما التجمعات المهنية العربية في مجال المكتبات والمعلومات سواء أخذت شكل جمعية أو اتحاد ففي وضع لا تحسد عليه من حيث الإمكانات المادية أو الفنية ، هذا إذا غضضنا النظر عن مشكلات الأنانية ، والأغراض الذاتية ... الخ .

لكننا أصحاب التخصص ، أفراداً كنا أم جمعيات واتحادات ، مطالبون بأقصى جهد ممكن ، وقد تعلمنا في المقابل ـــ ديناً وعلماً ـــ ألّا نستصغر الإسهام بما في وسعنا ، وإذا كان المكتبيون في الخارج يواجهون تحدياً تقنياً ملحاً في وسط مجتمع أو بيئة تقنية ، فلا مبالغة في القول أن ما نواجهه من تحديات ذو حجم مضاعف لا يتسع المجال هنا لتفصيلاتها ، وإنما حسبنا أن نلح على أهمية المشاركة بالرأي والجهد والنصيحة في القضايا الوثيقة الصلة بمهمتنا ومجال عملنا .

ومن هذا المنطلق يبادر الكاتب إلى طرح مجموعة من المسلمات تمثل في أغلبها استنتاجات أو معطيات لما عرضته الورقة الحالية ، لتكون إطاراً لمعالجة موقفنا من اللاورقية أو من التقنيات الحديثة لخدمات المكتبات والمعلومات ، ولتكون أيضاً تحت تصرف الهيئات والأفراد الذين يهمهم أن نتسلح بالقوة الجديدة : قوة المعلومات ، ولعلنا نتذكر أننا بذلك ننفذ أمراً سماوياً ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...**﴾(٤٤).

مسلمات مبدئية :

ـــ إن مؤسسات خدمات المكتبات والمعلومات وهي تسعى للاستجابة للاحتياجات المعرفية للإنسانية مجبرة على إدخال تقنيات ومهارات مشتقة من العلوم التطبيقية ، وقد تطلب تضاعف المواد المسجلة ثورة في تلك التقنيات ، ومن ثم لا عجب أن يقوم المكتبيون [عن طريق تحديد متطلبات مؤسساتهم] بمساعدة المهندسين في تطوير تقنيات عالية الكفاءة . لكن التقنية وسيلة لا غاية ، وإذا افتقدنا النظرية التي توجه مسارها وهدفها فإنها تسير بغير هدف ، وإذا وصلت إلى هدفها فإنما تفعل من خلال الظروف الحسنة الحظ . ولذا فإنه إذا كان للمكتبات أن تعيش كمهنة ، فإنها يجب أن ترتفع فوق الحاسوب وفوق المهندس وفوق محلل النظم(٤٥). ولهذا التحذير من جانب «شيرا» أهمية بالنسبة لنا ، حيث يرى البعض ـــ وهو ما يحسبه الكاتب حقيقة لا تقبل الجدل ـــ أن مشكلتنا مع التقنية هي الاهتمام باقتناء أدواتها أو أجهزتها دون النظر إلى أفكارها ونظرياتها(٤٦).

ـــ إن نزوع المجتمعات نحو السيطرة على المعلومات أمر واقع في عالمنا المعاصر ، ولا يتوقع أن يتوقف السباق في هذا الميدان ، بل المرجح أن يأخذ في الازدياد .

وإذا كان القرن التاسع عشر قد وصف من جانب الماركسيين بالصراع من أجل السيطرة على وسائل الإنتاج . فإن القرن العشرين وتأكيداً القرن الواحد والعشرين ـــ يعرف الآن بالصراع من أجل السيطرة على وسائل الاتصال والمعلومات(٤٧) ـــ ولعلنا لا نكون في حاجة إلى القول بأننا في المنطقة العربية لسنا دعاة سيطرة ، بقدر ما هو سعي من أجل حقنا في المشاركة .

ـــ إن خدمات المكتبات والمعلومات تحيا من خلال ظروف اجتماعية متنوعة ، صحيح أنها في المقام الأول عبارة عن تسهيلات (مرافق) ، ومجموعة من المواد أو الأوعية (بغض النظر عن الشكل التقني الذي تظهر فيه) ، وهيئة من البشر العاملين ، إلا أنها تعيش دون أن يكون لها غرض ذاتي ، وذلك أن الأهداف التي توجد المكتبة من أجلها هي أهداف أولئك الذين ينشئونها ويحكمونها ويستخدمونها . وهؤلاء عرضة بطبيعة الحال للتغير عبر الزمن ، كما أنهم يمكن أن يختلفوا تبعاً للظروف . وبعبارة أخرى فإن المكتبة كيان مولد (مشتق derivative) ، إنها أداة وجدت لتخدم أهدافاً خاصة في أوقات خاصة (٤٨).

وإذا كانت المكتبة تتولد أو تشتق من ظروف الإنسان في المجتمع ، وإذا كانت المجتمعات تتباين فيما بينها ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً .. الخ فإن النقل الحرفي لأنماط الخدمات مهما بدت درجة

حداثتها وتطورها يعد خطأً فادحاً . إن أنماط هذه الخدمات في كل مجتمع تتكيف وفقاً لخصائص هذا المجتمع ، وموقع خدمات المكتبات والمعلومات في خطه التنموي أو في خريطة التنمية فيه ككل ، والأهداف التي يكونها لهذه الخدمات وترتيبه للأولويات في دائرتها ، وترتيبه كذلك لأولويات الفئات المستفيدة منها ... الخ .

ـــ إن إدخال التقنيات عموماً وتقنيات المعلومات بوجه خاص ليس مرادفاً لاستيرادها ، كما أن استيراد التقنية ليس هو العنصر الرئيسي في عملية التحول إلى التقنية (راجع المسلمة الأولى) . إن العنصر الرئيسي هو العنصر البشري الذي يصنع التقنية وإبداعاتها ، وهو الذي يدير المؤسسات المعتمدة على التقنية، وهو في النهاية المستفيد منها .

وعلى ذلك فإننا في حاجة إلى كفاءة ووعي ومهارة العنصر البشري في مستويات ثلاثة :

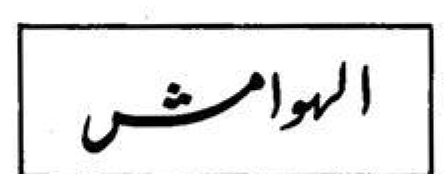
أ . مسؤولو التكوينات المادية ، بمعنى توفير القاعدة الفنية المدربة للتشغيل والصيانة ، ولا يرى الكاتب مبالغة في المطالبة بأن نتجه جدياً إلى تصنيع هذه المكونات ، ولنبدأ على الأقل بتصنيع جزئي في المدى القريب .

ب . مسؤولو التكوينات الفنية ، وإذا كان الذهن ينصرف إلى المبرمجين ومحللي النظم عند ذكر التكوينات الفنية ، فإننا نضيف إلى هؤلاء كل العناصر البشرية المتصلة بالجانب الفكري من العمل : مثل التخطيط واتخاذ القرارات والتطوير .. الخ .

إن الوصول بالكفاية والمهارة للعناصر البشرية في المستويين السابقين ينبغي أن يصل إلى درجة تجعل احتمالات حجب التكوينات المادية أو الفنية أو كليهما معاً من جانب الموردين الخارجيين أمراً خاضعاً للسيطرة والمواجهة ـــ وبخاصة أن هذه الاحتمالات ليست شيئاً مستبعداً ، هذا فضلاً عن تأمين التعامل الواعي مع هؤلاء الموردين في الأحوال العادية .

جـ . مستخدمو تقنية المعلومات أو المستفيدون منها ، ونكرر هنا ما سبقت الإشارة إليه من أن الهدف الرئيسي لخدمات المعلومات هو تحقيق أهداف المستفيدين منها ، ولا يتحقق ذلك إلا بتعرف هؤلاء الأخيرين على التقنيات المستخدمة ، والقدرة على استخدامها والاستفادة منها ، وكثيراً ما يتردد القول بأن العجز عن استخدام وسيلة ما لا يحول فقط دون استخدامها ، وإنما يؤدي إلى الاتجاه نحو معاداتها .

ومن ثم أصبح أحد أضلع إدخال التقنية هو تنفيذ برامج وافية زمناً ومحتوى لتوعية المستفيدين وتدريبهم على استخدام التقنيات ، ويأتي في مقدمتها ما يطلق عليه محو الأمية الحاسوبية ، التي تعد مطلباً أساسياً للمكتبات ومراكز المعلومات التي تستخدم الحاسوب استخداماً مكثفاً . وبالله التوفيق .



(١) الحاسوب هو اللفظ الذي أقرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مقابل كلمة Computer .

(٢) Wilson, Pauline "Taking the library out of the library education" [in] **Library Literature 12 - The Best of 1981.** p. 69.

(٣) Ibid. p. 72.

(٤) محمد قطب . التطور والثبات في حياة البشر ، بيروت : دار الشروق ، ١٣٩٧/١٩٧٧ م . ص ٨٣ ، ١٤٥ .

(٥) Overmyer, La Vahn. "Deus ex machina" [in] Shera, Jesse H. **Introduction to library science.** Littleton, Colorado: Libraries Unlimited, 1976. p. 103.

(٦) Corbin, John. "The education of librarians in an age of information technology". **Journal of Library administration,** Vol. 9., n. 4. p 77.

(٧) لا يعني التركيز هنا على التغير التقني أنه كل شيء فيما طرأ على المجتمعات الحديثة ، ويكفي أن نشير إلى أن كاتباً يعالج البيئة الاجتماعية ، وضعه في المرتبة الثالثة بعد النمو السكاني والانتشار في المناطق الحضرية ، واتساع المعرفة الإنسانية .. راجع Ralph, Canant W. The sociological enviroment [in] Eastalick. Knowledge feeds upon knowledge.

(٨) Dara, Biblarz. "Information is power: the future of collection development in libraries" [in] **Library leadership: visualing the future**/ed. by Donald E. Riggs. Ecanto Phoenix, Arizona: the Oryx Pr., 1982. p. 85, 86.

يرى «لانكستر» أن يتم توزيع سجلات المعلومات المختزنة على وسائط الاختزان تبعاً لحداثة المعلومات وقدر الاستخدام الذي تحظى به ، وهكذا فإن السجلات الأقدم والأقل استخداماً تختزن على وسيط أقل نسبياً في مدى الإتاحة مثل المصغرات . راجع : Lancester, F.W. Toward paperless information systems. New York:

Academic Pr., 1978. p. 68.

(٩) سورة النحل : ٨ .

(١٠) Ibid. p. 158

(١١) Dara, Biblarz. Op. cit. p. 86

(١٢) Lancester, F.W. Loc. cit.

(١٣) يلاحظ أن وسم المكتبات القائمة على الأوعية المطبوعة بالمتحفية ، قد أصبح من المسلمات (؟) عند بعض الكتاب .

(١٤) Dara, Biblarz Op. cit. p. 85.

(١٥) Lancester, F.W. Op. cit. p 156.

(١٦) Martin, Suzan K. "The role of the systems librarian." **Journal of Library Administration**, vol. 9, n. 4 (1988) p. 58.

(١٧) يود الكاتب الإشارة إلى أنه قد حاول استيعاب أكبر قدر ممكن مما صدر في الموضوع ، إلا أنه لا يغدو أن يكون سوى عينة محدودة .

(١٨) Denniston, Robin "The academic publisher" **Scholarly Publishing.** (July 1979) p. 296.

(١٩) ، (٢٠) Wilson, Pauline. Op. cit. p. 72.

(٢١) Fosket, D. J. Pathways for communication: books and libraries in the information age. London: Clive Bingley, 1984. p. 63.

استفاد الكاتب ـــ إلى جانب النص الأصلي ـــ من الترجمة العربية للكتاب التي أعدها الأخ حمد عبد القادر ضمن مشروع مشترك لترجمة مجموعة من الكتب في مجال المكتبات والمعلومات بين قسم المكتبات والمعلومات ـــ كلية العلوم الاجتماعية ومركز البحوث ـــ عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . (تنشر الترجمة قريباً بإذن الله) .

(٢٢) ، (٢٣) Fosket. Op. cit. p. 69, 70.

ـــ من الطريف أن «فوسكت» يذكرنا بأن فكرة المجتمع اللاورقي paperless society ليست جديدة ، وأنها ابتدعت في الحقيقة قبل زمن طويل من ظهور الحاسوب ، وذلك عندما نشر ألدوس هكسلي Aldous Huxley كتاب : عالم جديد شجاع Brave new world .

(٢٤) Boyce, Bert R. and Kathleen M. Heim. "The education of library systems analysis for nineties." **Journal of Library Administration**, vol. 9, n. 4 (1988) p. 69.

(٢٥) Shera, J. S. Sociological function of librarianship. Bombay: Asia, 1970. p. 29.

(٢٦) __. The foundation of education for librarianship. New York: Becker and Hays, 1982. p. 206.

(٢٧) هناك تعبير جديد استخدمه «داولين» بالنسبة لدور المكتبي ، حيث يقول إنه يتمثل في تقديم قيمة مضافة Value added للبيانات والمعارف من خلال تجميعها وتخزينها واسترجاعها في إطار يؤمن ويدعم الوصول إليها والحفاظ عليها . وواضح أن المصطلح مستعار من المجال الاقتصادي . راجع : داولين ، كنيث إ . المرجع السابق . ص ٣٤ .

(٢٨) داولين ، كنيث إم . المكتبة في عصر الإلكترونيات : الآفاق المرتقبة ووقائع التطبيق/ترجمة حسني عبد الرحمن الشيمي ؛ مراجعة حمد عبد الله عبد القادر . الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية [ينشر قريباً إن شاء الله] ص ٣٤ .

(٢٩) Schuman, Patricia Glass. "Social responsibility: an agenda for the future" [in] **Social responsibilities and libraries: a Library Journal, School Library Journal selection**/ed. by Patricia Glass Schuman. New York: Bowker, 1976. p. 373.

(٣٠) داولين ، كنيث إ . المرجع السابق . ص ٣٦ .

(٣١) Schuman, Patricia Glass. Loc. cit.

(٣٢) عدد «لانكستر» منذ أكثر من عقد من الزمن بعض المتطلبات التأهيلية للمكتبيين للتعامل مع التقنيات الجديدة مثل «التأكيد على معرفة المصادر المقروءة آلياً ، وكيف تستغل بأكبر قدر من الفعالية ، ومعرفة جيدة بسياسات وإجراءات التكشيف ، وبناء وخصائص المكانز المستخدمة في قواعد المعلومات ، ولغات الاستفسار ، واستراتيجيات البحث ، وسبل تحقيق أقصى قدر من التفاعل مع المستفيدين ، ويحتمل أن تكون هناك حاجة لمعرفة تقنيات الاتصال» . ولعل هذه الوحدات الدراسية لم تعد مثار خلاف بالنسبة لمعظم كليات أو مدارس المكتبات في وقتنا الحالي . راجع Lancester, F. W. Op. cit. P. 158.

(٣٣) Martin, Suzan K. Op. cit. p. 59.

(٣٤) داولين ، كنيث إ . المرجع السابق . ص ٧ .

(٣٥) Dara, Biblarz. Op. cit. p. 84.

(٣٦) The cahnging enviroment of libraries: papers delivered at the 1970-71 Colloquium Series, Graduate School of Librarianship, University of Denver/ed. by John T. Easthick. Chicago: American Library Assocation, 1971. p 1.

(٣٧) حسني عبد الرحمن الشيمي . «التكاملية في استخدام الكتب والمواد الأخرى في المكتبة المدرسية» . **صحيفة المكتبة** ، مج ٨ ، ع ٢ (أبريل ١٩٧٦) .

(٣٨) من الانتقادات الصائبة التي وجهت لإحدى دوريات المكتبات والمعلومات ، أنها لا تقدم معالجات شاملة لقضايا التخصص ، ولا تقتفي أثر بعض المجلات

المتخصصة في تكريس إصدارات منها لهذا الغرض «بحيث تشكل مجموعة مقالات العدد الواحد بانوراما فكرية حول موضوع واحد ، بمعنى أن تتناول مقالات العدد الواحد الموضوع من كافة جوانبه المختلفة ...»

راجع : حامد الشافعي دياب . ''مجلة المكتبات والمعلومات العربية (١٩٨١ ــ ١٩٨٤) دراسة تحليلية وكشاف ''. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية** ، س ٥ ، ع ١ (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ ــ يناير ١٩٨٥) ص ٨٣ .

ــ وللحقيقة فإن المجلة العربية للمعلومات الصادرة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قدمت في بعض أعدادها معالجات لموضوع واحد ، وإن بدت مجرد نشر للقاءات أو مؤتمرات عقدت في نطاق المنظمة .

(٣٩) يرحب الكاتب بكل مشاركة في التحليل ، ويرجو أن يتاح له الاطلاع عليها سواء من خلال إرسالها إلى «عالم الكتب» أو على العنوان الحالي للكاتب في كلية العلوم الاجتماعية ص.ب ٣١٦٩ ــ الرياض ــ المملكة العربية السعودية .

(٤٠) قد يُتصور أن بعض المجتمعات دخلت عصر الذرة دون أن تشارك أو تسهم في عصر البخار وعصر الكهرباء ، وحتى على افتراض ذلك بالنسبة للسلع المادية ، فهل يصدق ذلك على سلع أو أدوات الفكر أو المعلومات ؟

(٤١) من الأمور التي توجب التأمل ، أن الولايات المتحدة التي كانت مصدراً لإرهاصات المجتمع اللاورقي ، جعلت من عام ١٩٨٩ عاماً لحملة من أجل نشء قارىء [للأوعية المطبوعة] وأن هناك اتفاقاً على أن بناء أمة من القراء الناشئين أمر غير هين ، وأنه كلما زاد عدد الأفراد المشتركين في الأخذ بأيدي الأطفال نحو القراءة ، كان الوضع أفضل . راجع :

Hass, Elizabeth A. ''Librarians & booksellers working togehter'' **School Library Journal.** Jan. 1989. P. 24.

(٤٢) من الأمور التي تبعث على الأسف أن تكون أوراق المؤتمرات العربية المعنية بالمعلومات -خالية في معظمها من المعلومات والبيانات ، معتمدة على الرؤى والسوانح ــ على الرغم من أن هدف أصحابها هو ترسيخ دور المعلومات في حركة ونشاط المجتمع .

(٤٣) داولين ، كنيث إ . المرجع السابق . ص ١٣٠ .

(٤٤) سورة الأنفال : ٦٠ .

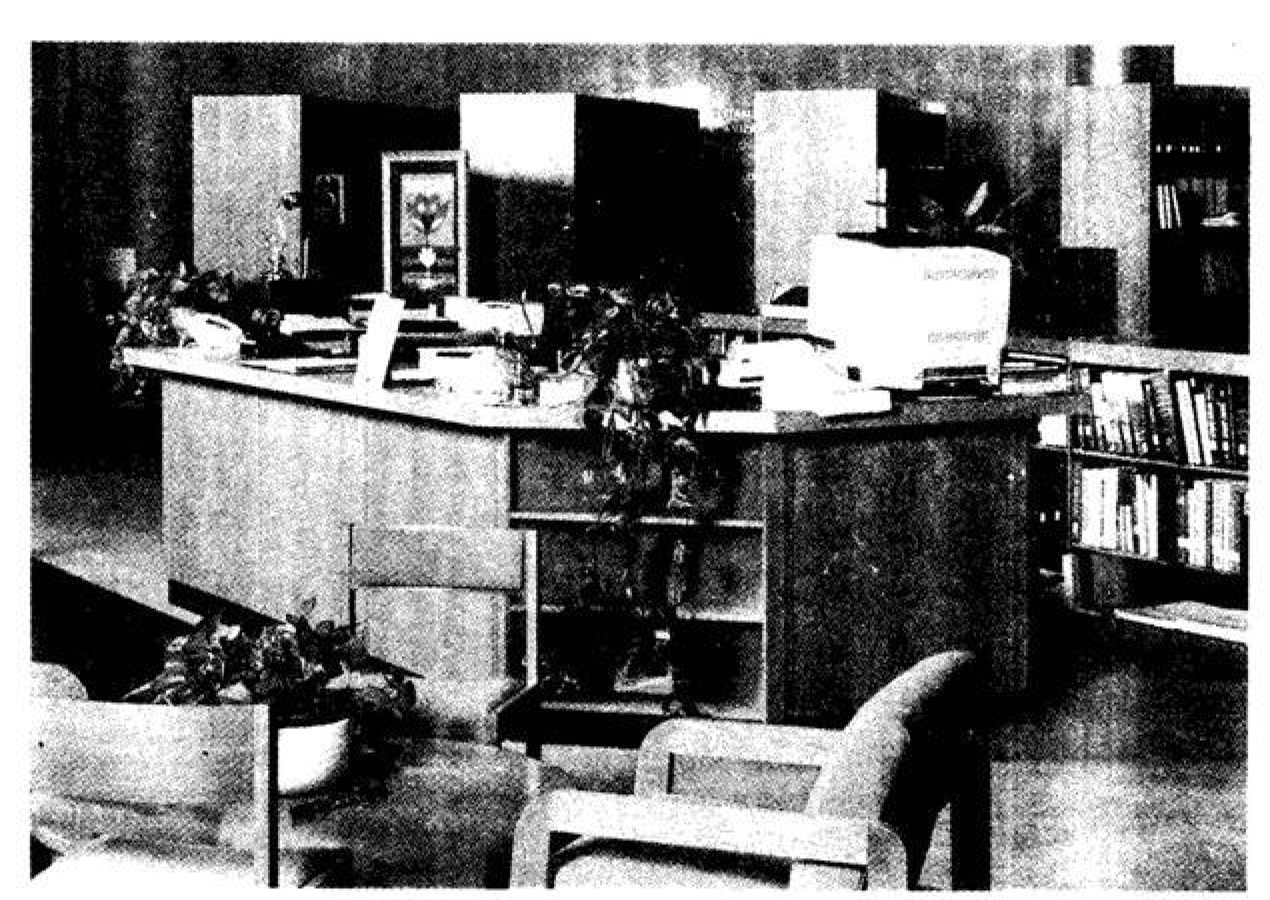
(٤٥) Shera. J.S. The foundations of education for librarianship. p. 351.

(٤٦) توجه العالم الباكستاني الشهير الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء «الدكتور عبد السلام» بنداء إلى العالم الثالث حول استخدام التقنية قائلاً : إن المهم ليس هو نقل التقنية إنما الأهم هو نشر العلوم النظرية والتطبيقية والتهيؤ علمياً قبل استيرادها . راجع : عبد الله باجبير . «ولكن من يرى ومن يسمع» **الشرق الأوسط** (١٨ جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ) . وأيضاً :

محمود محمد سفر . دراسة في البناء الحضاري (محنة المسلم مع حضارة عصره) تقديم بقلم عمر عبيد حسنة .ــ ط ١ .ــ [الدوحة] رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، ١٤٠٩ هـ .

(٤٧) The right to information/ed. by Jana Varlejs London: McFarland, 1984. p 30.

(٤٨) Colson, John Calvin. ''Professional ideals and social realites: some questions about the education of librarians'' [in] **Library Lit. 12 - The Best of 1981.**



مع مجلة الجامعة في سنيها الثلاث الأولى

علي جواد الطاهر
أستاذ متقاعد - جامعة بغداد

مقدمة :

منشىء المجلة : فرح أنطون ، أديب معروف ، له مؤلفات عدة موضوعة ومترجمة ، من بحوث ومقالات وروايات ومسرحيات . وكتبت عنه عدة دراسات كذلك ، منها ما ضمنه مارون عبود كتابه عن رواد النهضة الحديثة . عرَّف به الزركلي في «الأعلام» ، فكان مما قال :

ولد في طرابلس الشام سنة ١٨٧٤ م (١٢٩١ هـ) ؛ نزح إلى مصر سنة ١٨٩٧ فأصدر مجلة «الجامعة» وتولى تحرير «صدى الأهرام» ستة أشهر ، وأنشأ لشقيقته روز فرح حداد مجلة «السيدات» وكان يكتب فيها بتواقيع مستعارة .

ورحل إلى أميركا سنة ١٩٠٧ فأصدر مجلة وجريدة باسم «الجامعة» .

وعاد إلى مصر ، فشارك في تحرير بضع جرائد وأصدر مجلته .

توفي سنة ١٩٢٢ م (١٣٤٠ هـ) .

وختم الزركلي كلامه بقوله : «كان عزيز النفس ، لين الطبع ، جلداً على العمل ، راضياً بالكفاف ؛ قاوم النزعات الاستعمارية ، وكانت له في خدمة النهضة المصرية يد» .

يهمنا منه هنا الجانب الصحفي ، بل عمل واحد من أعماله الصحفية هو «الجامعة» . و «الجامعة» مجلة أصدرها بالإسكندرية في ختام القرن التاسع عشر سماها أولاً «الجامعة العثمانية» ثم عدل سريعاً إلى «الجامعة» فقط . واستمر على إصدارها — في الإسكندرية — أربع سنوات (١٨٩٩ — ١٩٠٤) . ثم هاجر إلى أميركا فأصدرها — في نيويورك — سنتين (١٩٠٦ — ١٩٠٨) ، وحين عاد إلى مصر أصدرها في القاهرة سنة واحدة (١٩٠٩ — ١٩١٠) توقفت بعدها .

تُنُبهت «دار صادر» ببيروت إلى بُعد العهد بالمجلة والحاجة إليها، فأعادت نشرها كلها مصورة (د . ت ؟) .

للمجلة مكانتها في تاريخ الصحافة العربية والتاريخ العام بفروعه . وقد شرعتُ — في ضوء هذه المكانة — أُلم بها (في طبعتها المصورة) متوقفاً من موادها وسطورها عندما أحسب التنبيه عليه نافعاً له قيمته الباقية ، وبخاصة ما كان في الاجتماع والفكر والأدب ، وما كان أصلاً لمصطلح وبدءاً في ترجمة كلمة وتبكيراً في تقليد وإشارة إلى ما يمكن أن يؤخذ موضوعاً للدراسة فضلاً عما تكوِّنه المجلة نفسها ، وما يحسن أن يطول الاقتباس من وثائقها ..

إن في هذه الوقفات ثقافة وعوداً بالحديث المعاصر إلى الحديث الذي صار ماضياً قريباً ووصلاً بينهما وتذكيراً بمصدر — وربما وقعت من القراء موقعاً خاصاً مُرْضياً ودعت المتوفرين منهم على مثل هذه «المجلة» من الصحافة العربية المبكرة إلى تكرار التجربة وزيادة ما يرونه جديراً بالزيادة .

(١)

صدرت في أجزائها الإثني عشر الأولى من السنة الأولى باسم : «الجامعة العثمانية» : «مجلة سياسية أدبية علمية تهذيبية» شعارها : «الله والوطن ، الاتحاد والارتقاء» مع قولين : الأول لجان جاك روسو «يكون الرجال كما يريد النساء فإذا أردتم أن يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة» ، والثاني لجول سيمون : «ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط، فإن بث الفضيلة والإقدام من أخص وظائف المدرسة» .

المجلة تصدر في الإسكندرية ، صدر الجزء الأول من السنة الأولى في ١٥ مارس (آذار) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٣ ذو القعدة سنة ١٣١٦ — بعشرين صفحة من القطع الكبير ، أرقام الصفحات متسلسلة . وهي في سنتها الأولى نصف شهرية .

وإذا كان المعروف أن منشىء هذه المجلة هو «فرح أنطون» فإن اسمه لم يظهر عليها وإن فهم ضمناً من كلامه أو من أسماء مؤلفاته ومترجماته .. بل يمكن أن يعود السبب الحقيقي إلى أننا نتابعها هنا

مصورة صادرة عن دار صادر ـــ بيروت ولم تراع دار صادر ضرورة تصوير الغلاف الخارجي وعليه : أنها مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية لصاحبيها : منشئها فرح أنطون ومديرها مخائيل كرم .

وواضح من اسمها ـــ في الأقل ـــ أنها مع السلطان العثماني .. وللدعوة من أجل ترسيخ «الجامعة العثمانية» ..

١ ـــ من أبواب المجلة : «باب المقالات» ، وباب «الشعر والإنشاء» ويفهم من المقالات أنها ما كانت إخباراً مطولاً بحدث أو إيصالاً مطولاً لمعرفة .. فالمقالة صحفية ، تعليمية . ويفهم من «الإنشاء» ما يرد من النثر فنياً ، وكأنه المقالة الفنية .

وفي المجلة «باب الروايات» والمقصود بالرواية هنا ، هو ما صدر مقصوداً بها أي القصة الطويلة . فإذا قصد إلى ما عرف ـــ فيما بعد ـــ بالمسرحية ميزها المتحدث فقال «الرواية التمثيلية » .

والرواية الأولى التي ينشرها فصولاً باسم «رواية الحب حتى الموت» تأليف منشىء هذه المجلة ـــ ولم يذكر اسمه «فرح أنطون» . وتنتهي بنهاية الجزء الثاني عشر .

باب المقالات مهم لمن يدرس العصر سياسياً واجتماعياً .. ومثله في مثل هذه الأهمية باب التربية والتعليم ، وباب المرأة والعائلة ، وباب الأخبار الداخلية ، وباب الأخبار الخارجية .

٢ ـــ يذكر منشىء المجلة السلطان العثماني بالتعظيم . جاء في «المقدمة» : «وفي الختام تدعو الجامعة العثمانية إلى الله تعالى أن يحفظ للوطن العثماني جلالة مولانا السلطان الأعظم عبد الحميد الثاني حامي حمى الدولة وجامع الجامعة الوطنية العثمانية .. ثم نسأله .. أن يديم على هذا القطر .. جناب الخديوي المعظم» عباس .

أ ـــ مفهوم الوطن لديه لا يحد بقطر واحد ، أو بلد واحد فالدولة العثمانية كلها وطن .

ب ـــ والقطر هو البلد من مجموع السلطنة ممثل هنا بمصر ..

جـ ـــ نلاحظ استعمال «جلالة» للسلطان .

٣ ـــ يلاحظ أن «المنشىء ، منشىء المجلة يتحدث عن نفسه باسم «المنشىء» ولم ترد صاحب المجلة أو رئيس التحرير . وإن كانت كلمة التحرير قد وردت على ص ٣ هكذا : «يساعد في تحرير هذه المجلة ..» .

وأنه استعمل «المقدمة» ولم يستعمل «الافتتاحية» كأن «الافتتاحية» لما تولد .

واستعمل «عنوان المجلة» (ص ٧) ولم يقل شعار ..

٤ ـــ ص ٣٥ : الروايات ، نصيحة للكتاب بقلم عالم عن علماء الشرق : «أريد بالكتبة الذين أخاطبهم مؤلفي الأقاصيص والروايات ومعربيها وطابعيها وناشريها وممثليها (...) أتمنى قبل الإقدام على تعريب قصة تقرأ في الخلوات أو رواية يحشد لها في المراسح أن يختاروا منها ما كان جامعاً بين الفائدة واللذة سيما ما انطبق بعضه على أخلاق قومنا وشؤون وطننا ..» مع صورة «المرحوم الشيخ نجيب الحداد الشاعر والكاتب مرقي فن الروايات في مصر» وصورة لممثلة بارعة في الجوق الإيطالي .

نلاحظ الكلمات : الكتبة . الروايات . التعريب . المراسح . سيما . ونضيف إليها فيئة يريد فئة .

٥ ـــ يذكر ما يصل إليه من كتب ومجلات في باب «هدايا وتقاريظ» وباب «التقريظ والانتقاد» وكلمة «الانتقاد» هي التي ترد مكان ما سيصير «النقد» . ومما ورد في الجزء الثاني عشر : «رواية لادياس تأليف حضرة شاعر مصر المجيد عزتلو أحمد بك شوقي ..»

٦ ـــ في الجزء التاسع من السنة الأولى (١٥ يوليو ١٨٩٩) باب الشعر والإنشاء : «أديب إسحاق شاعر منشىء . وخطيب لحضرة الكاتب الأديب أنيس أفندي يواكيم الراسبي» ص ص ١٦٤ ـــ ١٦٥ .

٧ ـــ ص ١٨٩ (ج ١٠ في أغسطس (آب) ١٨٩٩) : «أغلاط مطبعية يكاد لا يخلو منها كتاب أو جريدة ..»

الصحيح : لا يكاد يخلو منها ..

والخطأ ـــ على هذا ـــ قديم ـــ في العصر الحديث. متأثر بالترجمة .

٨ ـــ مما ورد في باب «التقريظ والانتقاد» (ج ١١ ، ص ٢٠٩ ١٥ أغسطس ١٨٩٩/٩ ربيع الثاني ١٣١٧) : الرحلة الحجازية ... لمؤلفه ... محمد بن سليم الشهابي المخزومي وصف فيه المدينة المنورة ومكة المكرمة ونجداً ومصر والشام وتونس والجزائر.. وهو كتاب تلذ مطالعته لأن القارىء يشهد فيه بالفكر ما شهده المؤلف بالنظر وعانى وصفه مشقة الانتقال والسفر .

٩ ـــ وردت كلمة «الأدب» في حديثه عن النبت الجديد (= الجيل الجديد) ج ١٢ س ١ (١ سبتمبر ١٨٩٩) هكذا : «ونقسم الأدب هنا إلى قسمين . الأول عقلي والثاني اجتماعي (...) أما في حقل الأدب العقلي فحسبك أن تنظر النهضة العلمية الأخيرة لتعلم أن الفكر الشرقي لم يبق واقفاً بل خطا إلى الأمام خطوات واسعة فالمدارس أنشأت (كذا ، والصحيح أنشئت) ، والكتب طبعت والجمعيات ألفت . والجرائد .. فالفكر الشرقي وقل الفكر العثماني ..

وأما حقل الأدب الاجتماعي ففيه قسمان أيضاً : الأدب الاجتماعي الخاص والأدب الاجتماعي العام .

ونريد بالأول الآداب البيتية وبالثاني الآداب السياسية ..»

ويفهم — على هذا — أنه يقصد بالأدب إلى الفكر أولاً ..

١٠ — ص ٢٢٤ «البوسطة المصرية .. مكاتب البوسطة» بدليل أن كلمة «البريد» لما تولد، أو لما تشع وبقيت اللفظة بتعريبها الأجنبي ..

١١ — تنتهي في العدد (١٢) رواية «الحب حتى الموت» «وسنبدأ في الجزء القادم بنشر رواية «نهضة الأسد» .. للكاتب الفرنسوي اسكندر ديماس .. نجعل الرواية [يقصد ما ينشر منها مسلسلاً] في ثماني صفحات تلحق بالمجلة فإذا أراد القارىء جمعها على التوالي في كتاب واحد مستقل وإذا شاء أبقاها تابعة للجامعة»

١٢ — لاحظ منشىء المجلة وهو يصدرها في النصف الأول من سنتها ضرورة تصغير حجم الصفحة لتكون بحجم الكتاب، والطبع على عمود واحد وبـ ٤٠ صفحة عدا نصف الملزمة الأخيرة المخصصة لترجمة الرواية المتسلسلة.

وهكذا صدر الجزء الجديد من النصف الثاني لسنتها أو من القسم الثاني كما ورد مع ملاحظة بارزة للقارىء فيها اختصار اسم المجلة إلى «الجامعة» فقط. ولم يذكر المنشىء السبب، ولكننا نلاحظ لدى المتابعة أن المجلة ثقافية عامة أكثر منها ملتزمة بفكرة «الجامعة العثمانية».

ومن الأبواب الجديدة: نشر صفحات مطوية، وصدى المجلات، والأسئلة والأجوبة.

ثم تأتي نصف الملزمة من «رواية نهضة الأسد». نقول: نصف ملزمة لأنها ثماني صفحات. أما منشىء المجلة فيسميها ملزمة.

١٣ — تصدر الجزء الثالث عشر باب «مشاهير المتقدمين والمتأخرين»: الأمير عبد القادر (بطل الجزائر) مع صورة (رسم) له وهكذا ستستمر افتتاحيات الأعداد. وهكذا كان يسمى «الرسم» ما صرنا نسميه الصورة.

١٤ — ويتصدر العدد (الجزء) الرابع عشر: رسم «سارة برنار أشهر ممثلات العصر» والحديث عنها. ولقد استقرت كلمة «ممثلة» و «تمثل دوراً» ورواية تفهم من السياق أنها «مسرحية» أي رواية تمثيلية. أما المسرح فهو «الملعب»: «ملعب الكوميدي فرانسز» وملعب يورت سان مارتين، وملعب الأوديون ..

وفي المسرح: الجمهور. والفرقة هي الجوق، وفن التمثيل.

ولا ترد باريس إلا على باريز.

وغمز الكاتب — وهو منشىء المجلة حالنا من التمثيل حين قال: «وليس يستغرب أن لا يفهم كثيرون من الشرقيين عظمة سارة برنارد وسبب مجدها لعدم قدرهم فن التمثيل (...) لأن انحطاطهم في هذا الفن أشهر من أن يذكر واللوم في ذلك عليهم وعلى حكوماتهم معاً ..».

ولنلاحظ كلمة «الشرقيين» فهي تتكرر في المجلة.

١٥ — ويفهم ص ص ٢٩١ أن «المنشىء» اختصر رواية الحب حتى الموت المنشورة في النصف الأول.

١٦ — ص ٤٠٠ مصطلحات: نظارة الأشغال (وزارة الأشغال)، مدير الانتكخانة المصرية (مدير الآثار). ووردت صنم وتمثال في خبر واحد.

١٧ — ص ٤١٩ «... الدكتور يعقوب صروف .. «قلب الأسد» عربها ... عن الكاتب الإنكليزي الشهير السير ولتر سكوت .. أعاد طبعها لنفاد طبعتها الأولى ..».

لا يستعمل ترجمها .. واستعمل نفاد بالدال صحيحاً.

١٨ — ص ٤٤٧ «اكتروا لهم منزلاً»: أجروا، هكذا صارت.

١٩ — ص ٤٥٤ «ننعيه إلى أصدقاء الجامعة»: ننعاه.

٢٠ — بالجزء العشرين تدخل المجلة عام ١٩٠٠: الإسكندرية ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٠٠ الموافق ٢٩ شعبان ١٩١٧.

٢١ — ص ٤٥٩ — ٤٦٠ لدى استعراض «أعمال القرن التاسع عشر الأدبية» ذكر عتق الرقيق، حب السلامة، صرف الحكومات شيئاً من عنايتها إلى الضعفاء والتعساء.

وهكذا يتردد مفهوم الأدبية.

— ص ٤٦١ «ومن أعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية استفحال أمر الاشتراكيين استفحالاً نفع المبادىء الديمقراطية ..»

٢٢ — ص ٥٣ من «نهضة الأسد»: «الراية الفرنسوية». كأن كلمة «علم» لما تولد.

٢٣ — في أواخر السنة الثانية شرعت المجلة تصدر أعدادها مزدوجة دون زيادة في الصفحات، وهكذا جاء (الجزء ٢١ و ٢٢) والجزء (٢٣ و ٢٤).

٢٤ — في العدد المزدوج (٢٣ و ٢٤، ١ مارس ١٩٠٠): التمثيل العربي: «يصح أن يعتبر فن التمثيل مقياساً تمدن الأمة ودليلاً على أدبها. لأن العناصر التي يتألف منها هذا الفن هي سواد الأمة إن لم نقل كلها.

وهذه العناصر هي ثلاثة؛ العنصر الأول الجمهور .. والعنصر الثاني الكتاب وهم الذين يضعون الروايات ويقومون بحاجات الملاعب. والعنصر الثالث الأجواق».

٢٥ — ص ٥٨٧ سؤال عن «عادة المساخر أو الكرنفال» تجيب عنه «الجامعة»: «معنى المساخر أو الكرنفال ستر بعض النساء والرجال وجوههم لبس أزياء مختلفة غريبة الشكل ونزولهم إلى الأسواق مشاة

أو في المركبات يعرضون أنفسهم للمارة ويتضاربون وإياهم بمقارع في أيديهم أو بحب الفاصوليا أو بالحصى على سبيل اللعب والمداعبة.

وأصل الكلمة الإفرنجية كرنفال ولا يعرف لها معنى، لأن العلماء قد اختلفوا في وضعها وأما الكلمة العربية التي اصطلحوا عليها فهي مساخر (...) والمساخر مشتقة من السخرية، وهي الهزء والضحك من الشيء لغرابة شكله. وعنها نقلت الكلمة الفرنسوية «مسكراد» مأخوذة من المفرد وهو «مسخره» والغريب أن الإفرنج قد أخذوا عنا هذه الكلمة إلى لغتهم واتخذوها لمعنى الكرنفال في حين يوجد بيننا من يمنع تسمية رجال الكرنفال بالمساخر بحجة أن هذه الكلمة لا تدل على معنى الكرنفال. فأعجب للفرق بين اللغات الحية التي تطلب النماء ولو بالأخذ عن كل اللغات، واللغات التي تنبذ حتى الكلام الذي يشتق منها ..».

هكذا رأى فرح أنطون في أصل الكلمة الفرنسوية «مسكراد» أي أنه كلمة «مسخرة» العربية؛ ولكن المعجم الفرنسي «لاوس» الذي يبحث في أصول الكلمات يرى أن أصل الكلمة الفرنسية Mascarade الكلمة الإيطالية Mascarata جاءت من Mascarade الإيطالية التي صارت بالفرنسية Masque قناع.

٢٦ ــ ص ٥٨٩ سؤال عن معنى «الشعار» والجواب أنه «علامة» .. ولا ننكر عليكم أن كلمة شعار في الأصل لا تؤدي هذا المعنى ولكن من رأينا أنه يجب التوسع في استعمال الألفاظ وإلّا ضاقت بالكتاب مذاهب الكلام، فإن الشعار في اللغة العلامة في السفر أو في الحرب، ومنه الحديث أنه جعل شعار المسلمين يوم بدر «يا بني عبد الرحمن» ويوم الأحزاب «هم لا يُنصرون» وهو نداء في الحرب ينادي به المحاربون ليعرف به بعضهم بعضاً. وجاء في قواميس اللغة «شعار السلطنة علاماتها ..»

٢٧ ــ ص ٥٩٨ «خاتمة السنة الأولى» .. ص ٥٩٩ «السنة الثانية للجامعة»: الأبواب الجديدة: الزراعة، أخلاق وعادات. استشارات طبية. شؤون نسائية وبيئية. رسوم الجامعة. ص ٦٠٠ «فهرس السنة الأولى وتتمة الرواية تصل حضرات المشتركين مع الجزء الأول من السنة الثانية ..» وقد وصل ... والفهرس للموضوعات على حروف الهجاء.

(٢)

الجامعة ــ السنة الثانية ــ الجزء الأول ــ الإسكندرية ١ أفريل (نيسان) سنة ١٩٠٠ الموافق ١ ذي الحجة ١٣١٧.

وفيه من الأبواب الجديدة «نشر صفحات مطوية» وفيه مختارات من فصول الكتب. وباب صفحة الشعر، وفيه مختارات من الشعر، وعادات وأخلاق. والأسئلة والأجوبة.

١ ــ ج ١ ص ٣٢ «يانصيب». لمن يؤرخ للكلمة (١٩٠٠). ولا بد من أن يكون أسبق من هذا التاريخ. وعملية اليانصيب عملية غربية، هي بالفرنسية lotrie والترجمة حديثة.

٢ ــ ج ١ ص ٤٨: «التمثيل ــ مجلة تمثيلية أدبية انتقادية تصدر ثلاث مرات في الشهر ..». لمن يهمه أمر التمثيل مصطلحاً وأهمية ..

٣ ــ ج ١ ص ١٠٥ ــ ١٠٦ تم الجزء الأول من «نهضة الأسد» ويليه الجزء الثاني في العدد نفسه على شكل ملازم ١ ــ ١٦.

٤ ــ ج ٢ ص ١٦١ «انتقاد» وهو اللفظ السائد ولا تجد ــ أولا تكاد تجد: النقد.

٥ ــ ج ٣ ص ١٨٢ «الفرنسوي» هكذا كانت النسبة، ولا تجد «الفرنسي».

٦ ــ ج ٣ ص ١٩٠ «اكتتاب» لمن يؤرخ لهذه الكلمة: اكتتاب لإعانة منكوبي المجاعة والطاعون في الهند، وقد تبرع ..

٧ــ ج ٥ ص ٢٤١ «يوبيل جلالته الفضي أي الاحتفال بانقضاء (٢٥) عاماً على ارتقائه ــ جلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني ــ عرش السلطة».

لقد فسر «اليوبيل» وفي ذلك دليل على جدة استعمالها.

٨ ــ ج ٥ ص ٢٩٢ «تمثال للفيلسوف جول سيمون ... وهو يمثل الفيلسوف واقفاً في منبر كلية السوربون يخطب ..» ــ لمن يؤرخ لكلمة «كلية» وكأن كلمة جامعة لما تولد، فالكلية آنذاك هي «الجامعة» فيما بعد.

٩ ــ ج ٦ ص ٣٦٠ «إن انتقاد الشيء دليل على مكانته، وقلما انتقد الناس شيئاً غير ذي أهمية».

١٠ ــ ج ٧ ص ٣٦٩ ــ ٣٨٠ «الفيلسوف تولستوي الشهير الذي حرمه المجمع المقدس الروسي في هذا العام» وتنظر ص ٤٣٢، وج ٨ ص ٤٣٤، ج ٩ ص ص ٥٣٤ ــ ٥٥٣ (وفيه تلخيص لرواية البعث) ج ١ ص ص ٦٤٨ ــ ٦٥٢ ج ٢٢ ص ٧٣٥.

١١ ــ ص ٤٠٠ «آداب الأتراك ولغتهم لحضرة... أحد تلامذة المكاتب السلطانية .. الكلام العربي فيها ــ في اللغة التركية ــ يزيد عن الفارسي ...»

أ ــ المكاتب جمع مكتب. وكأن كلمة «مدرسة» لم تكن تطلق على ما هو رسمي سلطاني.

ب ــ يزيد عن: يزيد على ــ وفي هذا تأريخ للخطأ.

جـ ــ وفي المقالة نفسها «طلبة المكتب الإعدادي» فهل كان فرق بين تلامذة وطلبة؟

١٢ ــ الهيئة الاجتماعية ج ٨ وقبله، تعني ما ستكون عليها لفظة «المجتمع».

١٣ ــ ج ١ ص ٦٤٦ : «نؤمل أن يعذرونا» : نأمُل .

١٤ ــ بعد أن ينتهي الجزء العاشر (يناير ونصف فبراير ١٩٠١) من السنة الثانية ــ وفيه تبين المجلة سبب تأخير صدور الجامعة (ص ٦٤٤) يأتي «الجزء ٢٢ و٢٣ و٢٤ ــ السنة الثانية ، الاسكندرية في (افريل) سنة ١٩٠١» فما معنى هذا ؟ إن الصفحات متوالية ، فآخر صفحة من العاشر هي ٦٥٢ ، وأول صفحة من هذا الجزء هي ٦٥٣ وآخر فصل من رواية «وثبة الأسد» هو الـ ١٩ وأول فصل من الجزء الجديد هو الـ ٢٠ ومعنى هذا أن المجلة حسبت الأجزاء التي لم تصدر فيها ــ وكانت تصدر نصف شهرية ..

١٥ ــ ينتهي بهذا الجزء ، الجزء الأول من «وثبة الأسد» .

١٦ ــ يرد على ص ص ٧١٦ ــ ٧١٨ تعريف بالرواية خلاصته أن هذه الرواية ثلاثة أقسام ، الأول سميناه «نهضة الأسد» وقد أردنا بهذه التسمية نهوض الشعب الفرنسوي في ثورته الكبرى إلى طلب حقوقه وتذكير الحكام بواجباتها ، والقسم الثاني «وثبة الأسد» وقد أردنا بذلك وثوبه لاقتحام المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد لمّا لم يُجْدِاللين والمسالمة نفعاً . والقسم الثالث «فريسة الأسد» وموضوعه افتراس الثورة الملك لويس السادس عشر والملكة ماري انتوانيت قرينته وجميع النبلاء والرجال الذين حضروها . فهذه الرواية إذاً هي تاريخ مفصل لجميع حوادث الثورة الفرنسوية الكبرى . وقد أصدرنا منها إلى الآن الجزء الأول والثاني من «نهضة الأسد» والجزء الأول من «وثبة الأسد» وبقي الجزء الثاني من وثبة الأسد وجزء «فريسة الأسد» وهو الأخير وسيظهر هذان الجزءان في مجلد السنة القادمة .

عرفنا ضمناً أن الذي يقدم للقراء هذه الرواية هو منشىء المجلة (الجامعة) : فرح أنطون . ويمكن أن نعرف من كلامه هنا أنه ينقلها عن الفرنسوية فقد قال : «إننا نحن حيناً عثرنا على أجزائها الفرنسوية منذ بضعة أعوام تركنا كل مطالعة حتى أتممناها كلها (...) مع كراهتنا لمطالعة روايات غيرها» .

١٧ ــ ج ٢٢ ــ ٢٤ ص ٧٣٦ «خاتمة السنة الثانية (...) الجامعة تصدر منذ الآن فصاعداً في أول كل شهر بالضبط التام ابتداءً من شهر أغسطس الآتي» .

١٨ ــ بدأت المجلة في العدد التاسع ترجمة «الكوخ الهندي» من آثار برناردين سان بيير ، واستمرت في العاشر ، وفي آخره : «ستأتي البقية في المقالة التالية وفيها الخاتمة» .

ولم يذكر فرح انطون اسمه لدى ترجمتها .

١٩ ــ لم يرد اسم فرح أنطون منشئاً للمجلة على أعداد السنة الثانية كلها ... ــ مع أنه المنشىء ... لماذا ؟ وأنه ــ ولابد ولا شك ــ محرر الأبواب المختلفة للمجلة ... والذي يكتبه الآخرون أقل من القليل ، كان منه في هذه السنة قصيدتان لمصطفى لطفي المنفلوطي .

وجاء في العدد التاسع (ديسمبر ١٩٠٠) : باب المقالات : «فشوده وروايتها نظماً ونثراً» . وفشودة منطقة في الحبشة عجز الفرنسيون من الوصول إليها فسبقهم الإنجليز إلى الاحتلال . ومصر أحق بها من هؤلاء وهؤلاء .

جاء في المجلة (ص ٥٧٤ ــ ٥٧٦) « ... وقد نظم «شاعر النيل» هذه الرواية ملتزما فيها جانب الهزل والجد فرأينا نشرها على سبيل الفكاهة . ولم نسم الناظم لأن لقب (شاعر النيل) ينمُّ عليه وهذه هي الرواية الشعرية» تمهيد : فشوده رواية للمبصرين آية

وبعد التمهيد (وهو في سبعة أبيات) يأتي الفصل الأول : مرشان في فشوده :

مرشان بالنيل التقى من بعد ما عزّ اللقا

وبعد الفصل الأول (وهو ١٨ بيتاً) يأتي الفصل الثاني : مرشان والنيل (٤٠ بيتاً) يليه الفصل الثالث : سالسبوري ومصر (٢٢ بيتاً) .

وجاء سالسبوري لمصر في سرور
يقول وهي تستمع يقنعها فتقتنع
يامصر يا فتاتي يازينة البنات
يا مشتهى انكلترا يابنت أخت لندره

ثم تأتي رقصة الختام (ثمانية أبيات) يسخر فيها من النظار (والنظار هم الوزراء) في مجلس (مجلس النظر) ويبدو أن رئيس النظار هو بطرس .

المعروف أن شاعر النيل هو لقب محمد حافظ إبراهيم (ولا يرد اسم حافظ إبراهيم في الجامعة إلا مسبوقاً بمحمد) . ورجعت إلى ديوان حافظ إبراهيم : صححه وضبطه وشرحه ورتبه : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأبياري . القاهرة ١٩٣٩ فما وجدت «رواية فشودة» في حدود ما ألممت به من الديوان ولا سيما «السياسات» وفهرس القصائد .

٢٠ ــ استعرض ص ٥٢٩ ــ ٥٣٣ «أعمال القرن التاسع عشر» لمناسبة انتهائه فكان من ذلك «أعمال القرن التاسع عشر الأدبية» . وأول ما يذهب إليه فكرنا ما كان في القرن من شعر وروايات ومذاهب أدبية ... ولكن أي شيء من هذا لم يرد ، ولم ترد أية إشارة إلى ما نعرفه اليوم باسم الأدب .

وإنما الذي ورد ما له بالأخلاق الإنسانية العامة مثل عتق الرق ، وقلة الحروب ، وتصاعد الدعوة إلى السلام وصرف الحكومات شيئا من عناياتها إلى الضعفاء والتعساء ومنع العقاب من غير محاكمة .

وهكذا فأغلب ما يرد «الأدب» «والأدبية» يرد في المسائل الأخلاقية الفاضلة .

٢١ ـــ جاء على ص ٥٣١ ـــ ٥٣٢ لدى استعراض أعمال القرن التاسع عشر : «أن الحركة الكبرى التي تغلبت على جميع الحركات في نهاية هذا القرن هي الحركة / الاقتصادية التي سببتها الحركة الاجتماعية وجهاد الشعوب في هذه الحياة وتنازعها البقاء (...)

ومن تاريخ المصطلحات في هذا الخبر ورود مصطلحات سياسية ـــ اقتصادية ـــ اجتماعية وكأنها معروفة لدى القراء في ترجمتها إلى العربية أو تعريبها .

ومن استعمال المفردات ورود كلمة «استفحال» في معناها الأصلي أي اشتداد ، وقوة ومن هنا استعمالها في حال من أحوال الرضا .

٢٢ ـــ ج ٢ س ٢ ، الإسكندرية ١ مايو (آذار) سنة ١٩٠٠ الموافق ٢ محرم سنة ١٣١٨ ص ص ٨٠ ـــ ٨٦ .

«الحج والحجاج» أكثر مادة الموضوع منقولة عن كتاب «العقد الفريد» تتقدمه سطور معتمدة على مؤلف غربي فيها :

«مكة غير مسورة ولكنها محمية بثلاث قلاع قوية . وهي ممتدة في وادٍ قاحل على مسافة ٢٥٠٠ متر طولاً و ٥٠٠ أو ١٠٠٠ متر عرضاً ، تحيط بها من كل الجهات جبال وآكام جرداء علوها من ٨٠ إلى ٢٥٠ متراً (...) وماء مكة يردها من جبال في شرقيها بواسطة قناة بنتها زبيدة زوجة هارون الرشيد . وطول القناة ٤٠ كيلو متراً .

وهي الآن ولاية من ولايات الدولة العثمانية يحكمها وال عثماني وأمير عربي . واسم الأمير اليوم دولتلو الشريف رفيق باشا عون» .

وفي المقال ثلاث صور واحدة «للأمير رفيق باشا شريف مكة الحالي» وواحدة للكعبة وثالثة لسفر الحجاج من السويس إلى الحج .

(٣)

الجامعة ـــ مجلة علمية تهذيبية صحية . السنة الثالثة ـــ الإسكندرية . الجزء الأول أغسطس (آب) سنة ١٩٠١ ـــ ربيع الثاني ١٣١٩ ـــ الجزء ١٠ و ١١ و ١٢ دسمبر (كانون الأول) ١٩٠٢/رمضان ١٣٢٠ .

١ ـــ صارت شهرية .

٢ ـــ ص ٤١ « .. لحضرة المدموازيل روزا أنطون» ـــ هي أخت فرح أنطون ، وقوله المدموازيل يدل على أن الكلمة لما تترجم بالآنسة .

٣ ـــ ص ٦٤ «في فرنسا سبع وزارات تتبعها المدارس ...» ـــ وهكذا يقول «وزارة» حين تكون ترجمة وإلا فهي في مصر «نظارة» .

٤ ـــ ص ٩٢ «من ثقاة الغربيين» الصحيح ثقات : والخطأ على هذا قديم في عصرنا الحديث .

٥ ـــ ص ١٤٢ «مباديء جوغرافية» هكذا رسمها وتتكرر بالواو ثم تصبح جغرافية .

٦ ـــ ص ١٤٣ ـــ ١٤٤ عن تولستوي، ينقل عن جريدة «المناظر» التي تطبع في البرازيل .

٧ ـــ ص ١٤٧ «الأنسيكلوبيذية» (دائرة المعارف) بالذال ، وتتكرر ومثلها الأرثوذكسية ص ٢٠٩ والأكادميات ص ٣١٧ ، ص ٤٣٢ (الأكاذمية) ـــ وسيحل الدال محل الذال فيما بعد .

٩ ـــ ص ٢٦٨ «أوراق البابيرس المصري» وتتكرر كأن لم تكن الترجمة بورق البردي قد وجدت .

١٠ ـــ ص ٣٤٥ «فورشات الرأس والثياب» وستزول الواو وتصير فرشاة ـــ وهي ترجمة .

١١ ـــ ص ٣٥٨ (من الجزء السادس ـــ يناير (كانون ثاني ١٩٠٢) وهو يقدم لترجمة شكسبير : «تمهيد في فن الروايات . اشتقت الروايات من أصل ديني أي أنها وضعت حين نشأتها لغرض ديني . فإن الفرس والآشوريين واليونان كانوا يمثلون بها قصص آلهتهم . ولكن لما قامت النهضة اليونانية في الأدب والفلسفة والشعر خرجت الروايات من الحيز الديني إلى الحيز الاجتماعي ، فنبغ في هذا الفن كثيرون من اليونان أخصهم اشيل الذي يلقبونه أبا التراجيدية اليونانية وقد أخذ عنه موليير وراسين وكورنيل وغيرهم من الروائيين . وقد ارتقى هذا الفن عند الرومانيين أيضاً ومن مؤلفيهم بلوت وترانس الشاعران الهزليان الشهيران ...»

أ ـــ هذه فقرة مبكرة في الكلام على الموضوع ـــ موضوع المسرحية ونشأتها .

ب ـــ الروايات : المسرحيات (فيما بعد) ويفهم ـــ هنا ـــ من السياق أنها الروايات التمثيلية .

جـ ـــ اشيل : سيصير أسخيلوس أو اسكيلوس على الأكثر .

د ـــ لم يحاول ترجمة التراجيدية في هذه الفقرة بالمأساة كما سيحدث بعده .

هـ ـــ كورنيل : كورني ، ولكن اللبنانيين كانوا وما زالوا يحتفظون باللام مجاراة للشكل غير الملفوظ من الأصل Corneille ـــ وهذه غريبة منهم وممن يجاريهم .

و ـــ الهزليان ، قالها ترجمة للكوميديين .

ز ـــ ورد في الهامش «موليير أشهر مؤلفي الروايات الفرنسوية الهزلية» ـــ لم يوجد كلمة واحدة مصطلحاً لمؤلف الرواية التمثيلية .

١٢ ـــ ص ٣٥٩ «أما النهضة الأوربية في هذا الفن فهي حديثة

العهد . وقد كان شأنها في ذلك شأن النهضة الروائية اليونانية والرومانية ، أي أنها كانت في بدء أمرها عبارة عن تمثيل ديني . وذلك أن رجال الدين المسيحي كانوا يمثلون الأعياد المسيحية التي يعيِّلونها اليوم تمثيلاً .

وكان هذا التمثيل على نوعين . نوع محزن ونوع مضحك . ومن النوع المحزن تمثيل رواية صلب المسيح في جمعة الآلام بما فيه من المحاكمة أمام بيلاطس وصعود المسيح إلى الجلجلة ووقوف النساء يبكين لصلبه . ومن أنواع الضحك تمثيل العادات والتقاليد الدينية كحادثة اليهودي التائه وحادثة برباس ونطق أتان بلعام . ومما يستغرب ذكره أنهم كانوا إذا راموا تمثيل حادثة الأتان جاءوا بحمارة حقيقية إلى مكان الاحتفال أي إلى المعبد وجعلوا يعالجونها لتصرخ . وكانوا ينشدونها قصيدة منها :

غني يا ... الحمارة
يا أيها الفم الجميل غني
فنقدم لكِ كفاية من التبن
وقدر ما تطلبين من الشعير

وكان بعضهم ينشد هذا النشيد والشعب يجاوب عليه بفرح وابتهاج بلازمة ملازمة .

ولما اعتاد الشعب هذا التمثيل ألفه فتألفت منه جمعيات للقيام به في أيام الآحاد والأعياد في خارج المعابد . فكان الشعب يقبل على حضور هذا التمثيل ويشترك فيه . وكانت الروايات مكتوبة بشعر عامي . وقد روي أن أحدهم كان يمثل الصلب فصلب نفسه بالفعل لإتمام الشبه وكاد يلقى حتفه لو لم يتداركه رفاقه . ولما تمادى الشعب الفرنسوي في هذا التمثيل أصدر البرلمان في ١٧ نوفمبر من عام ١٥٤٨ قراراً بمنع تلك الجمعيات من التمثيل الديني وإباحة ما سواه . ومنذ هذا الحين دخل التمثيل في دور جديد وانتقل من الحيز الديني إلى الحيز الاجتماعي . ونشأ من الكتاب والشعراء شكسبير وكوث وشيلر وراسين وكورنيل وموليير وفولتير وفيكتور هيغو ودوماس الكبير والصغير وهين وغيرهم فأبلغوا بمؤلفاتهم هذا الفن إلى المقام السامي الذي صار إليه في أوربا في هذه الأيام .

وقد قابل الامبراطور غليوم في هذا الشهر الممثل الفرنسوي الشهير كوكلين الكبير فقال له : إنه من أنصار الروايات وكتابها ، يعرف مالهم من الفضل والتأثير على آداب الأمة وعلى أخلاقها . وكفى ذلك شهادة بفائدة فن التمثيل إذا أجاد مؤلفوه وممثلوه وكان غرضهم نشر الآداب والسرور معاً في المراسح لا إثارة عواطف العامة والحاضرين بمناظر وأقوال تشبه فقاقيع الصابون بسرعة زوال تأثيرها» .

أ ــ أطلنا في النقل لما في النص من قيمة وثائقية .
ب ــ صارت كلمة مثّل يمثل تمثيلاً .. الممثل هي السائدة ، وربما الوحيدة ، كأن شخّص يشخص .. قد زالت .
جـ ــ قال هنا «محزن» مقابلة للتراجيدي في الفقرة السابقة . والمضحك ــ هنا ــ مرادف للهزلي هناك .
د ــ جمعيات تقابل جوقات وفرق .
هـ ــ من التعبيرات السليمة : إباحة ما سواه وستشيع خطأً : إباحة سواه .
و ــ «التأثير على ...» هذا هو الاستعمال المبكر المتأثر بالأصل الأجنبي ، وسيشيع ، ويحاول اللغويون تصحيحه بـ : التأثير في ... دون جدوى تذكر .
ز ــ المراسح ، ما زالت حتى ذلك التاريخ (١٩٠٢) هي السائدة ، ولا سيما لدى السوريين ــ وستصير بعد زمن المسارح .
ح ــ يستغل فرح أنطون الفرص ليدعو إلى الفن التمثيلي مبيناً فضله «على آداب الأمة وعلى أخلاقها» عندما يكون راقياً ، معرضاً بما هو قائم آنذاك بمصر من تمثيل غير راق يشبه في تأثيره فقاقيع الصابون ..ــ والآداب هي الأخلاق .
ط ــ أحسب أنه يقصد بـ «كوث» ما صار يعرف بجوته أو غوته ، وهو الشاعر الألماني الكبير Goeth .

١٣ ــ ترجمته لشكسبير (ص ص ٣٦٠ ــ ٣٦٨) جيدة ، صحيحة في جملتها مبكرة ، وهو يستمدها من مصادرها الغربية . وقد وردت فيها «التمثيل» و «الجوقة» و «الروايات» و«فلاسفة العمران» يقصد علماء الاجتماع .
كانت «الملكة اليصابات .. حامية» له . ابنة شكسبير «سوسان» يقصد سوزان . استعمل «سن» مؤنثة على الصحة . واستعمل رواية «هزلية» ورواياته المحزنة (التراجيدية) واستعمل «الميثولوجيا اليونانية» بالثاء مع أن لغته الثانية أساساً هي الفرنسية ، والفرنسية تلفظها بالتاء وإن رسمتها بالثاء . ويرسم «ترّوادة» بالتاء وليس بالطاء (طروادة) ويرد ــ كما تكرر في الأجزاء السابقة : بسيكولوجي مقيداً بحروف الرسم الأجنبي .
ووردت «الحركة الأدبية» (ص ٣٦٦) . قال : «ألف كل الروايات التي ...» (ص ٣٦٧) و «كتب كل الكتب المنسوبة» (٣٦٨) . «إن مناظريه من الكتاب لم يعرفوا له فضلا في حياته لأنهم أخذوا عليه الابتداع في التأليف وترك الاتباع . ومما كانوا يأخذونه عليه عدم مراعاته وحدة السياق في رواياته ، ومادروا أن ذلك الاختلاف كان سراً من أسرار نجاحها .. ص ٣٦٥» .
١٤ ــ ٣٩٥ يستعمل «رصفاؤنا أصحاب الجرائد والمجلات» ...

وهي الكلمة — كلمة رصيف — التي شاعت طويلاً إلى أن حل محلها أخيراً الزملاء والزميل والزميلة :

١٥ — ص ٤١١ «الماسونية»

١٦ — تاريخ فيكتور هيغو (ص ص ٤٢٩ — ٤٥٢) مارس ١٩٠٢ م لمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على ولادته (١٨٠٢) جيد ومن مصادره .

جاء في رسم الكلمات «إلى خطاءه » «لجاءَ إلى» «التي ملاءَها» «الملجاءِ» . وفي ص ٤٩٣ جاء «كان خطاءً » والرسم غير صحيح وسيزول .

ترجم (ص ٤٣٣) الكونسر فاتور بالمحافظ .

استعمال كلمة «يحرر» ص (٤٣٤) يحرر جريدته .

استعمال كلمة «شعب» لباريس (باريز) «شعب باريز» ، ولفرنسا كلها : «شارل العاشر ... أثاروا الشعب عليه»

استعمال «العرش» (ص ٤٤١) للملك .

استعمال نشر (ص ٤٤١) «نشر ديوانه» ص ٤٤٤ .

ص ٤٤٢ «أدرت هذه الكتب على مؤلفها أخلاف الثروة» — يريد درّت .

ص ٤٤٢ ترجم Legendes بالخرافات .

ص ٤٤٢ «ما دام في الوجود شقاء وفقر وسجون وظلم اجتماعي فإن كتاباً ككتابه يبقى نافعاً » — كأنه يريد بـ «ما دام» السببية وهو استعمال غير صحيح ، وسيستمر . وصحيح مادام للوقت والمدة ...

اضطر المتعدية (ص ٤٣٩) : «اضطر أوربا كلها إلى الاتحاد عليه ...»

دور الطفولية (ص ٤٣٩) يريد الطفولة ، ولن يستمر استعماله مع وجود «الرجولية» في المعجم العربي .

يرسم الأسماء الفرنسية كما تكتب (ترسم) وليس كما تلفظ . من ذلك «الحكومة ... فقد فرت منه برئاسة تييرس إلى فرساليا» ولم يقل تيير وفرساي ؛ ومنه «البانثيون» لا «البانتيون» .

يستعمل (٤٤٤) الألمانيين . ويقول (ص ٤٤٤) «الانتخاب العمومي»

«كأنه قمة شامخة من قمم حملايا أو الألب ... الإنسانية الرقيقة الشفوقة » (ص ٤٤٥) يريد هملايا .

«جمعت في كراس على حدة» (ص ٤٤٧) .

«وهذا الداء (...) عدم الصبر على التعب وخلود كل عامل إلى الكسل» (ص ٤٥١) يريد إخلاد .

«هيغو فوق الامبراطرة والملوك» (ص ٤٥٢) ما سيصير الأباطرة جمعاً لامبراطور .

في هذه الترجمة فقرة وثائقية لاطلاع القارىء العربي على فرق — أو فروق — بين الرومانتيكية والكلاسيكية . وأكثر من ذلك محاولة ترجمة المصطلحين (ونحن في مارس ١٩٠٢) بالابتداع والاتباع (وكنا نظن أن أحمد حسن الزيات أول من أوجد اللفظتين العربيتين) . ولأهمية الفقرة ننقلها هنا :

«الحرب الأدبية . وفي هذه الأثناء تألف في باريز حول اسم فيكتور هيغو حزبان كبيران يصح أن يُسميا حزب القديم وحزب الجديد . أما الفرنسيون فإنهم يسمونها حزب الكلاسيك وحزب الرومانتيك . ومعنى الكلاسيك هنا الحزب الذي يوجب على الكتاب اتباع من تقدموهم من مؤلفي اليونان والرومان والفرنسويين وعدم الخروج عن قواعدهم المقررة . ومعنى الرومانتيك الحزب الذي يوجب تقديم قواعد الطبيعة على كل القواعد القديمة والحديثة . فإذا كتب فهو يكتب كما تملي عليه طبيعة الأشياء التي يكتب عنها بصرف النظر عن قواعد المتقدمين . وربما جاز أن يُسمى الحزبان حزب «الاتباع» وحزب «الابتداع» أو حزب التقليد وحزب الاستقلال .

وكان فيكتور هيغو زعيماً لحزب الابتداع . ولا عجب في ذلك ، فإن طبيعته التي سمت عن طبيعة كل شاعر فرنسوي قبله وبعده لجديرة بأن لا تجد في من تقدمها شيئاً تقلده وأن ترى ببصيرتها النيرة الفراغ الواسع الذي كان في اللغة الفرنسوية .

وكان حزب «الاتباع» يباهي براسين وكورنيل وغيرهما من مؤلفي قرن لويس الرابع عشر . أما حزب «الابتداع» فيرد عليه بقوله إن المؤلفين الذين نبغوا في ذلك القرن كانت كتاباتهم عبارة عن صورة منعكسة عن هيئة قديمة مبنية على العبودية الأدبية والسياسية والاجتماعية . أما اليوم فيجب نبذ تلك الطريقة القديمة وجعل الكتابة في هذا العصر سهلة مطلقة ومنطبقة على حاجاته ومقتضياته (ص ٤٣٥) .

فرغبة في الانتصار لحزب الابتداع أنشأ فيكتور هيغو في سنة ١٨٢٣ مع بعض أصدقائه الشبان جريدة «القريحة الفرنسوية» (...) وكان فيكتور حينئذ على وفاق تام مع لامارتين ... إلا أنهما بعد ذلك تقاطعا ...

ثم نشر [فيكتور هيغو] كتاب «كرومويل» وفيها مقدمة شديدة قطع فيها كل صلة لحزبه مع الحزب القديم . ومما قاله فيها «ان حوادث الروايات يجب أن تكون كحوادث الحياة مختلفة متنوعة ، فليس يجب فيها مراعاة وحدة السياق ولا وحدة الزمان والمكان ، لأن ذلك يخنق حوادثها خنقاً. ثم حمل في المقدمة حملة شديدة على ما

في مؤلفات الحزب القديم من الجفاف والجمود والخروج عن الطبيعة بسبب القيود الغريبة التي يتقيدون بها » (ص ٤٣٦) .

فكان لهذه المقدمة تأثير عظيم على الحزب القديم لأنه اعتبرها بمثابة إعلان للحرب فعزموا عل مقاومة هيغو وأي مقاومة ... (ص ٤٣٦) .

... ألف رواية «هرناني» ... وفي الليلة التي مثلت فيها هذه الرواية قامت قيامة الناس في قاعة الملعب ... سنت بوف ... قال إن رواية هرناني ضعضعت مبدأ الكلاسيك ودفعت مبدأ الرومانتيك مائة خطوة إلى الأمام ... (ص ٤٣٧)

١٧ ــ قال فرح انطون في مقدمة مقالته عن ترجمة فيكتور هيغو (ص ٤٢٩) : «وهذه أول ترجمة كاملة صحيحة تنشر في اللغة العربية عن هذا الإنسان الذي يجب أن لا يجهله إنسان» . وهو صادق في قوله . ولكننا نذكر أنه كان أيام الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد فيكتور هيغو قنصل عربي للدولة العثمانية في بوردو هو «محمد روحي الخالدي» وقد هزته الذكرى والاحتفالات فمضى يؤلف كتاباً عن هيغو نشره فصولاً في مجلة الهلال (سنة ١٨٠٤) ثم صدر في كتاب (١٩١٢) ... وفي الكتاب تفريق بين الكلاسيكية والرومانتيكية سمى الواحدة منهما ــ كما حاول أنطون فرح أن يسميها : «طريقة» أي أنهما لم يستعملا ما سنستعمله بعدهما حين نقول : المدرسة أو المذهب ...

١٨ ــ ص ٤٨٣ «إنا نوءَ مل أن ...» : يريد نأمل .

١٩ ــ ص ٤٨٣ «نصيحتي الخصوصية للشرقيين وأعني بهم أهل سوريا ومصر والعراق العربي فـ ...» كثيراً ما تتردد كلمة «الشرقيين» في المجلة ، وهذه إحدى الفرص لتفسير المقصود بها .

٢٠ ــ ص ٤٩٤ «الرجولية» . وكان قد استعمل «الطفولية» ــ والرجولية حاصلة في المعجم العربي .

٢١ ــ في الجزء السادس (يناير (كانون الثاني ١٩٠٢/شوال ١٣١٩) : «أية لغة نتخذ للعلم والتعليم : الفصحى أم العامية» مناقشة «المستر ويلمور القاضي الانكليزي في محكمة الاستئناف المختلطة» في كتابه الذي اقترح فيه على أبناء اللغة العربية أن يتخذوا الحروف الإفرنجية ، واستعمال اللغة العامية في الكتابة بدل الفصحى .

يرده . والتكملة في الجزء الثاني .

٢٢ ــ ص ٥١٤ يستعمل «عيلة مصرية» يريد عائلة : أسرة

٢٣ ــ ص ٦٤١ يستعمل «الذي أخطر هذا الموضوع في بالنا ... كتاب علمي ...»

٢٤ ــ ص ٦٤١ يستعمل «بديهي» استعمالا صحيحاً . وقد تكررت . وسيوجد من اللغويين من يراها خطأ صحيحها : بدهي ثم يظهر خطأ هؤلاء اللغويين وتعود الدعوة إلى «البديهي» !

٢٥ ــ ص ٦٨٨ يستعمل «مديراً للآثار المصرية» بعد أن استعمل الانتيكخانة من قبل .

٢٦ ــ نشر من كتبه في هذه «السنة الثالثة» للجامعة : خلاصة كتاب أرنست رنان عن «تاريخ المسيح» (تكملته في السنة الرابعة) و «تاريخ ابن رشد وفلسفته» وترجمة ملخصة موسعة لرواية برناردين : «بولس وفرجيني» وملخص رواية «فريسة الأسد» لديماس الكبير .



رجل قانون فرنسي يتحدث عن خصائص الشريعة الإسلامية

عماد الدين خليل
المتحف الحضاري - الموصل

[١]

دافيد دي سانتيلانا David de Santillana (١٨٤٥ — ١٩٣١ م) رجل قانون فرنسي، ولد في تونس، ودرس في روما وأحرز الدكتوراه في القانون، فما لبث المقيم العام الفرنسي في تونس أن دعاه للدراسة وتدوين القوانين التونسية، فوضع القانونين المدني والتجاري معتمداً في ذلك على قواعد الشريعة الإسلامية ومنسّقاً إياهما بحسب القوانين الأوربية. وفي سنة ١٩١٠ م عيّن أستاذاً لتاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية. وله محاضرات قيّمة فيها. ثم استدعته جامعة روما لتدريس التاريخ الإسلامي .. كان على معرفة واسعة بالمذهبين المالكي والشافعي، وله فيهما عدد من المؤلفات أهمها: (ترجمة وشرح الأحكام المالكية) و(الفقه الإسلامي ومقارنته بالمذهب الشافعي) ..

فالرجل عندما يتحدث عن خصائص الشريعة الإسلامية في البحث الذي نشره سير توماس أرنولد — المؤرخ البريطاني المعروف — ضمن الأبحاث التي أشرف على تحريرها في كتاب (تراث الإسلام)[١] لعدد من أبرز الباحثين الغربيين، إنما يتحدث على بيّنة من الأمر، فيضع يديه بأسلوب الخبير المتمرّس على هذه الخصائص وجذورها الموغلة في العقيدة الإسلامية، وتكون لاستنتاجاته قيمة بالغة لأنها تجيء من خارج دائرة المسلمين أنفسهم، ولذا تحتّم أن نقف عندها بعض الوقت.

[٢]

لنبدأ بالمصدر الأساسي الذي تنبني عليه الشريعة الإسلامية، وتكسب قوتها الإلزامية بأكبر قدر ممكن من الطواعية والتقبّل والحرص على التنفيذ، حتى في الدقائق والتفاصيل، بعيداً عن القسر، وسلطة الرقابة الخارجية، وأساليب القوة التي تعتمدها الشرائع الوضعية في معظم الأحيان، لكي تغدو فعلاً متحقّقاً.

إن سانتيلانا يضع يده على هذا الملمح الأصيل بمجرد أن يطالع تسمية الدين الذي تنتمي إليه هذه الشريعة: الإسلام، وهو يتضمن من خلال تسميته هذه إعلاناً عن خصيصته الأساسية: الاستسلام للأمر الإلهي، تلك الخصيصة التي يمكن اعتبارها مفتاحاً للعلاقة بين المسلم والشريعة التي تحكمه وتنظم حياته «إن هذا الاستسلام المفعم بالاتضاع والأمل (لله) إنما هو الإيمان الصحيح. لذلك كان الإسلام (ومعناه تسليم المرء نفسه لله) عقيدة دينية صحيحة، فذلكم هو الشكل الوحيد الذي يجب أن تتخذه النفس المؤمنة في حضرة الله»[٢].

إن الشريعة الإسلامية لا يمكن فهمها أو التعامل معها إلّا بالرجوع إلى أصلها العقيدي، وأصلها العقيدي هو هذا: كل شيء لله وحده «فأساس الوحدة الاجتماعية في الإسلام يمثله (الله). فالله (جلّ وعلا) هو الاسم الذي يطلق على السلطة العاملة في حقل المصلحة العامة، وعلى هذا المنوال يكون بيت المال هو (بيت مال الله) والجند هم (جند الله). حتى الموظفون العموميون هم (عمال الله) وليست العلاقة بين الله (سبحانه) والمؤمن بأقل قوة من ذلك ..»[٣].

وهذه العلاقة القوية، الأكيدة، المباشرة بين الإنسان وبين الله سبحانه، العلاقة التي تردّ كل شيء لله، هي التي ألغت — بالضرورة — أية وساطة أو عائق بين المؤمن وربّه، إذ ليس ثمة سلطان لأحد غير سلطان الله «وما دام الإسلام لا يقرّ بسلطان كنسي وكهنوتي، ولا يعترف بأسرار كنيسة مقدسة، فأي فائدة

ترتجى من الوسيط بين الإنسان وبين خالقه الذي كان يعرفه قبل أن يبدعه والذي هو (أقرب إليه من حبل الوريد ؟)[٤]. إن الله (سبحانه) بعد أن أرسل إلى البشر خاتمة أنبيائه وكلمته النهائية لم يعد ثم من ينطق بلسانه أو يعرب عن إرادته . الإنسان وحده ماثل أمام الله في حياته وموته ، وله أن يخاطبه رأساً بلا وسيط أو شفاعة أو (إجراءات) .. والإنسان من فجر حياته حتى موته تحت أنظار الله ، وهو وحده يمثل أمام الله يوم الحشر .. إن أشد المذاهب البروتستانتية صرامة إنما تكاد تكون مذهباً كهنوتياً صرفاً إذا ماقورنت بعقيدة التوحيد الراسخة التي لا تلين ولا تتزعزع ولا تسمح بالتدخل بين الخالق والمخلوق»[٥].

فمنذ البدء يكون الإنسان هو المسؤول أمام الله ، وهو من ثم يتحمل تبعة هذه المسؤولية في تعامله مع مطالب الشريعة القادمة من عند الله .. وهكذا نجد أنفسنا منذ اللحظات الأولى إزاء حالة وفاق طوعي بين الإلزام والتنفيذ ، بين الأمر والتقبّل .. بين حدود الشريعة ومطالبها وبين حركة المؤمن في الأرض .. ها هنا حيث يزول القسر والإكراه ومحاولة التملّص أو الالتفاف على هذه المطالب . قد يحدث هذا وذاك ، ولكنه في نهاية الأمر ، إذا ما قيس بالحالات الأخرى للمذاهب الوضعية أو الدينية المحرّفة ، فإنه لن يعدو أن يكون استثناءات لقاعدة أوسع وأعرض وأكثر دواماً ، تلك هي قاعدة القبول والرضا والحرص على التنفيذ الأمين ، لأن قبول المرء أن يكون مسلماً معناه — ابتداء — الاستسلام لأمر الله ونهيه في كل صغيرة أو كبيرة .

[٣]

والآن ما هي الخصائص الأساسية لهذه الشريعة كما يراها سانتيلانا عبر دراساته الموغلة في شرايينها ؟

أول ما يلفت نظره هو (التوازن) الذي تسعى هذه الشريعة لتأكيده وتحقيقه بين الفرد والجماعة ، فهي إذ تؤكد قيمة الفرد وتعلن مبدأ المساواة المطلقة بين الأفراد ، لا تغفل في الجانب الآخر السعي لتحقيق العدل الاجتماعي ، ومنح الجماعة ضمانات التكافل والتماسك والالتحام .

إن تعزيز مكانة الفرد لا يتناقض في الإسلام (كما هو الحال في المذاهب الأخرى) مع تعزيز وحدة الجماعة . ففي المنظور الإسلامي تعد الخطوتان متكاملتين ، فما لم تتحصّن إنسانية الإنسان وتتحقق ذاتيته ، لن يكون بالإمكان بناء مجتمع متوحد قدير على الفعل والعطاء .. وهل بمقدور حشود من المواطنين المسحوقين ذاتياً أن ينشئوا جماعة تملك القدرة على أن تشقّ لها مجرى خاصاً متميزاً في بحر التاريخ ؟ «ذلكم هو شكل النظام الجديد الذي دعا إليه محمد (ﷺ) ، ونحن نجد في ظلّه أن قيمة الفرد بدأت تتضح وكينونته البشرية أخذت تبرز إلى عالم الوجود ، فصار يستمد حقوقه وواجباته من إيمانه ويستقيها من معين دينه لا من روابطه الاجتماعية والعرفية . فمن جماعة المؤمنين هؤلاء تكوّن المجتمع الإسلامي»[٦].

والمساواة هي السياج الذي يحمي هذه القيمة الأساسية في الشريعة الإسلامية التي تشربت هذا المبدأ بكل دقائقها وتفاصيلها الخاصة والعامة «فما دام المسلمون سواسية أمام الله ، فكذلك هم يستوون فيما بينهم . أما التمايز فهو أسبقيتهم إلى اعتناق الدين الإسلامي والسير على قواعده القويمة وحفظ مبادئه الصحيحة .. فالمساواة أمام القانون هي القاعدة الأساسية للنظام السياسي والشرع الديني أيضاً»[٧].

وهناك في الجانب الآخر تأكيد لا يقل إلحاحاً على مبدأ العدل الاجتماعي «إن الله وهب المرء متاع هذه الحياة الدنيا ليصلح بها حاله ويكفي حاجته ، وبمعنى آخر ليحسن الانتفاع به لا ليبدّده أو يبعثره نزولاً عند أهوائه ونزواته الطارئة . فلو نظرنا إلى الشريعة الإسلامية المستوحاة من القرآن الكريم والعرف لوجدناها تتجاهل ما يسمى (بحق الاستعمال والتمتع Jns Untendi et abutendi) فهي ترى في كلّ صرف تبذيراً لا نفع فيه وهو إثم بالنتيجة . فالسفه في نظر الشريعة هو نوع من الخلل العقلي يحجر على كل مبتلٍ به شرعاً . هذه الشريعة حريصة على الاعتدال والقسط في كل شيء واتباع الطريق الوسط في إنفاق الثروة ، لكونه يتّفق تماماً مع حكمة الشارع وطبيعة الشريعة من حكمة الله في إغداق آلائه ونعمه على البشر»[٨].

إن الرجل يستمد هنا القواعد الأساسية التي تمكن الفقيه المسلم من تحقيق التوازن الاجتماعي ، وسدّ الذريعة على كل ما من شأنه أن يقود إلى ابتزاز للثروة العامة ، أو توزيع غير عادل يؤدي بالضرورة إلى التمايز ، والطبقية ، والشحناء .

إن الله سبحانه أغدق نعمه على الناس لا لكي يتمتع بها بعضهم ويحرم منها بعضهم الآخر ، وإن المقنّن المسلم يجد نفسه بالضرورة مسؤولاً عن استعمال هذه النعم الإلهية في مجتمع يستوي فيه الجميع أمام الله «إنهم أعضاء أسرة واحدة ، ليس فيها رفيع أو وضيع ، وإنما هم مؤمنون جميعاً ، وهم متساوون كذلك أمام القانون المدني مطلقاً .. وقد بشّر الإسلام بهذه المساواة في وقت لم يعرف عنها العالم المسيحي شيئاً ! هذا القانون أو الشريعة التي توزّع العدالة بالقسطاس على الجميع بلا تفضيل ، تستند إلى الإيمان القويم أساساً»[٩].

[٤]

ولا ينسى سانتيلانا أن يضع بعض التأشيرات على طبيعة الجهاز

الذي يأخذ على عاتقه مهمة تحقيق هذا التوازن الصعب بين الفرد والمجتمع ، بين الحرية والعدالة ، وبين التحقّق الذاتي والتوجّه الاجتماعي .. إذ بدونه لن تتحوّل هذه المبادىء الأساسية إلى وقائع وممارسات[١٠].

ويتحدث عن منصب الخلافة فيشير إلى أنه بالرغم من كونه المنصب الأعلى في الإسلام إلّا أنه يختلف — ابتداءً — عنه لدى الهيئات الدينية الأخرى في العالم «فليس (ثمّة) ما يضفي على الخليفة صفة القداسة ، أو يسمه بميسم الكهنوت ، كما ادّعت بهذه السمة هيئات حاكمة معيّنة في تاريخ العالم . والحقيقة هي أن سلطة الخليفة لا يمكن أن تعتبر سلطة حبرية أو بابوية مثلاً . فهو متجرد تماماً من صفة الكهنوت (بالمفهوم النصراني) Hierachy ولم يوجد فيها تعاقب رسولي ، والإمام في سلطانه الدنيوي ليس سيّداً (ربّاً) ، ومنصب الخليفة لم توجده الشريعة الإلهية إلّا للخير العام . وهو الثقة العامة التي ترمي إلى خدمة الشرع الإلهي وحمايته وتنفيذه .. (لقد) وجد الأمير ليسهر على مصالح المسلمين الذين يعجزون عن رعاية أنفسهم كمجموع . الأمير وكيل جماعة المسلمين ، وأعماله تستمدّ قوتها وقانونيتها من المبدأ القائل : إن الأمير يجب أن يضع نصب عينه مصلحة المجموع»[١١].

معنى هذا أن منصب الخلافة في الدولة الإسلامية شيء متميّز تماماً ، فلا هو بالمنصب الوضعي الذي يستمد حيثياته من قوانين بشرية معرضة للتغيّر والتبدّل والزوال ، ولا هو بالمنصب الكهنوتي الذي يمنح صاحبه سلطة مطلقة باسم الدين قد تسوقه ، وكثيراً ما فعلت ، إلى مواقع الاستبداد والطغيان والتألّه في الأرض .. إنه شأن كافة المؤسسات والنظم والقيم في هذا الدين المتفرّد ، شيء متميز قد يشبه هذا النظام أو ذاك في هذه الجزئية أو تلك ، لكنه يبقى في بنيته الأساسية شيئاً متفرّداً .

والخلافة الإسلامية بهذا المعنى هي «الشكل القانوني الوحيد للسلطة . ويبدو لنا أن هذا النهج السياسي قد طبق في العصر الذهبي للإسلام بنجاح لا نظير له ، لا سيما في حكم الخلفاء الراشدين ...»[١٢].

إن الصيغة التعاقدية بين الأمة وحاكمها الأعلى ، تلك التي حلمت بها البشرية قبل الإسلام وبعده ، وتحدّث عنها كبار المفكرين والمشرّعين ، والتي تستمد شرعيتها من قدرة الحاكم على القيام بواجبه المنوط به ، وتسقط هذه الشرعية حيثما عجز الحاكم وأخلّ بشروط الاتفاق أو التعاقد .

سانتيلانا يشبّه المسألة في التجربة الإسلامية «برابطة تعاونية بين الخليفة والشعب ، تبقى متينة وثيقة العرى مادام الخليفة صالحاً للقيام بواجبه في حماية المجتمع الإسلامي ، فإذا لم يعد أهلاً لمنح شعبه ما يريده منه ، بطل سلطانه وفسخ العقد شرعاً بين المتعاقدين»[١٣].

ونحن لو استرجعنا في الذهن ما شهده العصر الراشدي على مستوى طرائق الانتخاب أو برامج العمل التي طرحها الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) زمن تسلّمهم المسؤولية ، فإنه سيتأكد لدينا بالمنظور التاريخي المتحقّق ما ذهب إليه سانتيلانا .

[٥]

الميزة الأساسية الأخرى التي يلحظها الرجل في شريعة الإسلام هي نزوعها التحريري وتساوقها مع الطبيعة البشرية فيما لا نكاد نلحظه بهذا العمق والوضوح والامتداد لدى أي دين أو مذهب آخر «إن آيات القرآن فصّلت للناس بمعرفة خبير حكيم لتكون شريعة للحرية وقانوناً للرحمة التي أنعم الله بها على الجنس البشري للتخفيف من صرامة الكتب (الدينية) الأولى . فالإسلام هو عوْد إلى القانون الطبيعي ، بل عوْد إلى الإيمان الأول الذي بشر به الأنبياء الأقدمون (نوح وإبراهيم عليهما السلام) والذي ابتعد به اليهود والنصارى عن غرضه الحقيقي . إن الشريعة الجديدة ألغت القيود الصارمة والمحرمات المختلفة التي فرضتها شريعة موسى (بعد تحريفها) على اليهود ، ونسخت الرهبانية المسيحية وأعلنت رغبتها الصادقة في مسايرة الطبيعة البشرية .. واستجابت إلى جميع حاجات الإنسان العملية في الحياة»[١٤] بل «إن أول ما فعل واضع الشريعة هو اتخاذه الحيطة في وضع الحدود والقيود على الحقوق . تلك القيود التي يصير القانون بها نقمة على البشرية لا نعمة»[١٥].

إن الأديان — في أساسها — تنزلت كبرامج عمل تضع الإنسان في العالم موضعه الحق وتتعامل معه وفق فطرته ، تكوينه الذي أنشأه به الله سبحانه . لكن الفئات والطبقات التي سعت عبر التاريخ لاحتكار الدين وتحويله إلى أداة كسب ما لبثت أن انحرفت بهذه الأديان عن مساراتها المتساوقة وبنية الإنسان ودوره في الأرض ، فتحولت بها إلى أدوات قسر واضطهاد وجنوح بالطبيعة البشرية عن سوّيتها الأصيلة . وجاء الإسلام لكي يعيد للدين دوره الحقيقي فيحرّر الإنسان ويضع عن بني آدم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، ويتعامل معهم وفق سوّيتهم التي تتشابك في مكوّناتها نداءات الروح ورغبات الجسد ، ويدفعهم للمزيد من الإبداع والإنجاز .

وامتداداً لهذا الدور التحريري نجد الإسلام يسعى للتعامل مع الإنسان بالرفق والمرونة ، فلا يثقل عليه ، ولا يقف بمواجهة أية من حاجاته الأساسية محاولاً كبتها أو إماتتها ، ويمضي أبعد من ذلك فيدعو المؤمنين إلى التعبير عن طاقاتهم كافة وأكد التمتع — بالمقابل —

بفرص الحياة وطيّباتها المباحة جميعاً : « ..(يسروا ولا تعسروا) تلك هي التعاليم والأوامر التي كان النبي (ﷺ) يبلغها إلى من أرسل إليهم . و ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[١٦] .. إن الإسلام لا يقرّ تعذيب النفس وإماتتها بالتقشف وبسائر الوسائل الأخرى ، التي تضعف البدن وتكبت الغرائز البشرية الطبيعية . إنه يحضّ المؤمن على التمتع (بالطيبات) التي أنعم الله بها عليه ، شريطة أن يقيم الحدود ويخضع للسنّة التي وردت في القرآن وهي ليست بالكثيرة ولا بالصارمة»[١٧].

وسانتيلانا يستعيد عبارة أرنست رينان Ernest Rénan (١٨٢٣ — ١٨٩٢ م) المشهورة «الإسلام هو دين الإنسان» ويعقب عليها بقوله : «إن روح الشريعة الإسلامية تتّسم بطابع جلي هو إفساح أرحب المجال للأعمال البشرية ، وهنا نتفق مع المشترعين والفقهاء المسلمين بأن القاعدة الأساسية في القانون هي (الإباحة) لكن هذه الإباحة لا يمكن أن تكون غير محدودة .. وهكذا تحدّد الحرية المطلقة للبشر حتى تؤدّي أقصى ما في طوقها من نفع للفرد والمجتمع ..»[١٨].

فهي إذن شريعة (الرفاه العام) و (السعادة البشرية) التي لن يكون لغير الله وحده من يقدر على منحها الإنسان ، فهو سبحانه الذي خلق بني آدم وهو سبحانه أعلم بمن خلق . ومهما ادّعت المذاهب الوضعية والسلطات الدينية المحرّفة في هذا الصدد فإنه ادعاء لن يتجاوز حدوده الموهومة ، لأن هذه المذاهب وتلك السلطات غير قادرة — ابتداءً — على إدراك الحدود الفاصلة بين السعادة والشقاء ، كما أنه ليس بمقدورها — ابتداءً كذلك — تحويل دعواتها إلى واقع متحقّق من خلال الرفاهية العامة للناس كافة . أما «مبادىء الإسلام القانونية فإنها على تعدّد أشكالها ، تؤول إلى غاية واحدة هي الرفاه العام (المصلحة) . لذلك فليس لهذا القانون : الإلهي مصدراً والبشري هدفاً ، إلّا سعادة البشر ورفاهه . والعين النافذة لا يمكن أن تخطىء رؤية هذه الغاية وإن شقّ عليها أن تتوضحها لأول وهلة ؛ لأن الله (سبحانه) لا يمكن أن يعمل شيئاً لا تتجلى فيه الحكمة والرأفة اللتان هما باعثاه الأساسيان . لمّا كان البشر من روح وجسد فلابد أن يكون للمرء اتجاهان في الحياة : اتجاه روحي واتجاه جسدي (مادي ومعنوي) وعلى هذا الأساس آضت القواعد (الحدود) الإلهية التي وضعها الله لتدبير البشر منقسمة إلى قسمين : ما يتعلق منها بالروح وما يختص منها بالجسد . فالدين والقانون هما نظامان متباينان لكنهما متلاحمان يتم أحدهما الآخر باتحادهما في المصدر والغرض ، وهو سعادة البشر ورفاهه»[١٩].

وسانتيلانا من أجل التوغل أكثر في أسس هذه الحرية التي وهبها الإسلام الإنسان ، والسعادة التي منحها إياه ، يرجع إلى مبدأ خلافة الإنسان عن الله في الأرض ، وهو واحد من أشد المبادىء الإسلامية ثقلاً وحضوراً ، كما أنها ذات ارتباط وثيق بمسألة الحرية والسعادة هذه : «إن لمحة خاطفة نلقيها على مختلف الأنظمة القضائية (في الإسلام) قد يكون لنا فيها بعض العون على تعريفنا بالفوائد العملية لهذه الشريعة . لمّا كان الفرد خليفة الله في أرضه فقد وهبه خالقه ملكات تدرك الحقوق والواجبات الملقاة عليه . ومن أعظم تلك الحقوق وأسماها حق المرء — بوصفه فرداً — في السلامة والحرية . فالحرية هي الحق الطبيعي لكل مخلوق بشري ، أما الرقّ فهو استثناء لتلك القاعدة .. والحرية معناها قوّة التصرّف الذاتي .. وهي على هذا الأساس لا يمكن أن تباع أو تشرى لرغبة ساورت صاحبها أو لنزوة عارضة . والعبودية التي يختارها المرء بملء رغبته لا تعترف بها الشريعة قانوناً قط . وعلى هذا المنوال تحرّم الشريعة جريمة الانتحار ...» .

[٦]

وثمة ميزات أساسية أخرى لهذه الشريعة يقف عندها سانتيلانا لكي يؤشر عليها بإيجاز :

الإيجابية : «إن الشريعة الإسلامية تحبّذ كل نشاط عملي مجد .. وتعزّر أولئك الطفيليين الذين يعيشون على كواهل غيرهم ، وتحتم على كل فرد أن ينفق على نفسه من كدحه وكسبه ، ولا تحتقر أي عمل متى أغنى صاحبه عن غيره وكفاه ذلّ السؤال»[٢١].

الشمولية : « .. المسلم يجب ألّا يحيد عن منهج مجموعة القواعد الضابطة لكل ناحية من نواحي حياته ، من أدق التفاصيل إلى أعم القواعد وأكبرها ، لأنها وضعت لصيانة وجوده في المجتمع وكينونته الروحية . تلك القواعد تسمى (الشريعة) ومعناها (الطريق القويمة) . ومن هنا جاءت الأهمية العظمى لعلم القانون (الفقه) ..»[٢٢].

الأصالة : «عبثاً نحاول أن نجد أصولاً واحدة تلتقي فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الإسلامية والرومانية) كما استقر الرأي على ذلك . إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادىء الثابتة لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا ، لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلاً»[٢٣].

المرونة : «إن شريعة الإسلام تفسح أوسع المجال لتحكيم الإرادة البشرية ، وتعلق أعظم الأهمية على القصد القانوني لا على نصّ القانون الحرفي . إن إرادة البشر كافية مهما كانت لخلق رابطة قانونية . ولكن قلّما كان بطلان أو صحّة أي مبدأ قانوني مرهوناً بأمر شكلي أو بنص حرفي في الشريعة الإسلامية ، يتجلى ذلك بمقارنته بما لا يحصى من القواعد الشكلية في قوانين الجرمان»[٢٤].

الحيوية : «لما كان الشرع الإسلامي يستهدف منفعة المجموع ، فهو بجوهره شريعة تطورية غير جامدة خلافاً لشريعتنا من بعض الوجوه . ثم إنها علم ما دامت تعتمد على المنطق .. وتستند إلى اللغة . إنها ليست جامدة ، ولا تستند إلى مجرد العرف والعادة ، ومدارسها الفقهية العظيمة تتفق كلها على هذا الرأي . فيقول أتباع المذهب الحنفي إن القاعدة القانونية ليست بالشيء الجامد الذي لا يقبل التغيير . إنها لا تشبه قواعد النحو والمنطق ، ففيها يتمثل كل ما يهدف في المجتمع بصورة عامة .. إن المنفعة هي مبدأ الفقهاء والمشترعين ، ولقد أدرك العرب بوضوح تام سرّ هذه المرونة ..... إن هذا التفاعل المستمر (للفقه) في الحياة يمكن تتبّعه في مسالك التاريخ الإسلامي»[٢٥].

متابعة المتغيرات : «إن الشريعة لم تقتصر على قبول العرف وحده ، بل أخذت تتبعه في كل تغيّراته .. إننا لو طبقنا القوانين التي بنيت على العرف القديم في الوقت الذي تغيّر ذلك العرف ، فمعنى ذلك أننا وقفنا ضد الرأي العام المعوّل عليه ، وبرهنّا على جهلنا التام بالدين .. هل معنى (متابعة الفقه للمتغيرات العرفية) هو أن الفكرة الدينية لم تساهم في تطور القانون الإسلامي ؟ هذا الاستنتاج ليس إلا سوء فهم لتلك الوحدة الفكرية التي يتمثل فيها مصدر قوة الإسلام الرئيسي ..»[٢٦].

الالتزام المطلق بالحق : «لا اعتساف في استعمال الحق تماماً (في الشريعة الإسلامية) ، إذ ليس لأحد أن يمارس حقاً له بالدرجة التي يسبب للآخر ضرراً محققاً . وللفقهاء المسلمين في هذا الصدد إحساس دقيق مرهف يفوق ما نتصوره .. وهكذا ترسم الأخلاق والآداب في كل مسألة حدود القانون .. وإنا لنجد أنفسنا أخيراً وقد بلغنا مرحلة (الحق المطلق) الذي هو أساس المجتمعات المتمدنة قاطبة»[٢٧].

ولا أعتقد أن ثمة حاجة للتعليق على هذه الخصائص التي يراها الرجل والتي اكتفينا باختيار العناوين التي تعبّر عنها . فلقد قيل كثير وكتب كثير عن هذه الخصائص التي جعلت الشريعة الإسلامية تحتل أعلى مصاف في سلّم الشرائع التي شهدها التاريخ البشري ، ولكن أن تأتي على لسان رجل من الغرب ، ليس مسلماً ، فذلك هو المهم ، وهو الذي يمنح الشهادة قيمتها الحقيقية .

إن سانتيلانا في ختام مقالته هذه يتوقف لحظات لكي يصدر حكمه الأخير في ضوء متابعته لتلك الخصائص الفريدة : «تلك هي الميزات التي تسم الشريعة الإسلامية في كبد حقيقتها . قد نجرأ على وضعها في أرفع مكان ، وتقليدها أجلّ مديح علماء القانون وهو الخليق بها وبمجمل القول أنها سمت حتى أصبح علينا أن نترسّم وجه مقارنة بينها وبين قواعد وإجراءات القوانين الإقطاعية السائدة أيام ازدهرت الشريعة الإسلامية .. إن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يسم الجانب الأكبر من شريعة العرب قد عمل على تطوير وترقية مفاهيمنا العصرية ، وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقي على ممرّ الدهور»[٢٨].

ويزيد شهادة الرجل قيمة أن تحليله لا ينصبّ على الجوانب النظرية فقط لشريعة الإسلام ، وإنما هو يتابعها عبر تطبيقاتها في واقع الحياة ، وهي متابعة رجل متمرّس خبير أتيح له أن يعايش هذه الشريعة السنوات الطوال .

الهوامش

(١) تعريب وتعليق جرجيس فتح الله ، الطبعة الثانية ، دار الطليعة ، بيروت ـــ ١٩٧٢ م .
(٢) تراث الإسلام ص ٤١٠ .
(٣) نفسه ص ٤٠٩ ـــ ٤١٠ .
(٤) إشارة إلى الآية ١٦ من سورة ق .
(٥) تراث الإسلام ص ٤٠٩ ـــ ٤١٠ .
(٦) نفسه ص ٤٠٦ .
(٧) نفسه ص ٤٠٨ .
(٨) نفسه ص ٤١٧ ـــ ٤١٨ .
(٩) نفسه ص ٤٣٢ .
(١٠) نفسه ص ٤٢٠ ـــ ٤٢١ .
(١١) نفسه ص ٤٢٤ ـــ ٤٢٥ .
(١٢) نفسه ص ٤٢٧ .
(١٣) نفسه ص ٤٢٧ .
(١٤) نفسه ص ٤١١ ـــ ٤١٢ .
(١٥) نفسه ص ٤١٩ .
(١٦) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .
(١٧) تراث الإسلام ص ٤١٢ .
(١٨) نفسه ص ٤١٢ ـــ ٤١٣ .
(١٩) نفسه ص ٤١٣ ـــ ٤١٤ .
(٢٠) نفسه ص ٤١٦ ـــ ٤١٧ .
(٢١) نفسه ص ٤١٢ .
(٢٢) نفسه ص ٤١٩ .
(٢٣) نفسه ص ٤٣١ .
(٢٤) نفسه ص ٤٣٣ .
(٢٥) نفسه ص ٤٣٣ ـــ ٤٣٤ .
(٢٦) نفسه ص ٤٣٥ ـــ ٤٣٦ .
(٢٧) نفسه ص ٤٣٧ ـــ ٤٣٨ .
(٢٨) نفسه ص ٤٣٨ ـــ ٤٣٩ .

الكتب والمكتبات في التراث العربي

تحفل كتب التراث العربي بأخبار وطرائف عن الكتب والمكتبات ، وسيكون هذا الباب خاصاً بهذه الأخبار والطرائف ننقلها بنصوصها كما وردت في المراجع التي استقيت منها :

ابن السمرقندي دلال الكتب

• إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي ، الدمشقي المولد ، البغدادي الوطن ، ولد بدمشق سنة ٤٥٤ وتوفي في سنة ٥٣٦ هـ .

«قال ابنُ عساكر : كان ثقةً مُكثِراً ، صاحبَ أصول ، دلّالاً في الكتب ...

عاش إلى أن خلت بغدادُ ، وصار مُحدِّثَها كثرةً وإسناداً ، حتى صار يَطْلُبُ على التسميع بَعْدَ حِرْصِه على التحديثِ ، أملى بجامع المنصور أزيدَ مِن ثلاث مئةِ مجلس ، وكان له بَختٌ في بيع الكُتُب ، باع مرةً «صحيحَي» البخاري ومسلم في مُجلَّدة لطيفة بخط الصُّوري بعشرين ديناراً ، وقال : وقعت عليَّ بقيراط ، لأني اشتريتُها وكتاباً آخر بدينارٍ وقيراط ، فبعتُ الكتابَ بدينارٍ .

قال السِّلَفي : هو ثقةٌ ، له أُنسٌ بمعرفة الرجال ، وقال : كان ثقةً يَعْرِفُ الحديث ، وسَمِعَ الكُتُبَ ، وكان أخوه أبو محمد عالماً ثقةً فاضلاً ، ذا لسن .

وقال ابنُ ناصر : كان دلّالاً ، وكان سيِّءَ المعاملةِ ، يُخاف من لسانه ، يُخالط الأكابر بسبب الكُتُب» .

(الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٠/٣٠-٣١)

من مؤلفات المازري

• أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميم المازري المالكي ، توفي سنة ٥٣٦ هـ .

«مصنِّف كتاب «المُعْلِم بفوائد شرح مسلم» ومصنف كتاب «إيضاح المحصول» في الأصول ، وله تواليف في الأدب ، وكان أحد الأذكياء الموصوفين ، والأئمة المتبحِّرين ، وله شرحُ كتاب «التلقين» لعبد الوَهّاب المالكي في عشرة أسفار ، هو من أنفس الكُتب» .

(الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٠/١٠٤-١٠٥)

ابن الزاغوني وتجليد الكتب

• أبو بكر محمد بن عبد الله بن نصر بن السريّ البغدادي ، ابن الزاغوني المجلد ، توفي سنة ٥٥٢ هـ .

«قال السمعاني : شيخٌ صالحٌ مُتديِّنٌ ، مَرضيُّ الطريقة ، قرأتُ عليه أجزاء ، وكان له دكان يُجلِّدُ فيها .

قلت : كان غايةً في حُسْنِ التجليد ، قرَّرهُ المقتفي لأمر الله لتجليد خِزانة كُتُبه» .

(الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٧٨) .

ابن الحطيئة ونسخ الكتب

• أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام اللخمي المغربي الفاسي المقرىء الناسخ ابن الحطيئة ، ولد بفاس سنة ٤٧٨ وتوفي سنة ٥٦٠ هـ .

«دخل الشام ، وزار ، وسكن مِصْرَ ، وتزوَّج ، وكان يعيشُ من الوراقة ، وعلَّم زوجتَه وبنتَه الكتابَة ، فكتبَتا مثلَه ، فكان يأخُذُ الكتابَ ويقسِمه بينه وبينهما ، فينسخُ كُلٌّ منهما طائفةً من الكتاب ، فلا يُفرَّقُ بين الخطوط إلا في شيءٍ نادرٍ ، وكان مُقيماً بجامع راشدة خارجَ الفُسطاط ، ولأهلِ مصر حتى أمرائها العُبيدية فيه اعتقادٌ كبيرٌ ، كان لا يقبلُ من أحدٍ شيئاً ، مع العلمِ والعملِ والخوف والإخلاص .

.. وكان ينسخ بالأجرة .. وكتب صحيح مسلم كله بقلم واحد» .

(الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٠/٣٤٥ ، ٣٤٧) .

مؤلفات ابن هبيرة

• أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني الدوري ، ولد سنة ٤٩٩ ، من وزراء الدولة العباسية :

«قلت : له كتابُ «الإفصاح عن معاني الصحاح» شرح فيه «صحيحَي» البُخاري ومُسلم في عشرِ مجلَّدات[٢] ، وألَّف كتاب «العبادات» على مذهب أحمد ، وله أُرجوزة في المقصور والممدود ، وأُخرى في علم الخطّ ، واختصر كتاب «إصلاح المَنْطِق» لابن السِّكِّيت» .

(الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٠)

مصير الكتب التي أوقفها ابن هبيرة

«قال أبو المُظفَّر سبطُ ابنِ الجوزي : وقد اضطرَّ ورثةُ الوزيرِ ابنِ هُبيرة إلى بيع ثيابِهم وأثاثِهم ، وبيعت كُتُبُ الوزيرِ الموقوفةُ على مدرسته ، حتى لقد أبيع «البستان» لأبي اللَّيثِ السَّمَرْقَنْدي في الرقائق [بخط منسوبٍ وكان مُذَهَّباً] بدانِقَين وحبَّة ، وقيمتُهُ عشرة

دنانير ، فقال واحد : ما أرخص هذا البُستان ! فقال جمالُ الدين بنُ الحُصين : لِثِقَلِ ما عليه من الخَرَاج — يُشير إلى الوَقْفِيَّة — فأُخِذَ وضُرِبَ وحُبس» .

(الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣١)

إسحاق بن حنين وتعريب كتب الطب

«أبو يعقوب إسحاق بن حُنَيْن بن إسحاق العِبادِيُّ ، الطبيب المشهور ؛ كان أوحد عصره في علم الطب ، وكان يلحق بأبيه في النقل ، وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها . وكان يُعَرِّبُ كتب الحكمة التي بلغة اليونانيين إلى اللغة العربية كما كان يفعل أبوه ، إلا أن الذي يوجد من تعريبه في كتب الحكمة من كلام أرسطاطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب ، وكان قد خدم من الخلفاء والرؤساء مَنْ خدمه أبوه ، ثم انقطع إلى القاسم بن عبيد الله وزير الإمام المعتضد بالله ، واختص به ، حتى إن الوزير المذكور كان يطلعه على أسراره ، ويُفضِي إليه بما يكتمه عن غيره) .

(ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٢٠٥)

ابن الخشاب وحيله في شراء الكتب

• أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد البغدادي ابن الخشاب ، توفي سنة ٥٦٧ هـ .

قال ابن النجار : سمعتُ المبارَكَ بن المُبارك النحويَّ يقولُ : كان ابنُ الخشّاب إذا نُودِيَ على كتابٍ ، أخذَهُ وطالعه ، وغلَّ ورقه ، ثم يقولُ : هو مقطوعٌ ، فيشتريهِ برخص .

قلتُ : لعله تابَ ، فقد قال عبدُ الله بنُ أبي الفَرَجِ الجُبَّائي : رأيتُ ابنَ الخشَّاب وعليه ثيابٌ بيضٌ ، وعلى وجهه نورٌ ، فقُلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفرَ لي ، ودخلتُ الجنَّة ، إلا أنَّ الله أعرضَ عنِّي وعن كثيرٍ من العُلماء ممن لا يعمَلُ» .

(الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٢٧)

الجاحظ ومدح الكتاب

• من رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في مدح الكتاب :

«عبت الكتاب ونعم الذخر والعقدة ، ونعم الجليس والعمدة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل ، و [نعم] الوزير والنزيل ، والكتاب وعاء ملىء علماً ، وظرف حُشي ظرفاً ، وإناء شحن مزاحاً وجداً إن شئت كان أبين من سحبان وائل ، وإن شئت كان أعيا من باقل ، وإن شئت ضحكت من نوادره ، وعجبت من غراب فرائده ، وإن شئت شجتك مواعظه ، ومن لك بواعظ مُلهٍ ، وبسارد حارّ ، ومن لك بطبيب أعرابي ، وبروميّ هنديّ ، وبفارسيّ يونانيّ ، وبقديم مولّد ، وبميِّت ممتَّع به ، وبشيء يجمع الأول والآخر ، والناقص والوافر ، والشاهد والغائب ، والحسن وضده ، وبعد : فمتى رأيت بستاناً يحمل في ردن ، وروضة تُقلَّب في حجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ، آمن من أرض ، وأكتم للسرِّ من صاحب السرّ ، وأضبط لحفظ الوديعة من أرباب الوديعة ، وأحضر من الأميين ، ومن الأعراب المعربين ، بل من الصبيان قبل اعتراض الأشغال ، حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تنقسم ، والإرادات وافرة لم تتشعب ، والطينة لينة فهي أقبلُ ما يكون للطبائع ، والقضيب رطب فهو أقرب ما يكون من العُلوق ، حين هذه الخصال لم يُلبس جديدُها ، ولم تتفرق قواها ، وكانت كقول الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

وقال ذو الرمة لعيسى بن عمر : أكتب شعري فالكتاب أحب إلي من الحفظ ، لأن الأعرابي ينسى الكلمة وقد تعب في طلبها يوماً أو ليلة فيضع موضعها كلمة في وزنها لم ينشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام .

وعبت الكتاب ولا أعلم جاراً أبرَّ ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، ولا أقل جناية ، ولا أعدم غيبة ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفاً ، ولا أقل صلفاً وتكلفاً .

(رسالة أبي عثمان الجاحظ في مدح الكتاب بتحقيق إبراهيم السامرائي) .

ابن مرار الشيباني ونسخ المصاحف

• أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني النحوي اللغوي ، توفي سنة ٢٠٦ هـ .

« ... كان الغالب عليه النوادر وحفظ الغريب وأراجيز العرب . قال ولده عمرو : لما جمع أبي أشعار العرب ودوَّنها كانت نيفاً وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة ، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه» .

(ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٢٠٢)

فقيه ورَّاق

«أبو الفتوح أسعد بن أبي الفضائل محمود بن خلف بن أحمد بن محمد العجلي الأصبهاني الملقب منتجب الدين الفقيه الشافعي الواعظ ؛ كان من الفقهاء الفضلاء الموصوفين بالعلم والزهد ، مشهوراً بالعبادة والنسك والقناعة ، لا يأكل إلا من كسب يده ،

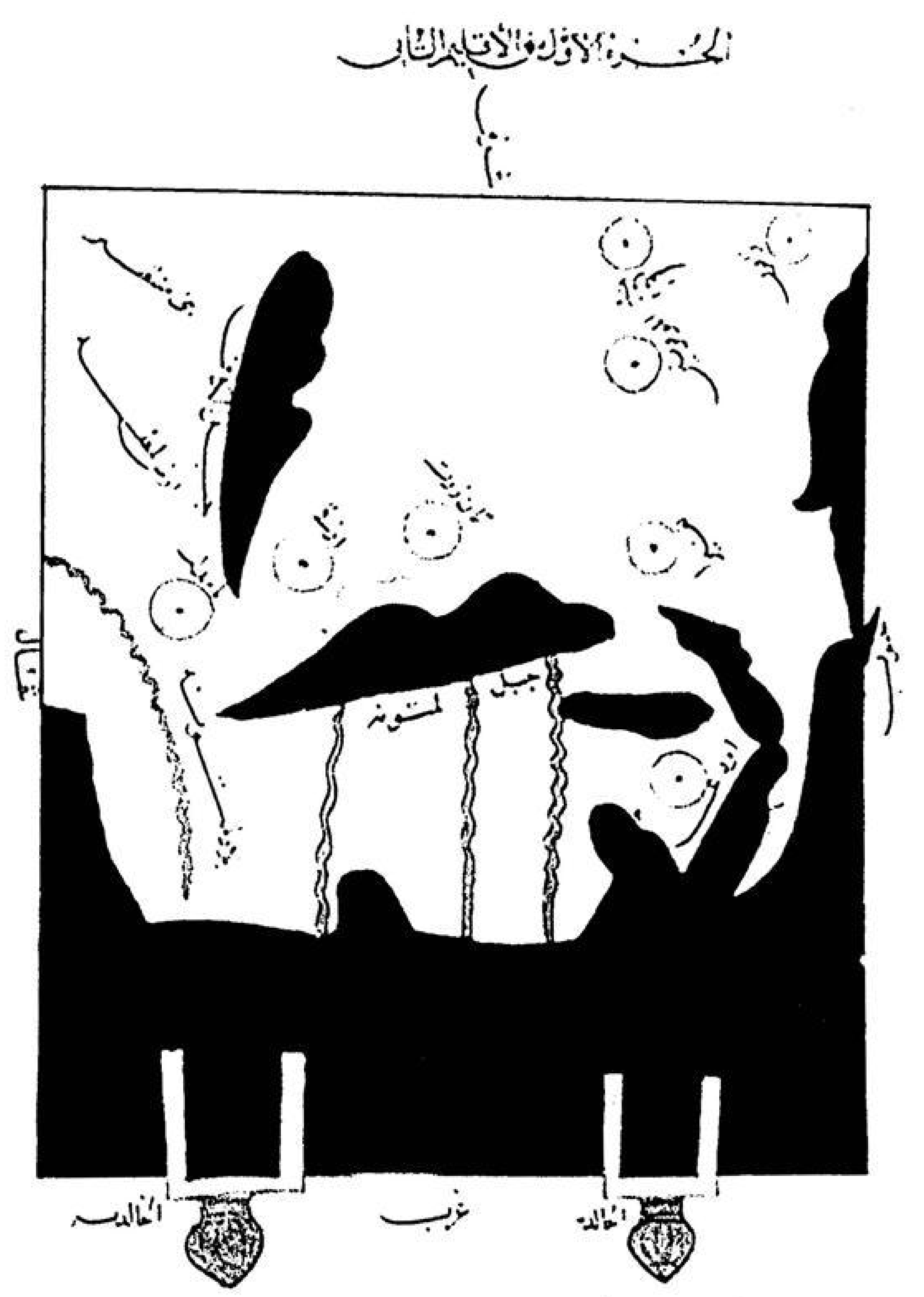
وكان يُوَرِّق ويبيع ما يتقوَّتُ به» .

(ابن خلكان ، وفيات الأعيان ۲۰۸/۱)

ابن صورة المصري سمسار الكتب

« ...أبو الفتوح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري المعروف بابن صورة ، كان سمساراً في الكتب بمصر ، وله في ذلك حظ كبير ، وكان يجلس في دهليز داره لذلك ، ويجتمع عنده في يومي الأحد والأربعاء أعيان الرؤساء والفضلاء ويعرض عليهم الكتب التي تباع ، ولا يزالون عنده إلى انقضاء وقت السوق ، فلما مات السلفي سار إلى الإسكندرية لبيع كتبه ، ومات في السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستمائة بمصر ودفن بقرافتها ، رحمه الله تعالى» .

(ابن خلكان ، وفيات الأعيان ۱۹۷/۱) .



لوحة من كتاب أنس المهج وروض الفرج للادريسي (ت ٥٦٠ هـ)

نصوص مترجمة :

تاريخ الإرث في الولايات المتحدة الأمريكية

« فصل من كتاب قانون الوصايا لتوماس اتكنسون »

ترجمة

عبدالعزيز محمد الزيد
قسم الدراسات الاسلامية - كلية الآداب
جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

مقدمة :

تطورت وسائل الاتصالات الحديثة بين الأمم تطوراً كبيراً ، ولضرورة التعامل بينها كان لابد من بروز الترجمة التي هي من أهم العوامل التي تنمي العلاقات بين الشعوب وتسهل التفاهم ، وقد شمل ذلك مع ما شمل الجهود القانونية .

ولما كانت ترجمة ما جدَّ من أفكار قانونية لدى الأمم ذات التأثير الفكري الكبير على المجتمعات البشرية لها أهمية كبيرة ، وذلك لمعرفة مقدار التحولات التي تطرأ عليها وعلى أنظمتها وتشريعاتها ، وخدمة للعلم وطلابه ، وتيسيراً للباحثين الناطقين بالعربية الذين يعرفون ولا شك التشريع الإسلامي في الإرث والوصايا ، ومن أجل التعرف على الطرق المتبعة للإرث في أمريكا وبريطانيا عبر مراحل تطورها وأساليب تطور القانون الوضعي ، وإسهاماً في سدِّ بعض النقص الحاصل في هذا المجال المهم ، فقد قمت فيما يلي بإلقاء الضوء على جانب من الجوانب التي يمتزج فيها الفكر بالتطبيق ، ومصالح الأسرة بمصالح المجتمع ، وذلك من خلال ترجمة الفصل الخاص بدراسة تاريخ الإرث بالولايات المتحدة الأمريكية من كتاب قانون الوصايا ، تأليف توماس إي . اتكينسون .

وأهمية هذا البحث تنبع من كونه ليس مدخلاً تاريخياً مهماً للإرث في الولايات المتحدة الأمريكية وحسب ، بل اشتمل على تدوين لقواعد الإرث الأساسية في إنجلترا التي تطورت في تشريعاتها عبر قرون طويلة جداً ، من المراحل شبه البدائية إلى مراحل قريبة من النضج . وهذا التدرج القانوني عبر مراحل التاريخ المختلفة كان انعكاساً لحالة المجتمع غير المستقرة ، وتمثل صورة صادقة للتنافر الحاصل بين عوامل الجذب الرئيسية الثلاثة :

١ ـــ الحكام وهم الأكثر تأثيراً ، وغالباً ما سنت القوانين لتخدم أغراضهم وتوجهاتهم .

٢ ـــ الكنيسة ذات نفوذ كبير في العصور القديمة على الحكام والأفراد مكنها في إطار التعاون بينها وبين الحكام قديماً من وضع قواعد قانونية لا زال بعضها يعتبر مرتكزاً لبعض الدراسات والتطبيقات إلى وقتنا الحاضر .

٣ ـــ المجتمع ، وقد كان لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، فقد كانت مصالحه عبر التاريخ ضائعة بين مصالح الحكام ومصالح الكنيسة ، اللهم إلا في حالات نادرة أو في أزمان متأخرة جداً .

وهذا البحث إلى جانب ما ذكر مفيد ولاشك للباحثين الاجتماعيين والنفسيين ، إذ هو شاهد على أنه متى جعل للمجتمع أن يختار بحرية بين الاستمرار في تطبيق القواعد التي بنيت على أفكار مستقرة لدى الأجيال السابقة ، قد خبر نتائجها بنفسه ، ثم ارتضاها في مساره ؛ وبين أفكار جديدة بعيدة عما ألفه ، أو هي وافدة عليه ، فإنه ولاشك سيختار بقاء ما كان على ما كان ، وإن اقتنع بعض العقلاء بفسادها ، مع المحاولة المستمرة لتطويرها كلما دعت الضرورة لذلك ، دون المساس بالأفكار الأساسية التي بنى عليها المجتمع حياته وصاغت نظامه . ويؤيد ذلك أن بعض الأفكار والقواعد القانونية المعمول بها قديماً عند الرومان والأنجلو ـــ ساكسون وبريطانيا لا زالت تؤثر على القوانين الإنجليزية المعاصرة ، وعلى قوانين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا ونيوزلندا ، وكذا على قوانين الدول النامية التي حذت حذو الدول الغربية في تشريعاتها وتطبيقاتها القانونية . ولم ينج من ذلك التأثير جميع الدول العربية والإسلامية إلا ما جرت عليه المملكة العربية السعودية عبر قرنين ونصف من الزمان في تجربتها الفريدة المنبثقة من مصادر التشريع الإسلامي : القرآن والسنة والإجماع والقياس .

وقد ولد المؤلف سنة ١٨٩٥ م[١]. وكان أحد رجال القانون المعتبرين في الولايات المتحدة الأمريكية ، إذ كان يشغل مرتبة أستاذ (بروفيسور) للقانون في جامعة ميزوري في سنة ١٩٣٧ م ، وفي سنة ١٩٥٣ م كان يعمل أستاذاً للقانون بجامعة نيويورك[٢].

إنتاجه العلمي :

١) شارك المؤلف في عمل نظام إثبات الوصايا النموذجي مع كل من إل . إم . سايمز ، و بي . إي . بيسي ، و آر . جي . باتون ؛ وقد كان المؤلف فخوراً بتلك المشاركة[٣].

٢) قضايا ومواد أخرى في الإجراءات المدنية ، كتاب ألفه بالاشتراك مع جيمز إتش . تشادبورون . الناشر مطبعة مؤسسة بروكلين ، سنة ١٩٤٨ م .

٣) قضايا ومواد أخرى في قانون الوصايا وإدارة التركات . كتاب ألفه بالاشتراك مع فيليب ميتشام . النشرة الثانية سنة ١٩٣٩م بمطبعة مؤسسة الاتحاد بشيكاغو .

٤) مقتبسات من القضايا والمواد الأخرى في الإجراءات المدنية . كتاب ألفه بالاشتراك مع جيمز إتش . تشادبورن ، نشر سنة ١٩٤٨ م بواسطة مطبعة مؤسسة بروكلين[٤].

٥) مختصر قانون الوصايا وإدارة التركات ، ويحتوي على الإرث بدون وصية . كتاب تم نشره بواسطة ويست بيليشنج كومباني في سينت بول ، مينيسوتا ، سنة ١٩٣٧ م .

٦) مختصر قانون الوصايا وإدارة التركات ، وهو الكتاب الذي تمت ترجمة هذا البحث منه ، وقد قامت بنشره ثانية في شكل جديد ويست بيليشينج كومباني سنة ١٩٥٣ م ، بعد أن قام المؤلف بإعادة النظر في الكتاب وأجرى بعض التعديلات عليه ليتناسب مع تطور القانون خلال السنوات التي تلت النشرة الأولى ، وليستثمر ما اكتسبه من خبرة وفهم لاسيما بعد مشاركته في وضع نظام إثبات الوصايا النموذجي[٥] .

ومما يدل على أهمية هذا الكتاب في شكله الجديد الإقبال الكبير عليه من قبل الطلاب ورجال القانون ، حيث أعيد طبعه عدة مرات ، وقد كانت الطبعة التاسعة عشرة له في سنة ١٩٧٥ م .

وفاته : لم أعثر على تاريخ وفاته في الأجزاء التي اطلعت عليها من كتب التراجم والمؤلفين الأمريكيين ولا في الفهرس الوطني الموحد ، (The National Union Catalog) ، الذي ذكرت فيه مؤلفاته ، ولكني عرفت أنه كان ميتاً قبل صدور الطبعة التاسعة عشرة من كتابه هذا سنة ١٩٧٥ م حسبما ورد على الغلاف الداخلي .

تاريخ الإرث في الولايات المتحدة الأمريكية[٦]

مع أن النمط الأساسي لجوهر القانون الأمريكي للإرث مستمد من القانون الإنجليزي ، إلا أنه يوجد تباين كبير منذ الوهلة الأولى مع ابتكارات أمريكية مهمة في مجال الإجراءات والإدارة . فالسلطة على الوصايا مثلاً قد أنيطت بالمحاكم الأمريكية لإثبات الوصايا التي تمارس إشرافاً قضائياً أكثر دقة على تركة المتوفى من المحاكم الإنجليزية .

لقد سلمت أمريكا من كثير من المشكلات ، المتعلقة بالإرث التي قام القانون الإنجليزي بحلها . فقبل الاستعمار (لأمريكا) كانت الأرض قابلة للتوريث ، ونظام تحديد حق الورثة في الأموال المنقولة لم يعد مطبقاً .

ومع أن النظم الاستعمارية تقضي بإلزام المستعمرات باتباع القانون الإنجليزي ، إلا أن المستعمرات لم تكن دائماً تفعل ذلك فيما يتعلق بأمور الإرث . وفي الحقيقة فإن المستعمرات لم تكن تستطيع الالتزام بنظام البلد الأم في بعض الأحيان . فالكنيسة الرسمية لم يكن يوجد بها أساقفة ، ولذلك لم تكن في المستعمرات محاكم كنسية تمارس السلطة على الوصايا . ثم إن الحالات الاجتماعية والاقتصادية مختلفة في العالم الجديد لشيء واحد هو أن الأرض متوفرة ، ولهذا اعتبرت مثل البضاعة لاحقاً للولد البكر .

ولاية ماستشوست

هنا كانت علامات الاختلاف المبكر مع القانون الإنجليزي أكثر وضوحاً عنها في المستعمرات الوسطى والجنوبية . فروح الاستقلالية عند الناس تمثلت في الطريقة التي انتقلت بها العقارات والبضائع في كل من بليموث وخليج ماستشوست ، فحقُّ الولد البكر كان يُتجاهل عادة . فلقد دعت القوانين المبكرة إلى تقسيم التركة إلى مال منقول ومال غير منقول ، ليبعد بذلك عن تعقيدات نفقة الأرملة ونصيب الحي من الزوجين . ولقد كانت هناك مرونة أيضاً ، حيث كان معروفاً عن المحكمة أنها تمنح الزائد من الأموال المنقولة للبنت الضعيفة (كالعرجاء مثلاً) . والأرض كانت صالحة لتسديد الديون ، ولذلك كانت في العادة تدخل في حصر التركة .

خلال الجزء الأول من القرن التاسع عشر يظهر أن الأرض والأموال الشخصية كانت كلها تنتقل إلى الورثة ، ربما لأن الإدارة الاستعمارية لم تعرف القوانين الإنجليزية في هذه النقطة ، أو لم تهتم ، أو كلاهما . لكن هذا ترك في القرن الثامن عشر والتزم بالقانون التقليدي في انتقال الأراضي ، وفي الإشراف على إثبات الوصايا بالعقار وغيره . وبقيت قائمة تسلسل الورثة وقسمة التركات كما هي . وفي سنة ١٦٩٦ م جرى تطبيق تشريع صلاحية الأراضي التي يملكها المتوفى لسداد ديونه ، فسمح للممثل الشخصي بأن يتولى بيعها بعد أن تأذن المحكمة بذلك .

في كل من بليموث وخليج ماستشوست كانت السلطة على الوصايا تمارسها في البداية المحكمة العامة أو محكمة القضاة المساعدين ، وبعد ذلك صارت تمارس تلك السلطة محاكم الأقاليم ، إلا أنه بعد توحيد تلك المستعمرات التي تكوَّن منها إقليم ماستشوست في عام ١٦٩١ م ، اشترط ميثاقها الجديد أن تكون المحاكم هي السلطة العليا لإثبات الإرث والوصايا . وقد عين الحاكم نواباً عنه يعرفون بقضاة الإثبات في كل جزء من الإقليم . وقد منح قانون الإقليم القضاة سلطة واسعة على الوصايا . ولم يكن لمحكمة العدل التي تشرف على إدارة أموال المتوفى وجود في ماستشوست . وقد أنشئت محاكم الإثبات سنة ١٧٨٤ م ونقلت إليها السلطات الممنوحة لقضاة الإثبات . ولقد أصبحت هذه المحاكم تدون إجراءاتها القضائية في سنة ١٨٦٢ م فتحسنت تبعاً لذلك إجراءاتها واتسعت سلطاتها من وقت لآخر . وأخيراً تعزَّز نفوذها بقانون ١٩٣٢ م الذي جعل قرارات هذه المحاكم تذهب عند الاستئناف للمحكمة الابتدائية بمحكمة القضاء العليا .

كان حق المرأة في تركة زوجها (dower) موجوداً دائماً في قانون ماستشوست . وفي بداية تطور الكومونولث صدر عنه كثير من القوانين العامة المتعلقة بأحكام الوصايا والمواريث التي أغفلت أو رفضت في أيام الاستعمار . وقد ظل إقليم ماستشوست الإقليم الذي لم يلتزم التزاماً كاملاً بقواعد الإرث في القانون الإنجليزي . وفيما يتعلق بالإجراءات وتنظيم المحاكم فقد أوجد الإقليم طرازاً أمريكياً لإثبات وإدارة التركات من خلال الإشراف المباشر للمحكمة على كل خطوات القضية . وهذا الطراز أصبح نموذجاً أخذت به الولايات الأخرى ، وخاصة ولايات وسط الغرب بتأثير غير مباشر من نظم نيوإنجلاند .

نيويورك :

هناك في المستعمرات إلى الجنوب كانت القوانين الإنجليزية للإرث مطبقة بدقة أكثر مما هي عليه في نيوانجلاند . أما القوانين الهولندية فقد اكتسحت بسرعة بعد الاحتلال الانجليزي لنيويورك . ولأن تشريعات الإرث في ظل القوانين المسماة بـ (قوانين ديوك) لا تنطبق إلا على الأموال المنقولة فقد ترك لأحكام القانون في المستعمرات أن تحدد المستحق للإرث . وفيما يتعلق بحق توريث الولد البكر فإنه لم يجر إلغاؤه في نيويورك إلا في سنة ١٧٨٦ م. وأحكام إرث الأرض تحولت إلى تشريع شكلي في بدايات نشأة الولاية ، وقد ظلت مختلفة ومنفصلة عن قوانين قسمة الأموال المنقولة حتى عام ١٩٣٠ م .

ولقد قام ديفيد ددلي فيلد باقتراح قانون مدني تضمن تقنيناً لكل قواعد الإرث ، ولكن هذا القانون رفض في نيويورك كلية . ومن شأن هذا القانون لو ووفق عليه أن يمثل إلغاء عملياً للتمييز بين انتقال العقارات والأموال المنقولة بعد الوفاة ، نظراً لأنه لم يتضمن فقط توحيد قائمة المستحقين للإرث وقسمة التركات ، بل تضمن أيضاً بنداً ينص على انتقال كل الأموال بعد الوفاة إلى الممثل الشخصي ، ولكن قانون فيلد هذا قد رفض في نيويورك كلية .

وكنتيجة عرضية سيئة لاقتراح فيلد فإنه أدى وحتى الوقت الحاضر إلى توزيع تشريعات الإرث في نيويورك بين تشريع المحاكم الحسبية وبين تشريعات تركة المتوفى . والحقيقة أن الوضع أسوأ مما ذكر ، لأنه بناء على ما يقتضيه تنظيم التشريعات فإن أجزاء مهمة من قانون الإرث ظلت مبعثرة بين الأقسام المتعددة لقوانين نيويورك الموحدة .

وفي نيويورك أنيطت السلطة على الوصايا بالمحاكم الحسبية ، والاسم الذي عرفت به هذه المحاكم يشير إلى أن هذه السلطات كانت تمارس بتفويض الحكام الملكيين ، ويشير أيضاً إلى تأثرها المبكر بتطبيقات المحاكم الكنسية الإنجليزية .

والمحاكم الحسبية كانت محاكم تدون إجراءاتها منذ وقت طويل ، ويتضح تميزها من كون قراراتها يمكن عرضها مباشرة على قسم الاستئناف بالمحكمة العليا . ومع ما كان لمركز نيويورك وتشريعاتها القانونية للإرث من تأثير كبير على الأقاليم الأخرى ، لكن من المؤسف أنه توجد هناك مجالات للانتقاد كالمحافظة (أي التقليد للقانون الإنجليزي وإن لم يكن مناسباً) وكذا تشتت بنود التشريعات .

كاليفورنيا :

على الرغم من أن كثيراً من مواد القوانين في كاليفورنيا ممتازة ، إلا أن نظام الوصية يستحق الاهتمام ، نظراً لأن كثيراً من الولايات الغربية قد تبعته ، ولأن أصول النظام هذا استحدثت في أزمان متأخرة إلى حد ما محملة بخلفية قانونية اسبانية مكسيكية . وهذان العاملان كان لهما تأثير على قانون الإرث في كاليفورنيا : فنظام الأموال المشتركة بين الزوجين أعطى الحي منهما الحماية التي لم يعطها القانون العام بقدر كاف من خلال النظام الذي يعطي الأرملة نصيباً في عقار الزوج المتوفى .

الوصية التي تكتب بخط الموصي وتوجد كلها بيده ولكنها غير موقعة وغير موثقة بشهادة الشهود لها أيضاً أصول في القانون المدني . وكلا هذين النظامين لا زالت لهما مكانة مرموقة في الولاية ، إلا أن هذا القانون التشريعي الرائد للإرث قد أبدل بمواد في القانون المدني استعير أكثرها من نظام فيلد الذي لم يتم إقراره في نيويورك . وهكذا وكما ورد في نظام فيلد فإن قانون كاليفورنيا المدني الأصلي قد جعل تركة المتوفى الذي لم يترك وصية ، عقاراً كانت التركة أو غير عقار ، تنتقل إلى الممثل الشخصي للميت لأجل إدارتها . ولكن هذا عُدّل بعد عامين ليجعل ملكية جميع التركة ، عقاراً أو غيره ، تنتقل إلى الورثة تحت إشراف المحكمة ، وتكون بيد الممثل الشخصي لغرض الإدارة . ولعل هذا الإجراء يكون هو السبب وراء التفكير بإلغاء إدارة التركات في بعض الحالات ، كما يتضح من تلك الالتفاتة الفاترة إلى الإرث المشترك لكل الورثة بحكم انتقال ملكية التركات لهم جميعاً . وهذا الحكم لا زال معتبراً إلى يومنا هذا، ولكنه عدل ليشمل المال الموصى به أيضاً مع الطلب من الممثل الشخصي للميت بحيازة العقار والأموال المنقولة .

وعند مراجعة القانون في ١٨٧٢ م جعلت الإجراءات الخاصة بالإرث ضمن قانون الإجراءات المدني الجديد . وفي ١٩٣١ م نقلت كل مواد التشريعات الخاصة بالوصية والإرث بلا وصية وإثبات الوصايا وإدارة التركات من أماكنها وضمت إلى بعضها البعض ، وأطلق عليها مجتمعة قانون الإثبات الجديد . وهذه الطريقة العامة ، التي مزجت فيها الأمور الجوهرية في قانون الإرث مع الأمور التطبيقية ، أخذت بها معظم الولايات . وعلى الرغم من كون هذه النتيجة لا تمثل غالباً إلا جزءاً فقط من أجزاء متعددة متعاقبة ناتجة من مراجعة القانون أو هي مجرد تجميع لذلك فلا يسمى بقانون إثبات .

اتجاهات عامة :

اقرت بعض مجالس المستعمرات مواد الوصية في قانون الغش في سنة ١٦٧٧ م مما نتج عنه أنه لا تطلب الشهادة من الشهود إلا عند الوصية بالعقار . وهذا الاختلاف استمر في عدد قليل من الأنظمة الأمريكية إلى ما بعد بداية هذا القرن ، لكنه اختفى الآن كلية . ولقد كانت قائمة الورثة تختلف في حالة إرث العقار عن قائمة الورثة في حالة تقسيم التركة من غير عقار ، وكان هذا الإجراء عاماً في القرن التاسع عشر ، ولكن معظم الولايات الآن قد اتخذت طريقة موحدة (أي قائمة موحدة) لتوزيع التركة ، سواء أكانت التركة عقاراً أم أموالاً شخصية . وفي الكثير من التجمعات السكانية الصغيرة يوجد اختلاف فقط في مقدار نصيب الحي من الزوجين . ويظهر أن الحكم الأصلي في تطبيق إجراءات الإثبات على الأموال الشخصية (أي الأموال المنقولة) لم يلتزم به في بعض المحاكم ، وأنه قد اختفى تقريباً في هذه الأيام . وعلى كل حال فإن القواعد التي تجعل العقار ينتقل مباشرة إلى الورثة أو إلى الموصى لهم به ، بينما تنتقل الأموال الشخصية إلى الممثل الشخصي لا زالت هي الأساس في معظم القوانين ، على الرغم من أن الأول قد جرى تعديله في كل مكان تقريباً بمواد تشريعية تعطي الممثل الشخصي سلطة قانونية وواجبات فيما يتعلق بعقار الميت .

وفي الجملة فمن المناسب بشكل عام القول إنه بينما أصبح الاتجاه الخاص لتوحيد معاملة العقار والأموال الشخصية في امريكا معروفاً للعموم حتى قبل إقرار تلك التطويرات في القانون الإنجليزي ، إلا أن إلغاء التفريق بين العقار والأموال الشخصية فيما يتعلق بالإرث وبشكل كامل أخيراً في القانون الإنجليزي ليس له ما يماثله في معظم ولايات امريكا .

إشراف القضاء على أموال الميت :

إحدى المميزات المهمة في التطوير الأمريكي لهذا القانون هي المدى الذي بلغه تطور إدارة الأموال تحت إشراف المحاكم . وهذا الإشراف أصبح روتينياً (معتاداً) ولا يعتمد دخول تلك الأموال تحت الإشراف على وقوع خلاف وشكاوي . وهذا حصل نتيجة لاستحداث عدد من المواد القانونية أدت إلى

ضمانة تصفية أموال الميت : إحدى تلك المواد المادة التي تمنع الدعوى على المال بعد انتهاء وقت محدد ، لمنفعة الممثل الشخصي في بعض الحالات ، وفي معظم الحالات لمنفعة المستحقين الآخرين أيضاً . وثانية تلك المواد بيع عقار الميت بعد إذن المحكمة لسداد دينه . وثالثها ، ذلك الشرط الذي أخذ به عدد متزايد من السلطات القضائية بالولايات ، وهو الذي ينص على أن أمر عمل الإشراف على الأموال ، وإدارتها يسري على كل أنواع الأموال ، سواء فيما يتعلق بصكوك تملك العقار أو فيما يتعلق بتأكيد حق الإرث .

محاكم إثبات الوصايا :

كانت سلطة النظر في الوصايا والفصل فيها في المستعمرات (الانجليزية) من اختصاص المحاكم العادية أو الجمعيات التشريعية أو الحاكم أو مجلس الحاكم ، وهذا يختلف باختلاف الزمان والمكان . ومن هذه البدايات برزت في معظم الولايات محاكم خاصة تعرف عادة بمحاكم الإثبات ، لكنها في بعض المواضع تعرف بالمحاكم الحسبية أو محاكم الأيتام أو المحاكم العادية . وفي قليل من الولايات أنيطت السلطة بمحاكم الأقاليم أو المحاكم الكبرى ، التي أنيطت بها سلطات قضائية عامة ، أو على الأقل أنيطت بها بعض تلك السلطات . وفي بعضها كان لكاتب المحكمة حق إنهاء الإجراءات الروتينية (العادية) فيما يتعلق بقضايا الإثبات والإدارة .

محاكم الإثبات كانت قريبة من الناس ، ففي كل إقليم توجد واحدة ، وفي ولاية كنتيكيت توجد منها في الواقع واحدة في كل مفترق طرق . وهذا بالطبع مناسب للجميع ، إذا أخذنا في الاعتبار وبالتفصيل المهام الإشرافية للمحكمة كما يتوقعها النظام . لكن كان لذلك نتائج سيئة ، ففي الوقت الذي تكون فيه محاكم الإثبات محاكم تدوينية (تدون إجراءاتها) في معظم الولايات ، إن لم يكن في جميعها ، فإن هذه المحاكم لا يكون لديها في الغالب إلا أعمال قليلة تقريباً في المناطق الريفية ، لذلك فإن السلطات المختصة لم تكن في الغالب راغبة في تقديم مكافأة مناسبة لقضاة الإثبات أو في تقديم مساعدة على الأعمال الكتابية في تلك المحاكم ، وغير راغبة أيضاً في تدريسهم . ولما ذكر فمن الطبيعي أن لا تكون أمور المحكمة منضبطة ، وكان الشك في القضاة وقدراتهم مدعاة للحد من سلطاتهم فيما يتعلق بمسائل العقار ، حيث سمح بعرض قضايا الوصايا والدعاوي فيها أمام المحاكم التي لها سلطات عامة ، وعلى كل حال فإن هذه النظرة لهذا النوع من المحاكم لا وجود لها في بعض الولايات التي جرى تزويدها بالموظفين وأعطيت حق النظر تقريباً في كل القضايا الصعبة والأمور المالية المهمة التي يمكن أن تنشأ أثناء إدارة تركات الأموات . وعلى كل فهل هذه السلطة منوطة بمحكمة إثبات منفصلة أو بقسم من محكمة عادية (دنيا) لها سلطة عامة ؟ وليس ذلك بالأمر المهم ، بل إن أهمية قراراتها تعتمد على عوامل الموقع الجغرافي للمحكمة وعدد سكان المنطقة والعرف السائد في مختلف الولايات .

الأسس الاجتماعية والاقتصادية للإرث :

على الرغم من أن الدستور لا يضمن حق الإرث ، وأن الضرائب على التركة في الواقع قد حدّت منها كثيراً ، فإنه توجد مبررات اجتماعية لتقنين الإرث ، وحق الموصى له ، على الرغم من كونه ليس بنفس وضوح حق أسرة المتوفى بلا وصية في تركته ، إلا أنه أمر مرغوب في اعتباره جزءاً من أيّ نظام للإرث . ولو أن الحرية المطلقة في الوصية يجب تقييدها من أجل منفعة الحي من الزوجين ، ولعله أيضاً لمنفعة الأعضاء الآخرين من أسرة الموصي ، فإن هذا الفصل أسوة بالكتاب يفترض نهجاً عاماً للإرث .

ونظراً لأننا نجد الإرث في المجتمعات البدائية ، وفي الحضارات القديمة وفي كل الأنظمة المعاصرة ، بما فيها روسيا ، فإن البحث هنا في الأسس الاجتماعية والاقتصادية لتبرير إرث تركة المتوفى (عندنا) يمكن اعتباره مضيعة للوقت . فالحقيقة الثابتة أن أي قاعدة يسلم بها الجميع لا تكون بالضرورة متكاملة وأنها ستبقى أو يجب أن تبقى كذلك ، انظر مثلاً للاتجاه المبكر نحو الفوائد والربا وتعدد الزوجات . فالذي يظهر أنه مما لا جدال فيه يجب أن يوجد قانون للجرائم الشخصية ، وإن لم يكن في الحسبان فرض قانون سائد ملزم ، ولا بد أيضاً من أن يوجد قانون للعقود وكذا للأموال . لكن ضرورة إيجاد قانون للإرث الشخصي ليس أمراً ملحاً بشكل واضح . فالعقار والأموال الأخرى التي يموت مالكها يمكن ، من الناحية النظرية ، اعتبارها غير مملوكة بمجرد الوفاة ، وعليه فيمكن لأول قادم أن يحوز ملكيتها . وعلى كل حال فإن هذا سيقود إلى اضطراب وخصام يفوق الاحتمال ، مما يجعله غير مقبول لدى إنسان اليوم المتحضّر .

وعلى الرغم من أن خلافة الدولة للمتوفى في أمواله بعد موته ليست منافية للعقل كثيراً كما سبق ، إلا أننا لم نر عبر التاريخ أي حكومة أقدمت على خلافة المتوفى في جميع أنواع الأموال . وعلى كل حال فلو كانت الرغبة متجهة نحو نظام الملكية العامة للدولة فإن إلغاء الإرث سيكون أداة فعالة لإتمام النظام الاشتراكي . وباستثناء الهبات التي يمكن أن يقدمها المالك خلال حياته فإن كل الملكيات الخاصة من عقار وغيره ستختفي . ولتحقيق ذلك فإنه يمكن من الناحية الدستورية إلغاء كل قوانين الإرث الخاص لجعل الحكومة تخلف المتوفى في تركته . وعلى الرغم من أن محاكمنا لم تواجه بهذه المشكلة بالتحديد فإنها مجمعة على التصريح العملي بأن هذا التشريع سوف لن يخالف أحكام الدستور الأمريكي . فلو جعلت الضريبة مائة بالمائة على تركة المتوفى لأدى ذلك إلى إلغاء الإرث . ولو أضيف إلى ذلك تقليص الهبة بين الأحياء فسينتج عنه نهاية الملكية الخاصة .

وإن الضريبة المتدرجة على التركة في نظامنا لا ترفع دخل الدولة فقط ، بل تحد أيضاً من الإرث الخاص . ولو كانت هناك رغبة في ممارسة المزيد من الضبط على تجميع الثروة فإن ذلك يمكن تحقيقه عن طريق رفع الرسوم وإنقاص الإعفاءات . وبالنظر لحال الدخل في المستقبل فإن مثل تلك الإجراءات يمكن أن تقتل الوزة التي تضع بيضة الذهب . وبالنظر في الدخل الإجمالي فإن الضرائب على التركات لا تمثل من الناحية العملية دعماً ذا بال .

ومتى عرض الأمر للدراسة والنقد فإن النتيجة عموماً ستكون مفضلة لبقاء الإرث الشخصي . وقد اتضح ذلك من دراسة للموضوع من قبل أربعة من علماء الاجتماع ، على الرغم من أن آراءهم تلك قد لا يشاركهم فيها زملاؤهم في البحث . وكذلك فإن العالم بعلم الإنسان (انثروبولوجيست) يوضح أن الملكية الخاصة والإرث لهما أهمية في المجتمعات البدائية أكثر مما كان يعتقد ، وأن كان ذلك يعتبر مجرد أسطورة كما تعتقد مدرسة مورجان وماركس وإنجلز ، التي ترى أن بروز الإرث والاقتصاد النقدي قد حطم ديمقراطية العشيرة ، أو أن الحكومة جرى ابتكارها لحماية الثروات الجديدة العائدة للأفراد . أما الاقتصاديون فبعكس ما كان مفترضاً يجدون أن الإرث الآن ليس له إلا تأثير محدود على الاقتصاد العام ، وأنه ستقل أهميته على الاقتصاد في المستقبل . والمختص في علم الاجتماع يجد أن نظام الإرث الحالي يحقق بنوع من الاعتدال

الأفكار الاجتماعية المعاصرة للأسرة ، ولهذا فهو يعتقد أن الأطفال يجب أن تكون لهم أنصبة محددة في تركة والديهم . ومن الغريب أنه في آخر دراسة ميدانية قام بها عالم في ميدان علم الأخلاق (الإثيك) بعد أن وجد أن الإرث له معنى وقيم أخلاقية ، ختم دراسته بأن نصر الاعتبارات المعاكسة لهذا الاتجاه ، حيث أشار إلى أن الغالبية العظمى من الناس ليس لديهم أمل في ترك مال يعيل أسرهم بعد الوفاة ، وأن حق الوصية بالنسبة للأفراد الأغنياء يمكنهم من ممارسة الاستبداد على أولادهم . ولكن أحد رجال البنوك أوضح في ختام دراسة حديثة متعمقة أن الإرث أساس للحرية الفردية .

لقد تميز الإرث على الوصية بشيئين : كونه أمراً أساسياً، وكونه الأقدم . ولو أخذنا بمبدأ الإرث فإنه سيكون من الصعب أن نتمكن من عمل شيء دون أن تكون هناك أحكام تحدد وتفرض النصيب الذي سيرثه ورثة الميت . على أنه توجد أسس أخرى يمكن أن تحدد المستحق للإرث غير قرابة الدم والزواج ، كأتباع الميت مثلاً وكالسن ، وكأولئك الذين يعيشون في منزل واحد كأفراد أسرة واحدة ، ويدخل فيهم الخدم والحشم ، وكالأصدقاء .. الخ . لكن هذه الأسس الأخيرة سيكون من الصعب تطبيقها ، وستقود حتماً لو طبقت إلى عدم الدقة في تحديد المستحق ، مما يؤدي — من ثم — إلى الخصام والشكاوي . على أننا من الناحية العملية قد دفعنا إلى اتخاذ نظام لتحديد ورثة المتوفى مبنيٍّ على قرابة الدم أو المصاهرة حتى ولو كانت لدينا الرغبة في اعتبار أسس أخرى للتوريث .

وفيما يتعلق بخطة توزيع تركة المتوفى بلا وصية فإن هناك موافقة تكاد تكون عامة ، على أن أطفال الميت تجب لهم أنصبة متساوية بدون اعتبار لفارق السن أو الجنس . أما بالنسبة لحق الولد البكر الثابت في القانون الإنجليزي فهو ظاهرة من ظواهر الإقطاع ، ولا تجد في القوانين المطبقة حالياً من يتمسك بها إلا في بعض الأقطار الآسيوية . أما التسوية بين الأولاد في الإرث فإنها تبرر ببساطة بأنه لاتوجد لدينا الآن خطة أكثر تحقيقاً للعدالة وتكون معقولة غيرها . وفيما عدا أولاد الميت فإنه يوجد اختلاف كبير بين السلطات القضائية الأمريكية حول الطريقة والتسلسل في الأسبقية إلى الإرث بين أقرباء الميت الآخرين .

أما فيما يتعلق بالزوجين ، فإن هناك اتفاقاً عاماً على أن الحي من الزوجين يجب له نصيب في تركة الآخر ، على الرغم من أن هذا النصيب يمكن أن يدخل جزئياً ، على الأقل ، في ذلك الجزء الذي جعل حقاً لأحد الزوجين في عقار الآخر ، أو في الملكية المشتركة للأسرة التي لا تدخل فنياً تحت نظام الإرث . لقد كان الحكم فيما مضى أن الأقرب قرابة دم إلى الميت يمكن أن يرث ، بعد أخذ أحد الزوجين نصيبه ، مهما بعدت قرابته من المتوفى بلا وصية ، أما الآن فإن بعض المواد الحديثة في القانون تجعل الحواشي (الإخوة وأولادهم والأعمام وأولادهم) ، غير وارثين متى بعلوا عن الميت لدرجة معينة ، وهذا القانون الأخير يلغي إرث غير الأقرباء ، والزوجين ممن له علاقة صداقة بالمتوفى الذي مات بلا وصية أو عالة عليه ، وهو الذي لا تتحدد هويته إلا بعد بحث دقيق وتطويل في القضية .

وهل يجب أن يكون الإرث بلا وصية هو الطريق الوحيد للإرث أم يمكن للميت في حياته أن يختار ورثته ويعينهم ؟ إنه لأمر مفزع إلى حد ما أن يسمح لرجل أن يوصي بماله كله ، مما يؤدي إلى حرمان أسرته التي تعتمد عليه ، لأننا متى تورطنا في تطبيق ذلك فإنه سيقودنا إلى انهيار نظام الأسرة وانتقال عبء الإنفاق عليها إلى المجتمع . يضاف إلى ذلك أن إعطاء الشخص الحرية المطلقة في الوصية قد يؤدي إلى تجميع عظيم للثروة في أيدي أفراد قلائل أو في عدد قليل من المؤسسات التي يفضلها الأموات ، وسيقود ذلك إلى الخلاف حول صحة الخطة التي وضعها المتوفى لتحديد المستحق لتركته ، هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى فإنه سيكون من غير المناسب أبداً ، أن يحرم المالك حرية تحديد المستفيد من تركته بعد وفاته . وبالنظر لذلك من الناحية النفسية فإن القسمة التحكمية (الإلزامية) للتركة تسيء إلى طبيعة الملكية . فإذا كان الإنسان يحصل على المال في حياته ويكون بإمكانه التصرف فيه كما يجب ، فلماذا لا يسمح له باختيار ورثته بعد وفاته ؟ ويشبه هذا القول بأن الطريقة الإلزامية للإرث قد تثني الشخص عن استثمار أمواله وتنميتها ، وذلك سيؤدي إلى إضعاف سيطرة الأب على الأسرة وجعل علاقة أفراد الأسرة فيما بينهم مقيتة ، حيث إن الموصي (أي الأب أو القريب) لن تكون لديه حماية كافية تمكنه من المكافأة على المعروف والشفقة ، وكذا العقاب على القسوة والغلظة . ومن الناحية الاقتصادية فإن نظام القسمة الإلزامية للتركة (حسبما وضع القانون) سيؤدي إلى توزيع قطعة الأرض إلى أجزاء صغيرة تجعلها غير ذات قيمة . وهذا كان الإحساس به واضحاً في فرنسا التي قيد نظام الإرث فيها سلطة المتوفى في تعيين من يرغب في توريثهم ، فإن الفلاح الفرنسي العادي لا يملك قطعة أرض واحدة ، بل عدداً من القطع الصغيرة نتيجة للتوزيع المتكرر بين الورثة في الأجيال السابقة . وهذا يؤدي إلى أوضاع غير مريحة ، لأن الأرض مثلاً سيكون من غير العملي زراعتها باستخدام الآلات الحديثة لصعوبة ذلك .

وفي الحقيقة فإن وضعاً كهذا يدعو إلى إيجاد حل وسط ، فحرية الإيصاء ، من ناحية ، قد تكون مطلوبة إلى حد ما ، أما من الناحية الأخرى فحرية الإيصاء يجب تقييدها . على أن أسلوب الحل يتفاوت كثيراً في مختلف الدول . فالأولاد مثلاً في الأقطار الأوروبية لهم أنصبة لازمة في تركة الميت لا يمكن في العادة حرمانهم منها ، وكذا الحال بالنسبة للزوجين والأبوين على وجه العموم . وفي تلك الأقطار فإن المتوفى لا يمكنه الوصية إلا بجزء من التركة فقط ، فيما إذا ترك أحداً من الأسرة المباشرة . لكن في إنجلترا وأمريكا ، باستثناء ولاية لويزيانا ، أعطي المتوفى في العادة حرية أكبر في الوصية ، وإذا نظرنا إلى أنظمتها القديمة نجد أنها أيضاً قد جعلت إعالة الحي من الزوجين في نصيب محدد من عقار الميت ، مضافاً إلى هذا أن قوانيننا الحاضرة قد حددت بعض النفقات للأسرة ، والآن جرى إلغاء حق الحي من الزوجين في عقار الميت في كثير من الأنظمة ، واستبدل بنصيب ثابت له من التركة .

أولاد المتوفى لا يحظون على كل حال في القوانين الإنجليزية والأمريكية بحماية كتلك التي جعلت لأحد الزوجين . فالمتوفى يمكن أن يحرم أولاده من جميع الإرث باستثناء إمكانية الانتفاع ببيت الأسرة أو النفقة التي أجازها القانون لهم . على أن حرمان الأولاد من الإرث (في كل من إنجلترا وأمريكا) يمكن تخفيفه بالاتجاه الذي يعطي المحلفين الحق في عدم إنفاذ وصايا حرم فيها الميت أولاده من الإرث ، بحجة انعدام الأهلية العقلية لدى الموصي أو بحجة التحايل والخديعة أو الإكراه ، أو أنه قد جرى التأثير عليه بطريقة غير مشروعة .

لكن الطريقة المعتادة لتقييد حرية الموصي خاضعة لبعض الانتقادات ، فحمايتنا للحي من الزوجين والأولاد الشرعيين في القانون المدني تعطي عادة النصيب نفسه من التركة لأحد الزوجين والأولاد ، بصرف النظر عن حجم التركة أو عدد أفراد الأسرة الذين هم عالة على الميت ، أو أي اعتبارات أخرى .

وكردٍ على هذه الانتقادات فإن نيوزيلاندا سنّت في سنة ١٩٠٠ م قانوناً يخول المحكمة حق وضع شرط معقول للإنفاق على الأسرة الذين يعولهم الميت إذا لم يكن قد ضمن شرطاً مناسباً لذلك. وتطبيقاً لذلك فإنه لم يجر الاعتراض إلا على أقل من اثنين في المائة من جميع الوصايا. وهذا المبدأ الذي وضعه القانون النيوزيلاندي سنّته أيضاً قوانين معظم الولايات في استراليا ومعظم المقاطعات الكندية، وأخيراً سنّته إنجلترا ضمن قانون الإرث الصادر في ١٩٣٨ م. أما في بعض ولاياتنا فقد سُنّت النفقة المالية للأسرة لكنها محدودة بالنفقة على الأسرة خلال فترة إدارة التركة.

الإرث بدون وصية في إنجلترا

إرث العقار في إنجلترا:

تحت تأثير النظام الإقطاعي برزت مجموعة من الأحكام تنظم انتقال العقار للورثة. وقد شملت تلك الأحكام مبدأ تفضيل الذكور على الإناث، وكذا تفضيل الابن البكر في الإرث، وحفظ العقار من التفتت، وحرمان الأجداد من الإرث، وكذا حرمان من لم تكن قرابته بالميت عن طريق الأم والأب معاً. ومعظم هذه الأحكام قد تم إلغاؤها خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ثم ألغي الباقي منها سنة ١٩٢٥ م.

تطور قواعد كانون للإرث:

بعد احتلال الجزر الإنجليزية كان قانون وراثة العقار متأثراً بنظام الإقطاع، وقد انبثق من هذا نظام توريث الابن البكر وحرمان أخواته وإخوانه الصغار، حتى أصبح ذلك حكماً ثابتاً لديهم. إلا أن الفلسفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ذلك الوقت قادت إلى نوع آخر من التطورات في قانون الوراثة. وكانت القواعد الأساسية لذلك الفرع في القانون العام قد ثبتت عند نهاية حكم الملك هنري الثالث (١٢١٦-١٢٧٢ م) لكن مجموعة من القضايا المتعلقة بقيت دون أن يقرر فيها حتى وقت متأخر. لقد حدد مائيو في ١٧١٣ م لنظام الإرث سبع قواعد أساسية مع أمثلة توضيحية وأحكام فرعية لكل قاعدة. وبعده بنصف قرن تقريباً قام بلاك ستون في شروحه بإعلان قواعد الإرث، وهي أيضاً سبع بالعدد، ولكنها تختلف في الشكل وفي التسلسل، كما تختلف عن قواعد الإرث التي وضعها هيل في حقيقتها إلى حد ما، إلا أن قواعد بلاك ستون في الإرث كانت أشهر الثنتين. على أننا إذا أسقطنا الأمثلة التوضيحية والشروح فإنهما يقرآن كما يلي:

١ ـــ العقار الذي كان يملكه المتوفى ملكية لا نهائية (أي ملكه بالشراء أو الإرث) يجب أن ينتقل إلى أولاد المتوفى، ولكن يجب أن لا ينتقل إرث ذلك أبداً إلى الآباء والأجداد.

٢ ـــ الذّكر من أولاد المتوفى يجب أن يكون له الحق في الإرث قبل الأنثى.

٣ ـــ عندما يوجد ذكران متساويان في درجة القرب من الميت أو أكثر فإن الإرث يجب أن يكون للأكبر منهم فقط. أما إذا ترك الميت أنثيين فأكثر في درجة قرب واحدة من الميت فإنهن يشتركن في الإرث.

٤ ـــ الفروع المباشرون للميت يقومون مقام أصولهم (في الالتزامات والحقوق) مهما نزلت درجتهم.

٥ ـــ عند عدم الفرع الوارث وعند عدم أولاد المالك الأخير فإن الإرث يؤول إلى الحواشي الذين ينحدر الميت وإياهم من جد واحد، شريطة أن يكونوا أقرباء للميت الأول (المشتري للعقار) قرابة دم. أما تحديد الأحق منهم للإرث فيبنى على الأحكام الثلاثة الأولى.

٦ ـــ الميت لا يرثه من الحواشي من تكون صلته بالميت عن طريق الأم فقط، أو من تكون قرابته بالميت عن طريق الأب فقط.

٧ ـــ عندما يؤول الإرث إلى الحواشي فإن الذّكر منهم يفضل على الأنثى. إلا إذا كان العقار المتروك قد انتقل إليهم من أنثى.

لهذا فكل عقارات الميت بلا وصية تنتقل إلى الابن الأكبر، فإن مات الابن الأكبر قبل أبيه (الذي مات بلا وصية) دون أن يترك الابن أولاداً فالتركة تذهب إلى الابن الثاني وهكذا. فإن ترك الميت بلا وصية بنات وليس له أبناء أو أبناء أبناء فإن البنات هنا يأخذن الأرض المتروكة شراكة بينهن لاشتراكهن في الإرث وهن في تلك الحالة يفضلن على الذكور من إخوان الميت بلا وصية، وعلى أبناء إخوانه وعلى أعمامه وغيرهم من بقية الحواشي.

فإن مات الابن الأكبر قبل أبيه (الذي مات بلا وصية) وقد ترك أولاداً فإن هؤلاء الأولاد ذكوراً كانوا أو إناثاً؛ بناء على الأحكام السابقة، يكونون أحق بالإرث من الأبناء الصغار للمتوفى بلا وصية. فإن لم يترك المتوفى أولاداً وترك أباه فلا حق لأبيه في إرثه. وعليه فإن الأرض المتروكة يرثها الأخ الأكبر للمتوفى. فإن كان الأخ الأكبر ميتاً ورثها عنه أولاده.

فإن لم يترك الميت بلا وصية إخوة ذكوراً فإن أخواته يرثن العقار المتروك شراكة بينهن بالتساوي، كما هي الحال في إرث البنات (عند عدم الأبناء وأولادهم). فإن لم يترك الميت إخوة ولا أخوات ولا أحداً من أولادهم فإن عقار الميت بلا وصية يرثه الأكبر من أعمام الميت لأب، وإلا فأولاده وهكذا. فإذا افترضنا أن الميت بلا وصية قد حصل على الأرض عن طريق الشراء فلا يرث حتى أقرب الحواشي الذين يتصلون بالميت عن طريق أمه فقط، ما دام يوجد أحد ممن يتصل بالميت عن طريق أبيه، سواء أكانت تلك القرابة قرابة ذكور أو قرابة إناث.

الأولاد غير الشرعيين:

من لم يولد في ظل الزوجية الشرعية فإنه يعتبر ولداً غير شرعي، وهذا لا يرث من أي أحد. وبالنسبة للإرث منه فيرثه أولاده الشرعيون أو أولادهم الشرعيون فقط، أما الحواشي من أقاربه فإنهم لا يرثونه.

الأزواج:

الحي من الزوجين ما كان أبداً وارثاً لعقار الآخر، لكن الأرمل له حق في عقار زوجته مؤجل إلى ما بعد الوفاة يسمى (curtesy). والأرملة لها أيضاً حق في عقار زوجها مؤجل إلى ما بعد الوفاة يسمى (dower). لكن هذه الحقوق لكل من الزوجين في عقار الآخر بعد موته لا تجعل العقار المتروك ينتقل إلى الحي منهما عن طريق الإرث. وعلى الرغم من أن التمتع بذلك الحق مؤجل حتى وفاة الذي يملك الأرض منهما إلا أن المنافع فيها تعتبر موجودة ولكن بشكل ناقص خلال حياة الآخر.

التغييرات الحديثة في الإرث:

أحكام القانون العام بقيت كما هي في إنجلترا حتى صدر قانون الوراثة سنة ١٨٣٣ م. وهذا القانون ألغى القاعدة التي تمنع إرث الآباء (الأبوين) ومن انحدروا عنه من الأجداد وإن علوا. وهذا جعل الإرث فيما بعد يتم حسب التسلسل التالي:

١ ــ الأولاد . ٢ ــ الأبوين . ٣ ــ الإخوة والأخوات . ٤ ــ آباء الأبوين . ٥ ــ الأعمام والعمات .. الخ .

على أن قرابة الأب وقرابة آبائه وأولادهم لا تزال مفضلة على قرابة الأم . والحكم المعلن في القانون الذي يتطلب أن يكون الملك للميت (عن طريق الشراء) ألغي . والحكم الذي يحرم الأقرباء الذين لا يتصلون بالميت عن طريق الأب والأم معاً ألغي أيضاً . وهؤلاء الذين يتصلون بالميت عن طريق أحد الأبوين فقط جعلت مرتبتهم بين المستحقين للإرث تلي مرتبة الأقرباء الذين يتصلون بالميت عن طريق أمه وأبيه المساوين لهم في درجة القرابة عندما يكون جدهم المشترك ذكراً ، ثم يأتي بعدهم من يكون جدهم المشترك أنثى .

أدخلت بعض التغييرات أيضاً على نظام إرث الحواشي . والتشريع الأخير للإرث أضاف تغييرات أخرى لأحكام القانون العام . لكن توريث الابن البكر بقي إلى أن طور نظام الإرث ، كلية ، بواسطة نظام إدارة العقارات الصادر سنة ١٩٢٥ م . الذي جعل الأشخاص الذين يرثون عقار الميت الذي لم يوص ، هم نفس الأشخاص الذين يرثون أمواله المنقولة .

نظام توزيع التركة في إنجلترا :

بعد وقت من التردد حول تحديد من له الحق في الأموال غير الثابتة التي توفي عنها الميت بلا وصية ، قام البرلمان بإصدار قانون التوزيع سنة ١٦٧٠ م الذي الزم القائم على إدارة التركة بتوزيع المال بعد سداد الدين كالتالي :

أ ــ ثلث التركة لأرملة الميت والثلثان لأولاد الميت أو أولادهم ، هذا إن عاشت بعد الميت أرملته وأولاده أو أولادهم .

ب ــ كل التركة للأولاد أو أولادهم إذا لم تكن الأرملة حية .

ج ــ نصف التركة للأرملة والنصف الآخر لقريب الميت إن لم يكن للميت أولاد أو أولاد أولاد .

د ــ كل التركة لقريب الميت إذا لم يوجد للميت أرملة ولا أولاد .

وفي حال التسابق على الإرث بين الحواشي وأجداد الميت بلا وصية فإن القرب من الميت يحسب بعدِّ درجات القرب بين المدعي للقرابة وبين أقرب جد مشترك ، إضافة إلى عدِّ درجات القرب بين الميت وذلك الجد المشترك . فالأقرب من بين المدعين للوراثة ، بعد حساب درجات القرب ، يكون الوارث للأموال الشخصية . والتمثيل الشخصي للميت بلا وصية أو الحق في القيام مقام الوالد المتوفى جائز بالنسبة لأبناء أو بنات الإخوة .

القانون القديم لإرث الأموال المنقولة :

لعدة قرون بعد احتلال إنجلترا كان إرث الأموال المنقولة بلا وصية يعتبر حالة استثنائية ، وكان الاهتمام الأكبر يدور حول الجزء من العقار الذي يحق للمتوفى التصرف فيه بالوصية . أما في حالة من يموت بلا وصية فقد اتضح لنا أن الزوجة والأولاد كان لهم الحق في أنصبة معقولة ، لكن كان هناك خلاف حول ما إذا كان القانون أو الكنيسة أو قريب الميت أحق بأخذ ذلك الجزء الذي يمكن للمتوفى أن يوصي به . لقد خسر سيد المتوفى دعواه في ذلك الجزء في وقت مبكر ، وانحصر التسابق عليه بين الكنيسة وأسرة المتوفى ، واستمر النقاش حول ذلك طويلاً . وهناك أيضاً مشكلة منع المشرفين على إدارة التركة من استثمار أموال الميت المنقولة لمصلحتهم الشخصية .

قانون ١٦٧٠ م لتوزيع التركة :

سلطة المحاكم الكنسية في الإشراف على الوصية كانت مهددة لعدم قدرة هذه المحاكم على التصرف في تلك الظروف ، لذلك قام محامو محاكم الكنيسة في سنة ١٦٧٠ م بدعم قانون توزيع التركة لتفادي إلغاء سلطتها . لذلك فإن القانون ألزم المشرف على التركة بالعهد بتوزيع التركة على المستحقين لها . وقد حدد المستحقون للإرث كالتالي : للأرملة ثلث أموال زوجها الشخصية عندما يكون له أولاد أو ممثلون شخصيون لأولاده . ولها النصف إذا لم يكن له أولاد ولا أولاد أولاد . للأولاد أو ممثليهم الشخصيين الثلثان عندما يكون للميت أرملة ، وإن لم يكن له أرملة فلهم كل التركة الشخصية . ولقريب المتوفى بلا وصية كل التركة إن لم يكن للمتوفى أرملة ولا أولاد ولا أولاد أولاد ، ويكون له نصف التركة إذا كانت الأرملة حية وليس له أولاد أحياء .

وهذا القانون لم يلتفت لوضع المرأة المتزوجة إذا ماتت بلا وصية ، وذلك لأن كل أموالها المنقولة تكون لزوجها بمجرد زواجها منه . أما بالنسبة للأرملة أو المرأة التي لم تتزوج وتموت دون أن تترك وصية فيطبق عليهما ما مرَّ من أحكام .

الأولاد وأولادهم :

إذا ترك المتوفى بلا وصية أرملة وأولاداً فإن الأولاد يقتسمون الثلثين بينهم بالتساوي بنص القانون . وعلى الرغم من أن النص قد ورد على الأولاد كمجموعة إلا أنه قد تقرر أن الولد الواحد يرث ثلثي التركة .

أولاد الأولاد لا حق لهم في التركة إذا كان أبوهم ، الذي هو ولد المتوفى بلا وصية ، حياً . وفي حالة موت ولد المتوفى بلا وصية قبله وله أولاد فإن أولاد هذا الولد يقتسمون نصيب أبيهم بالتساوي بينهم ، لأنهم الممثِّلون الشرعيون لأبيهم . لذا فلو افترضنا أن للميت بلا وصية ابنين هما جيمز وجون ، فإننا نقول : إن كانا حيَّين حين مات أبوهما فلكل ابن نصف الثلثين المخصص للأولاد . أما الثلث الأخير فلزوجة المتوفى . على أن أولاد جيمز وجون لا يرثون ، في هذه الحالة ، شيئاً من تركة جدهم الذي مات بلا وصية ، لكن لو مات جون قبل موت أبيه وخلف ولدين هما ميري وتوماس فإن توزيع التركة سيكون كالتالي : الثلث لجيمز ، وسدس لكل واحد من ميري وتوماس .

والآن دعنا نفترض أن جيمز مات كذلك قبل أبيه وخلف ولداً واحداً فقط اسمه بيتر . فنقول : من الواضح أن ثلثي التركة الشخصية ستوزع بين بيتر وميري وتوماس ولكن ما هو نصيب كل منهم ؟ إن كان الإرث باعتبار أسهم الأصل أو التمثيل الشخصي فإن بيتر سيأخذ نصيب أبيه أو الثلث ، بينما سيأخذ كل واحد من توماس وميري السدس . ولكن ، من ناحية أخرى ، ما دام الأولاد الثلاثة لولدي المتوفى متساوين في درجة قربهم من الجد (أي المتوفى بلا وصية) فيمكن أن يقسم الثلثان بشكل معقول بين أولاد الأولاد على أفرادهم أو بحسب عدد رؤوسهم ، فيقسم الثلثان بالتساوي بين أولاد الأولاد على ثلاثة .

كل من هاتين الفكرتين يمكن تبريرهما والاحتجاج لهما . فيمكن أن يحتج للأولى : بأن العادة قد جرت بتوقع بقاء جيمز وجون بعد وفاة والدهما ، وأن أولادهما بقوا أحياء بعد موتهما ، ولذلك يفترض حفظ الإرث لهما ، وعليه فإن بيتر سيأخذ الثلث ، وميري وتوماس لهما الثلث الآخر مناصفة ، لكل منهما سدس . فإذا طبقنا تقسيم الإرث بحسب الأصل فإن القسمة ستكون هي القسمة نفسها فيما لو حصلت وفاة كل طبقة قبل التي تليها كما هو معتاد . ويمكن أن يحتج للفكرة الثانية ، القائلة بإن الإرث بحسب عدد الرؤوس ، بأن الأوضاع المعتادة للوفيات لم تحصل ، وعليه فلا بد أن تتبعها نتائج معقولة تبنى على الواقع الذي حصل فعلاً . فلو أن الجد أوصى بوصية بعد وفاة ابنيه ، فإنه

سيوزع المال على الأرجح بالتساوي بين أولاد أولاده . ويمكن للجد الذي له عقلية كالآلة في أدائها (أي عملية) أن يتبع في وصيته نظام الطبقات (أي التوزيع بحسب الأصل) ، مثل من يزيد حبه لأولاده كثيراً على حبه لأولاد أولاده . وربما يظهر من الجد الآن محبة لأحفاده أكثر من محبته لأولاده كما هي الحال دائماً ، خاصة بعد موت أولاده ، لأن روابط المحبة تكون في العادة مباشرة بين الأحياء . ومعظم الموصين سيميلون إلى معاملة الأحفاد كأفراد وليس كمجموعة (متساوية) بكونهم أولاد أولاده الذين ماتوا قبله . وهذه النقطة لم يبتّ فيها إلا في وقت متأخر إلى حد ما . وعلى كل حال ففي سنة ١٧٤١ م أطلق رئيس القضاء رأياً ، وإن لم يكن قد تقرر بالفعل ، أن للأحفاد أن يأخذوا (الإرث والوصية) بحسب الأصل لا بعدد الرؤوس . وأخيراً فإن هذه النقطة قد تم بالفعل حلها على أساس أن الأحفاد يأخذون بحسب الأصل .

أيُّ خَلَفٍ للولد مهما نزل فإنه يمثل الولد في إرث الأب الذي مات بلا وصية . وبناءً على إجراءات التمثيل هذه فإن أقرب الأحياء من الأحفاد إلى الولد الميت يرتفع بالفعل إلى درجة الولد ليأخذ النصيب الذي كان الولد يستحقه . وهكذا فحفيد المتوفى بلا وصية مهما نزل (أي ولد الولد وإن نزل) كان مفضلاً على الأب والأخ وغيرهم من الأسلاف والحواشي ، وذلك لأن قانون توزيع التركة بلا وصية كان قد حدد الممثلين الشخصيين لأولئك الأولاد . ولهذا السبب فإن المحاكم لم تطبق أحكام درجات القرابة التي كان يعمل بها في حالة أجداد المتوفى بلا وصية وحواشيه فأحفاد الأولاد هم الأشخاص القانونيون الذين كانوا يمثلون أولاد المتوفى بلا وصية .

إذا لم يترك الميت أرملة وترك أولاداً فإن الأولاد بنص القانون يقتسمون كل التركة الشخصية . فإن لم يكن للميت غير ولد واحد فإنه يرث كل التركة الشخصية . وخطة التمثيل نفسها تطبق طبعاً في حالة أولاد الأولاد البعيدين كما طبقت في حالة حياة أرملة المتوفى بلا وصية . ومتى كانت أرملة المتوفى بلا وصية حية وليس للميت أولاد ولا أولاد أولاد وإن نزلوا فإن الأرملة (أي الزوجة) ترث نصف التركة الشخصية ، أما النصف الباقي فيرثه أقرب الأقرباء إلى المتوفى بلا وصية ممن يكونون في درجة قرب مساوية للميت وممثليهم القانونيين ، مثلما يفعل بكل التركة الشخصية إذا لم يخلف الميت زوجة ولا أولاداً .

أقرب الأقرباء :

أقرب الأقرباء لم يجر تحديده بواسطة خطة كانون للإرث لأنها لم تطبق إلا على إرث العقار . ومبدأ تفضيل الولد البكر وتفضيل الذكر على الأنثى ما كان يطبق في حالة تقسيم تركة الميت بلا وصية . ومثل ذلك ثمة مبدأ ثالث ، نشأ بتأثير الإقطاع ، ولم يتمسك به ، وهو عدم توريث الآباء والأجداد المباشرين .

ويضاف إلى ما مرَّ أن نظرية حساب الوارث الأقرب إلى الميت بلا وصية هنا كانت تختلف كلية عن طريقة تحديد الوارث في قانون العقار . فمثلاً عند عدم الأولاد وإن نزلوا والإخوة والأخوات ، فإن أولاد العم وأولادهم وإن نزلوا يفضلون في خطة كانون للإرث على العم الأبعد (أي عم الأب والجد) . فلا يرث أحد من طبقة بُعدَى عند وجود أحد من طبقة قُربَى .

ومن ناحية أخرى في حالة إرث الأموال الشخصية حسب القانون فإن معرفة الأقرب تتم بحسب الطريقة التي حددها القانون المدني ، التي يتم فيها تحديد الجد المشترك الأقرب لكل من المتوفى بلا وصية ومدعي الإرث ، ثم تحسب درجات القرابة من المتوفى إلى ذلك الجد المشترك ، وكذا تحسب درجات القرابة من الجد المشترك إلى مدعي الإرث . ومجموع القرابات من الجانبين يمثل درجة القرابة بين مدعي الإرث والميت بلا وصية . وبالطبع بعد عدِّ الدرجات يكون الإرث للمدعي الذي تكون درجات القرابة بينه وبين المتوفى بلا وصية أقل من غيره . ومتى كان المدعون للإرث متساوين في درجة القرب من الميت بلا وصية ، فإنهم يشتركون في إرث الأموال الشخصية ، فتقسم بينهم بالتساوي .

وهناك طريقة أخرى لتحديد القرابات ، وهي تلك الطريقة التي وردت في نظام كانون التي كانت قد استعملتها الكنيسة لتحديد نوع الزواج المحرم بين الأقرباء .

وبناء على ما ورد في نظام كانون تحسب درجات القرابة من الجد المشترك إلى كل واحد من المدعين للإرث كما يعمل في القانون المدني . لكن بدلاً من أخذ مجموع العددين يكون الأخذ بأكبر العددين . وهذا يمثل درجة القرابة في نظام كانون . وقد تبنى القانون العام هذه الطريقة لغرض تحديد عدد الموهوب لهم عند التتابع (على العين الموهوبة) . وعلى كل حال فإن طريقة نظام كانون وطريقة القانون المدني لم يطبقا في إنجلترا في ظل قانون توزيع التركات . وهذا شيء يجب فهمه ما دام عدد قليل من القوانين الأمريكية تأخذ به .

وقد يكون من المفيد لفهم الحالة المذكورة أن ندرس الرسم التالي للأجداد والحواشي من الأقرباء :

أبو الجد ٣
3

الجد ٢ (2) .... عم الأب (4) (٣)

الأب ١ (1) .... عم ٣ (2) ولد عم الأب ٥ (3)

ولد ... أخ ٢ (1) ولد العم ٤ (2) ولد ولد عم الأب ٦ (3)

ولد الأخ ٣ (2) ولد ولد العم ٥ (3) ولد ولد ولد عم الأب ٧ (4)

ولد ولد الأخ ٤ (3) ولد ولد ولد العم ٦ (4) ولد ولد ولد ولد عم الأب ٨ (5)

الأرقام العربية المستخدمة في المشرق العربي الموضوعة بعد القريب تمثل درجة قرابته بالميت بالنسبة للقانون المدني[٧] ، بينما تشير الأرقام العربية المستخدمة في المغرب العربي والعالم الخارجي ، وهي الموضوعة بين قوسين ، إلى درجة القرابة بالنسبة لنظام كانون أو حكم القانون العام . فلو مات شخص دون أن يترك أرملة ولا أولاداً وترك أباً فإن أمواله الشخصية تذهب للأب ، لأن الأب في الدرجة الأولى من القرابة بحكم القانون المدني ، وليس هناك من هو في مثل هذه الدرجة غير الأم ، ولكن يجب ملاحظة أن الأب في نظام كانون للقرابة لا يرث في هذه الحالة بالأبوة المباشرة . وبالنسبة لطريقة حساب القرابات في نظام كانون ، فإن الإخوة والأخوات يكونون أيضاً (في هذه الحالة) في الدرجة الأولى من القرابة . وللحقيقة فإنه يبدو بحكم القانون المدني أن الأم قد تشترك مع الأب بالتساوي في الإرث ، ولكن بما أن القانون العام أعطى تركة الزوجة الشخصية للزوج فإن الزوجة تكون ممنوعة منها إذا مات الزوج وترك أمه وأباه معاً . فإذا لم يترك المتوفى بلا وصية أباه وترك أمه فقط فإنها ترث التركة الشخصية لولدها ، وتكون في ذلك مقدمة على الإخوة والأخوات . هذه النتيجة لتشريع توزيع التركات يظن بأنها لم تكن مرضية ، لذلك فإن البرلمان في ١٦٨٥ م اشترط أنه لو مات بعد موت الأب أي من أولاده بلا وصية وبدون زوجة ولا ولد ، وكانت أمه حية ، فإن كل واحد من الإخوة والأخوات وممثليهم الشخصيين سيأخذ نصيباً متساوياً للأم .

فإن لم يكن أحد الأبوين موجوداً فإن الإخوة والأخوات يكونون في الدرجة الثانية من القرابة ، كما هو شأن الأجداد في القانون المدني . ومع ذلك فقد تقرر أن يأخذ الإخوة والأخوات كل التركة مقدمين على الأجداد . وهذا الوضع ليس تطبيقاً صادقاً لطريقة حساب القانون المدني ، إلا إذا كان مبنياً على حجة أن الإخوة والأخوات قد أجيز لهم تمثيل الأب الذي يكون اتصاله من الدرجة الأولى . على أن تلك النتيجة بنيت على الاحتجاج بقاعدة في مبدأ العدالة تسمى بـ (الملاءمة أو المناسبة) وعلى تطبيق في السابق استمر طويلاً .

وبما أن حكم القانون المدني هو السائد تحت تشريع توزيع التركات فإنه قد ظهر بوضوح تفضيل الإخوة والأخوات على الأعمام والعمات ، لأن الإخوة أقرب إلى الميت بدرجة واحدة . وعندما يخلف الميت إخوة إضافة إلى أولاد من سبقت وفاته من إخوته وأخواته ، وبناء على القسم السابع من التشريع ، فإن أولاد الإخوة والأخوات قد أجيز لهم تمثيل آبائهم ، وعلى ذلك يتم توزيع التركة بين الجميع باعتبار الأصل . وعندما يكون الأقرب إلى الميت كلهم أولاد إخوة وأخوات فإن القسمة بينهم تتم على اعتبار الرؤوس . لكن إن لم يخلف الميت إخوة ولا أخوات فإن أبناءهم وبناتهم يرثون مع الأعمام والعمات باعتبار الرؤوس ، لأنهم جميعاً يعتبرون أقرباء للميت من الدرجة الثالثة . ونظام التمثيل يسمح لأولاد الإخوة والأخوات (ذكوراً أو إناثاً) عند وفاة والدهم ، أن يرتفعوا في درجة القرابة حتى يرثوا مع الأحياء من إخوة المتوفى بلا وصية وأخواته ، ولكن في غياب التمثيل فإن أولاد الإخوة والأخوات لا يسمح لهم بإزاحة الأعمام والعمات الذين كان يظن أنهم في درجة مساوية لهم وإن كانوا من جهة قرابة أبعد . ولكن هذا الوضع غير متناسق ، من الناحية النظرية ، مع تفضيل الإخوة والأخوات على الأجداد .

إن القسم السابع من تشريع توزيع التركات قد نص بوضوح على أن التمثيل لا يسمح به لغير أولاد الإخوة والأخوات ، لذلك فإن أولاد أولاد الإخوة والأخوات الذين يمت والدوهم ووالدو والديهم الأموات بقرابة دم إلى المتوفى بلا وصية لا يأخذون أي نصيب من التركة مع الأحياء من الإخوة والأخوات وأبناء وبنات أولاد الإخوة والأخوات . وللحقيقة فإن أبناء الإخوة والأخوات قد أجل إرثهم إلى ما بعد العم ، وأنهم يرثون بالتساوي مع ولد العم . والجد يرث قبل العم أو العمة ، والعم والعمة يرثان بالتساوي مع ابن أو بنت الأخ والأخت ، ومع والد الجد ، وهم مفضلون على ابن العم ، أما أجداد الجد وأعمام الأب وأبناء العم وابن ولد الأخ أو الأخت فيأتون بعدهم في استحقاق الإرث ، لأنهم جميعاً يتصلون بالميت في الدرجة الرابعة . وتشريع قسمة التركات يحرم التمثيل في حالة أولاد الأعمام أو أولاد أولاد الإخوة والأخوات ، ولذلك منعوا من التمثيل لأجل الأجيال السابقة لهم ممن يشتركون معهم في انتمائهم لجهة قرابة واحدة . ومن الناحية النظرية فإن هذا التصنيف قد يستمر إلى ما لا نهاية ، على الرغم من أنه من الناحية العملية سيكون الإرث من الأجيال البعيدة كثيراً من الميت أمراً بعيد الاحتمال ، لأنهم سيكونون عرضة للموت أو لم يولدوا بعد . وإمكانية حياة ولد ولد العم بعد وفاة الإنسان أكبر بكثير من حياة جد جد الجد أو ولد ولد ولد ولد الأخ والأخت ، ولكن لو كان أحد من هؤلاء حياً فإنهم يرثون بالتساوي لأنهم يتصلون بالميت في الدرجة السادسة . والظاهر أن جميع أهل القرابات البعيدة سيرثون بموجب أحكام القانون المدني . ومن ثم فيجب أن نتذكر أن جميع الحواشي من الأقرباء الذين هم أبعد من أولاد وبنات الإخوة والأخوات يرثون بحسب الرؤوس ، إن كان لهم الحق في الإرث .

صك تمليك الأرض للمتوفى بلا وصية :

خلافاً لحالة الأرض التي انتقلت إلى المتوفى ، بلا وصية ، عن طريق الإرث فإن السؤال عن مصدر تملكه لأمواله الشخصية عند موته لا تأثير له ، وهذا صحيح لأن عبارة تشريع توزيع التركات لم تقل ما يقتضي تنظيم خطة التوزيع لذلك . فالتشريع مثلاً عندما أعطى الأرملة نصيباً خاصاً بها فإنه بهذا يكون قد رفض المبدأ الثابت في نظام كانون للإرث ، وهو أن مدعي الإرث يجب أن يكون ذا قرابة دم بالسلف الذي ورث منه المتوفى بلا وصية ذلك الملك . هذا بالإضافة إلى أن أي تطبيق لمبدأ ملكية السلف على الأموال الشخصية (المنقولة) سينتج عنه صعوبة بالغة في التطبيق لأن مصدر ملكية الأموال المنقولة يصعب تتبعها غالباً .

القرابة عن طريق الزواج :

عدا الحي من الزوجين فإنه لا يعطى لأحد من الأقرباء شيء من التركة ما لم تكن قرابته بالمتوفى بلا وصية قرابة دم ، وقد ورد في التشريع أن الزوج أو الزوجة لذلك الولد الذي يموت قبل والديه لا يكون ممثلاً شرعياً للولد ، ومن ثم فلا ينتفع أي منهما بأي شيء من تركة والدي هذا الولد . وأبوا الزوج أو الزوجة ، بناء على ما ورد في التشريع ، لا يرثون من زوجة ابنهم ولا من زوج بنتهم ، وكذا لا يرث من المتوفى أحد من أزواج أو زوجات أقربائه الحواشي . وكذا لا يرث الربيب أو الربيبة ، ولا زوج الأم أو زوجة الأب ، ولا الأخ أو الأخت لأم ، ولا الأخ أو الأخت لأب ، ولكون القانون الإنجليزي العام لم يعترف بالتبني فلذلك لا يرث الولد المتبنى ممن تبناه .

أولاد الزنا (الأولاد من غير زواج شرعي) :

على الرغم من أن تشريع توزيع التركات لم يذكر إرث الولد غير الشرعي إلا أن الولد غير الشرعي لا يرث الأموال الشخصية لمدعيه إذا مات من غير وصية ، كما هي الحال في عدم توريثه من العقار المنتقل إلى المتوفى بلا إرث ، لأن من الواضح أن تشريع توزيع التركات حين يتكلم عن «الأولاد» أو عن «أقرب الأقرباء» فإنه يقصد بهم أولئك الذين يولدون من زواج قانوني . والمعروف أن القانون الروماني يعتبر الولد ولداً شرعياً متى تزوج أبوه أمه بعد وفاته ، لكن القانون العام لم يتساهل لذلك الحد .

وولد الزنا لم يتمكن من إرث الأموال الشخصية لوالديه ولا أحد من أجداده أو أقربائه من الحواشي ، ولم يتمكن أحد من هؤلاء في المقابل من إرثه . لكن الأولاد الشرعيين لولد الزنا وأولادهم الشرعيون وزوج ولد الزنا أو زوجته يمكن أن يرثوه في ظل تشريع توزيع التركات ، وولد الزنا يمكن أن يرث تركاتهم . وإذا لم يترك ولد الزنا زوجة ولا أولاداً فإن تركته تكون من حق التاج . ومتى ترك الولد غير الشرعي زوجة ولا أولاد له فإن أرملته ترث نصيبها من تركته الشخصية إذا مات بدون وصية بموجب تشريع توزيع التركات ، وما زاد عن ذلك فيعود إلى التاج .

قرابة نصف الدم (أي القرابة بالأب فقط أو القرابة بالأم فقط) :

الحواشي من الأقرباء الذين تكون قرابتهم عن طريق الأب فقط أو عن طريق الأم فقط يشتركون في إرث الأموال الشخصية بالتساوي مع من يكون في درجة القرب نفسها من الأقرباء الذين تكون قرابتهم عن طريق الأم والأب معاً (أي أشقاء) ، وهؤلاء وأولئك مقدمون في الإرث على كل الأقرباء الأبعد منهم . ولقد كان غير الأشقاء من الأقرباء الذين يتصلون بالميت عن طريق الأب فقط أو

عن طريق الأم فقط ممنوعين من إرث العقار المنتقل إلى الميت بالإرث .

ومتى استعمل مصطلح ، قرابة نصف الدم ، في قانون الإرث فإنه يشير إلى درجة القرابة بين شخصين أمهما واحدة ، أو أبوهما واحد ، لكنهما لا يشتركان في الأبوين معاً . ووضع الأقرباء الذين يتصلون بالميت عن طريق الأم فقط أو عن طريق الأب فقط أوجد صعوبات قانونية بالغة . وطبعاً بالنسبة لغير الشقيق لا وجود لما يسمى بالأجداد المباشرين أو الأولاد المباشرين . وكل واحد فيه من دم أحد الأبوين بنفس مقدار ما فيه من الآخر ، وأي ولد يكون فيه من دم والده نسبة تساوي مقدار ما في أي ولد آخر من دم والده ، ويتضح ذلك غالباً في حالة من تكون قرابته لأم فقط أو لأب فقط من الحواشي . فمثلاً بُول يمكن أن يكون أخاً شقيقاً لهنري ، لأن لكليهما الأب والأم نفسهما . وبيتر يمكن أن يكون له أب بول وهنري نفسه ولكنه من أم أخرى نتيجة لزواج الأب في السابق أو اللاحق . وعليه فيكون بيتر أخاً لأب بالنسبة لكل من بول وهنري . وكذلك فإن الشخص يمكن أن يكون له اعمام لأب فقط ، وأولاد أعمام لأب فقط .. الخ .

وفي نظام كانون للإرث يمنع من إرث العقار كلية القريب الذي يتصل بالميت بنصف قرابة ، أما تشريع توزيع التركات فمع أنه لم يرد فيه ذكر قرابة نصف الدم لكنه نص على أن التركة يرثها أقرب الأقرباء ممكن يكونون في درجة واحدة من المتوفى بلا وصية .

هناك عدد من القرارات حول ما يمكن عمله بالنسبة لإرث نصف الدم ، وتلك التي تهم القانون الإنجليزي كانت كالتالي :

١ ــ حرمان غير الأشقاء من الأقرباء ، (أي الذين لا يتصلون بالميت عن طريق الأم والأب معاً) ، من الإرث بالكلية ، مثلما عمل نظام كانون للإرث .
٢ ــ أو إعطاء غير الأشقاء من الأقرباء نصف نصيب الأشقاء .
٣ ــ أو إعطاء غير الأشقاء نصيباً كاملاً .

وقد أخذ بالرأي الثالث عند تفسير تشريع الإرث ، لأن غير الشقيق ما دام في درجة قرب واحدة معه ، أي أن عدد درجات قرابة غير الشقيق عند تتبع درجات القرب من الميت هي درجات قرب الشقيق نفسها . وهذا على الرغم من أن قرابة غير الشقيق للميت ليست كاملة من وجهة النظر العامة للنسب . ولا شك أن حقيقة كون القانون المدني قد أعطى غير الشقيق نصيباً مساوياً للشقيق كان أمراً مؤثراً هنا .

إرث الأطفال الذين يولدون بعد وفاة والدهم :

الأطفال المولودون بعد وفاة والدهم من أقرباء المتوفى بلا وصية يرثون الأموال الشخصية إذا كانوا موجودين في الرحم وقت موت المتوفى بلا وصية ، فإن لم يكونوا في الرحم وقت وفاة المتوفى بلا وصية فلا يرثون شيئاً من التركة . لكن لو كانت التركة عقاراً والورثة من الحواشي فإن تركة العقار يمكن أن تنتقل إلى الورثة الذين يولدون بعد وفاة والدهم ، حتى ولو ولدوا بعد مدة طويلة من موت المتوفى بلا وصية .

لقد كانت الصعوبات التي واجهتنا في حالة الطفل الذي يولد بعد وفاة والده قليلة فيما يتعلق بالأولاد المباشرين ، إذ من غير المتوقع أن يولد للمرأة ولد بعد وفاتها . أما الطفل الذي يولد للرجل بعد وفاته فيجب أن يولد خلال تسعة أشهر من وفاة والده . وهذه المدة تمثل الحد الذي يجب أن يولد فيه أي طفل تم ولادته من الأحفاد وإن نزلوا ، بعد وفاة المورث ، ممن يرثون تركة المتوفى بلا وصية . ومع أن من الطبيعي أن ولادة الاحفاد يمكن أن لا تتم بعد مدة طويلة من وفاة الجد لكن في حالة هؤلاء فإن الطفل لايرث إلا إذا مات الجد خلال تسعة أشهر قبل ولادة الحفيد .

وحيث إنه يجب أن يكون الأولاد وإن نزلوا في الرحم في الوقت الذي يموت فيه سلفهم ليمكن إرثهم للتركة فإن القانون يعتبر الولد كأنه موجود بالرغم من أنه في الواقع ولد بعد موت المتوفى بلا وصية . وعليه فإن هذا الولد سيرث الأموال الشخصية كأنه قد ولد في حياة الأب . وهذا لن يكون فيه إزعاج ما دام الولد يجب أن يكون قد ولد خلال السنة التي تلي موت المتوفى بلا وصية ، والتي سمح للممثل الشخصي القيام بتوزيع التركة فيها .

والحكم نفسه ينطبق على الإخوة الأشقاء أو الإخوة غير الأشقاء الذين يولدون في هذه الحالة ، ويكونون في الرحم وقت موت المتوفى بلا وصية . وهؤلاء سيرثون كما لو كانوا موجودين حقيقة . فإذا لم يكونوا موجودين في الحقيقة في ذلك الوقت فإنهم لن يكونوا مستحقين في العادة للإرث ، لأن والد مدعي الإرث سوف يكون حياً بعد موت المتوفى بلا وصية ، ولأن هذا الوالد سيرث بموجب تشريع توزيع التركات . ولهذا فقد ورد استثناء واحد هو أن أم المتوفى بلا وصية لا تحرم الإخوة والأخوات من الإرث . لكن إذا تزوجت الأم مرة أخرى فإنها يمكن أن تلد ولداً يكون أخاً غير شقيق (أي أخاً لأم) بعد عدة سنوات من موت المتوفى بلا وصية وبعد قسمه تركته ، فهل لهذا الأخ غير الشقيق أن يدعو أمه والأحياء من إخوانه وأخواته لمحاسبته ، ومن ثم يقتضي الأمر إعادة توزيع التركة ؟ على كل حال فإن احتمال تمكنه من ذلك بعد توزيع التركة الشخصية سيكون بعيداً جداً .

في حال انتقال العقار بموجب نظام كانون للإرث يحصل في بعض الأحيان مايلي : إذا مات رجل بلا أولاد وترك والديه وأختين دون أن يكون له إخوة من الذكور فإن والديه سيحرمان من الإرث بمقتضى الحكم الخاص بإرث عمود النسب من الآباء ، وعليه فتكون التركة إرثاً عقارياً مشتركاً للأختين . فلو ولد ابن لأبوي المتوفى بعد ثلاث سنوات من وفاته فإن القانون يجعل العقار ينتقل للابن الذي يولد بعد وفاة أبيه إعمالاً لمبدأ حق الابن البكر في الإرث .

ومبدأ انتقال التركة هذا يبدو أنه لم يعد يطبق في إرث الأموال الشخصية في الحالة الوحيدة التي تمكنها من النفاذ . وبتوضيح أكثر فإنه قد تحدد أن أقرب أقرباء الإنسان يرثون تركته الشخصية هم أولئك الذين يولدون أو يكونون في الرحم وقت موت المتوفى بلا وصية .

توريث الأجانب في إنجلترا :

الأجنبي الذي يكون من رعايا دولة صديقة يستطيع بموجب القانون العام أن يوصي بالأموال الشخصية أو يوصى له بها ، وأن يرث الأموال الشخصية أو يورثها ، ولكن تلك الميزة لا تكون للأجنبي إذا تعلق الأمر بالعقار . وهذه القيود الأخيرة ألغيت بالتشريع ، لكن الإرث للأجنبي المعادي أمر متوقف على السماح به .

في القانون العام يمكن للأجنبي الصديق امتلاك الأموال الشخصية ، ويمكن أيضاً أن تورث أمواله الشخصية عند وفاته ، لكن تحديد الأشخاص المستحقين لذلك لا يقرره القانون الإنجليزي ، بل يقرره قانون البلد التي يقيم فيها المتوفى . وعلى الرغم من أنه يسمح للأجنبي بأن يشتري العقار إلا أنه لا يستطيع الاحتفاظ به ضد رغبة الملك الذي تؤول إليه ملكية الأراضي بموجب ولايته

العامة . وكدليل على ما يتميز به الملك أن الأجنبي إذا اشترى أرضاً فإنه ، حتى وإن لم يأخذها الملك منه في حياته ، يعتبر غير قادر على نقل ملكيتها بالإرث . وقد كان يقال إن الأجنبي لا يورث دمه (أي ليس له حق التوريث بالنسب) . وهذا المبدأ قد حمل إلى المدى الذي يجعل الأرض لا تنتقل بالإرث من مواطن بريطاني لأخيه الذي هو أيضاً مواطن بريطاني إذا كان أبوه أجنبياً ، ولكن هذا الرأي بالذات هجر فيما بعد .

إذا كان الشخص المستحق للأموال الشخصية بموجب الوصية أو بموجب تشريع توزيع التركات أجنبياً من بلد صديق فإن ذلك لا يمنعه من أخذ ما استحقه . لكن لو تعلق الأمر بالعقار فإنه لا يأخذه لا بوصية ولا بإرث . وهذه الميزة القانونية جرى تغييرها بموجب قانون الرعايا البريطانيين ووضع الأجانب سنة ١٩١٤ م. الذي نص على أن الأجنبي ، باستثناء السفن البريطانية ، يمكن أن يتملك أموالاً عينية من عقار أو أموال شخصية . وبموجب الاستثناء الوحيد المنصوص عليه (عدم ملكية السفن) ، فإن المال الآن يمكن أن ينتقل بالإرث من الأجنبي وإليه . ولكن ليس للأجانب المعادين (أي من دولة معادية) ، أية حقوق معتبرة على الإطلاق ؛ ونتيجة لذلك فإن الأجانب المعادين لا يرثون ولا يورثون إلا إن سمح لهم بذلك كنوع من الرحمة والعطف .

المجرمون في إنجلترا :

بموجب الأنظمة العتيقة للحرمان والمصادرة ، فإن الأرض والأموال المنقولة المملوكة للمجرم ، سواء أكان محكوماً عليه أو هارباً تنتقل إلى الملك أو إلى السيد (أي الإقطاعي الكبير) ، لكن التشريع حرر القانون القديم من ذلك بقدر كبير .

ففي القانون العام يعتبر الشخص الهارب بعد ارتكابه لخيانة أو جريمة خارجاً على القانون ؛ فإذا قبض عليه ووجد مذنباً حكم عليه بالإعدام . والمجرم أثناء خروجه على القانون أو بعد الحكم عليه بالموت يعتبر ملوثاً ، وعليه فلا تنتقل أي من أراضيه ولا أمواله الشخصية لا إلى الوارث ولا إلى أحد من المستحقين (بل تصادر أمواله كلها وتهدم بيوته ويشرد أولاده وزوجته) .

وهناك مبدآن قانونيان أسهما في تعطيل سريان أنظمة الإرث المعتادة هذه في حالة المجرم : الأول — وهو الأقدم — قانون حق المصادرة ، الذي يرجع في أصله إلى قوانين الأنجلو — ساكسون . وهذا المبدأ مبني على أن الملك يجب أن يكون له الحق المطلق في أراضي من يوصم بالتلوث بالخيانة ، لكن حق الملك في أراضي المجرمين الآخرين محدود بمدة سنة ويوم . على أن جميع الأموال الشخصية المنقولة لا تصادر فقط لحق التاج (الملك) بل وتصادر أيضاً بسبب كثير من الاعتداءات .

والنتيجة الثانية لفقدان الأهلية القانونية كانت انقطاع الإرث ، (بعدم وجود الوارث وأيلولة المال إلى مصدره — الملك أو السيد القطاعي) ، وهي من ثمرات النظام الإقطاعي . فبسبب أي جريمة يقوم بها مستأجر الأرض يعتبر الإيجار منتهياً ، وتعود الأرض مصادرة إلى الإقطاعي ، مالكها الأصلي .

ولأن انقطاع الإرث يرجع إلى أصول قانونية متأخرة فقد كان خاضعاً لنظام المصادرة ، لذلك ففي حالة الخيانة يأخذ الملك كل أراضي الخائن ، بحيث لا يبقى شيء يطبق عليه نظام انقطاع الإرث . وفي حالة الجرائم الأخرى فإن المصادرة لحق الملك تكون محدودة بسنة ويوم فقط ، وبعد هذه المدة تعود الأرض للإقطاعي بموجب انقطاع الإرث . وبما أن الملك كان في الغالب هو سيد الأراضي فإن المبدأين كانا في بعض الأحيان يلتبسان .

وإلى الآن فإن أمر المصادرة قد توقف عند حدّ تجريد المجرم من ماله ؛ فأمواله الشخصية تذهب للملك ، ولهذا فلا شيء للمستحقين للإرث . ولكن لا شيء يمنع الأخ من إرث الأموال الشخصية لأخيه على الرغم من كون الأب موصوماً بالتلوث . ومبدأ المصادرة لم يعمل على إفساد الدم ، (القرابة) ، ومبدأ انقطاع الإرث لم يطبق على الأموال الشخصية . لكن مبدأ انقطاع الإرث فيما يتعلق بالأرض امتدَّ إلى ما هو أبعد من ذلك . لهذا إذا كان الابن موصوماً بالتلوث ومات الأب فإن أرض الأب لا يرثها الابن الموصوم ولا أي ولد لهذا الابن ولكنها تصادر لمصلحة الإقطاعي بموجب انقطاع الإرث .

يضاف إلى هذا أن الأب إذا كان موصوماً (بالتلوث) فإن الأرض لا تنتقل بالإرث من أحد الإخوة للآخر ، لأن الإرث بينهم حصل من خلال الأب الذي اعتبر دمه فاسداً . إلا أن سلسلة من التشريعات خففت الوضع إلى حدٍّ ما ، وفي النهاية ألغي عملياً كل من مبدأ انقطاع الإرث والمصادرة على الجرائم بموجب قانون المصادرات في عام ١٨٧٠ م .

انقطاع الإرث في إنجلترا :

متى مات شخص بلا وصية ولم يوجد له ورثة فإن تركته العقارية تذهب إلى سيد الإقطاع أو إلى التاج لانقطاع الإرث ، وتذهب أمواله الشخصية إلى التاج أيضاً .

وبموجب نظام كانون للإرث إذا لم يستطع أي شخص ادعاء إرث الأراضي بوصية ولا ادعاء إرثها فإن التركة ستنتقل إلى الإقطاعي بناء على انقطاع الإرث . وهذا صحيح حتى وإن كانت الأراضي مملوكة للميت ملكية مطلقة ، هذا إذا أمكن تحديد مكان الإقطاعي . ومهما كان فلا يوجد غالباً سجل للإقطاعيات المتوسطة ، التي يتم إقطاعها في الباطن ، لأن إقطاع عقار أقطعه سيد سابق محرم بموجب تشريع سنة ١٢٩٠ م ولذا فإن التاج (الملك) يأخذ الأراضي بصفته السيد الأكبر . ولأنه يندر عدم وجود وارث للأموال الشخصية للمتوفى بلا وصية بموجب تشريع توزيع التركات ، وفيما يتعلق بهذا النوع من الأموال ، فإن وجود المستحق الأصلي محتمل كثيراً ، لأن تطبيق أحكام ممتلكات الأجداد وعدم الإرث بواسطة السلف المباشرين وحرمان غير الشقيق وعجز الأجانب عن الإرث بالدم (أي القرابة) ، وربما غيرهم ، على الأموال الشخصية غير ممكن . وعلى أي حال ، إذا لم يخرج مدع فإن هذه الأموال تعتبر أموالاً سائبة تؤول إلى التاج بموجب حق الهيمنة العليا . والتفويض لإدارة هذه الأموال يعود لمنفعة التاج ، ويكون مدير هذه الأموال مسؤولاً أمام التاج عما يبقى بعد سداد ديون الميت . وبموجب القانون الحالي فقد جعل الأمر أكثر سهولة ، حيث وضع التاج في آخر قائمة الأشخاص المستحقين لإرث المتوفى بلا وصية .

قانون الإرث الحديث في إنجلترا :

تشريع الإرث الحديث لسنة ١٩٢٥ م لا يفرق بين الأموال وإن اختلفت طبيعتها ، ولا يفرق بين الأحياء من الأقرباء بالسن أو الجنس . فالمفضلون في قائمة الوراثة : أولاً الحي من الزوجين والأولاد ، وتنتقل التركة عند عدم هؤلاء إلى من جرى تحديده من الآباء والحواشي . وتركة المتوفى بلا وصية قد لا يرثها أبَوَا الجد وأولادهم ، فتنتقل عند عدم من هو أقرب منهم إلى التاج . أما غير الشقيق من الأقرباء فيرث عند عدم الشقيق المساوي له في الدرجة .

نظام الإرث لسنة ١٨٢٢ م كان أول مجموعة من التشريعات التي أفرزت

تغييرات كبيرة في قانون أيلولة الأموال وانتقالها . ومن بين أهم تلك المجموعة نظام أموال المرأة المتزوجة لسنة ١٨٨٢ م الذي أجاز للمرأة أن تملك وتكسب ، وأن تتصرف في أموالها الشخصية بوصية أو غير ذلك ، كما لو كانت غير متزوجة . ومهما كان فإن هذا النظام لم يؤثر على حق الزوج في المطالبة بأموالها الشخصية . وفي نظام الإرث بلا وصية لسنة ١٨٩٠ م شرط للمرأة إذا مات زوجها ولم يخلف أولاداً أن تعطى أولاً ٥٠٠ جنيه من أمواله الشخصية وكذا نصف ما يبقى .

وقد كان ذروة هذه السلسلة من التطورات النظام الحالي لإدارة الأموال لسنة ١٩٢٥ م الذي ثبّت قانون الإرث بلا وصية ، وعمل تغييرات شاملة تتناسب مع ظروف المجتمع ومبادىء الاقتصاد الحديث . وهذا النظام اشترط انتقال كل من الأموال العقارية والشخصية ، على وجه الائتمان ، إلى من يفوض لإدارة التركة ، لبيع الأموال وتسديد الديون والمنصرفات ثم توزيع الباقي . ولا يوجد فرق بين الأموال العقارية والأموال الشخصية بالنسبة للأشخاص المستحقين لإرثها . وقد ألغيت نظم الإرث وحقوق كل من الزوج والزوجة في التركة، وانقطاع الإرث لمنفعة سيد الإقطاع الوسيط . ولم يعد هناك تفريق بين أموال الذكور والإناث ، ولم يعد هناك تفضيل للذكر على الأنثى من الورثة .

وقد أصبحت الأموال الشخصية للمتوفى حقاً خالصاً للحي من الزوجين ذكراً كان أو أنثى ، وكذا الألف جنيه الأولى مما يبقى . وإذا لم يكن للمتوفى أولاد فإن المتبقي من التركة بعد الألف جنيه تكون للحي من الزوجين مدة حياته . ولو خلف مع الحي من الزوجين أولاداً فيكون للحي من الزوجين نصف المتبقي من التركة مدة حياته ، والنصف الأخير من المتبقي يكون موقوفاً على الأولاد . ولو مات شخص ولم يترك زوجاً ولا زوجة وترك أولاداً فإن كل التركة تكون موقوفة على الأولاد فيما يسمى بالوديعة القانونية . والوديعة القانونية للأولاد تشترط القسمة بحسب الأصل على الأولاد الذين تقدمت وفاة أصلهم على وفاة المتوفى بلا وصية .

أنصبة الأولاد من التركة لا تنتقل إليهم مباشرة بل تحفظ لهم (وديعة قانونية) حتى بلوغ سن الرشد أو الزواج . وقد منحت صلاحية واسعة لاقتطاع ما يلزم للولد القاصر من نفقات معجلة ، وكذا سمح بالاستفادة من الأموال الشخصية بعد موافقة الممثلين الشخصيين .

وعند عدم وجود أولاد للمتوفى وبناء على النصيب المذكور للحي من الزوجين ، فإن الأشخاص المذكورة أسماؤهم أدناه يرثون عند غياب أهل الطبقات المتقدمة :

١ ــ الوالدان يرثان بالتساوي أو يكون الكل للحي منهما .
٢ ــ الإخوة الأشقاء والأخوات الشقيقات .
٣ ــ الإخوة والأخوات غير الأشقاء (أي من كان منهم لأم فقط أو كان لأب فقط) .
٤ ــ الحي من والدي الوالدين بالتساوي .
٥ ــ الأعمام والعمات الأشقاء .
٦ ــ الأعمام والعمات غير الأشقاء .
٧ ــ الكل خالصاً للحي من الزوجين .
٨ ــ التاج .

وعندما ينتقل الإرث لأعضاء من الطبقة الثانية أو الثالثة أو الخامسة أو السادسة فإنه يكون موقوفاً (أي وديعة قانونية) للأحياء من الطبقة والممثلين الشخصيين للميت بحسب ما تستحقه أصولهم منها ، وهذا مثلما يعمل لأولاد المتوفى بلا وصية . ولا يرث تركة المتوفى بلا وصية من كانت قرابته أبعد من أولاد الأعمام وأولاد العمات . وعليه فإن ولد ولد العم أو العمة لا يرث بموجب التشريع : وإذا لم يوجد من هو أقرب منهم فإن التركة تذهب للتاج .

وترتيب الورثة رسم بعد فحص كثير من الوصايا ، ويتفق إلى أقصى حد مع معدل القسمة التي يضعها الوصي العادي . لقد قيل عن هذا الترتيب للورثة إنه مع كونه بديعاً بالنسبة للأشخاص المتوسطي الغنى إلا أنه ليس مناسباً لا للفقراء جداً ولا للأغنياء جداً ممن يتوفون بلا وصية ، لأن الألف الأول الذي تأخذه الأرملة سيستغرق التركة كلها في حالة الفقير ، بينما في حالة الغني إذا لم يكن له أولاد فإنه يندر جداً أن تتمكن الأرملة من صرف دخل النصيب المستحق لها في التركة .

وبموجب نصوص النظام فإن الحمل الموجود في بطن أمه وقت موت المتوفى بلا وصية يعتبر حياً في ذلك . ونظام التبني لسنة ١٩٢٦ على الرغم من أنه أقرّ التبني إلا أنه أوضح أن الطفل يمكن أن يرث من والده الطبيعي وليس من المتبنى له . ومع ذلك فإن الطفل بموجب نظام تبني الأطفال لسنة ١٩٤٠ م يمكن أن يرث من والديه بالتبني . الآن وبعد ولادة الطفل من نكاح غير شرعي يمكن إضفاء صفة الشرعية عليه بزواج أبيه من أمه . يضاف إلى هذا أن أم الأولاد غير الشرعيين يمكن أن ترث تركة المتوفى منهم بلا وصية ، وإذا لم تخلف الأم أولاداً شرعيين فإن أولادها غير الشرعيين أو أولادهم يمكن أن يرثوا منها .

ومع إلغاء حقوق كل من الزوج والزوجة في تركة الآخر المسمى curtesy و dower فإن الموصي الإنجليزي أصبح له كامل الصلاحية للتصرف في أمواله بالوصية ، حتى وإن أدى إلى حرمان أسرته من منافع أمواله . لقد كان هناك نقاش مثير من أجل سن قانون لمنفعة الأسرة التي يعيلها الميت ، وقد أثمر هذا تلك الفقرة ، في نظام الميراث المسمى بـ (شروط الأسرة) لسنة ١٩٣٨ م، التي تخول السلطة القضائية حق فرض نفقة لأعضاء الأسرة من التركة حينما لا يكون الموصي قد ضمّن وصيته شرطاً مناسباً لهم .

الخطة العامة للإرث وتوزيع التركة في الولايات المتحدة الأمريكية :

معظم الأحكام الخاصة بنظام كانون الإنجليزي للإرث اختفت من قانوننا . والآن فإن التشريعات في معظم الأماكن تشترط أن يكون الوارثون من الأقرباء الذين يرثون العقار هم أنفسهم الذين يرثون الأموال الشخصية . ومع أن قوائم الورثة في الولايات المتعددة تختلف من ولاية إلى أخرى في كثير من الجوانب ، إلا أن معظم الولايات تتبع على وجه العموم خطة التشريع الإنجليزي للتوزيع .

على أن تطور القانون الإنجليزي للإرث بلا وصية قد طالت معالجته والاهتمام به لسببين : الأول ، لأن كثيراً من أفكارنا، بل وفي الحقيقة فإن كثيراً من أحكامنا القانونية الإيجابية ، يمكن تتبعها إلى أصولها في البلد الأم (أي إنجلترا) . يضاف إلى ذلك أن التغييرات الفكرية المبكرة في بريطانيا كانت مثالاً لما حصل في أمريكا أو ما يمكن توقعه خلال حياة القارىء لهذا الكتاب . ويمكن القول إن لدى قليل من ولاياتنا أنظمة متقدمة أو معقولة كتلك التي توجد الآن في إنجلترا . ويمكن من ناحية القول بأن كثيراً من الخطوات القانونية المتقدمة قد أمكن التوصل إليها في هذا البلد قبل أن يأخذ البرلمان وضعاً ريادياً مؤثراً بوقت طويل .

وفي الأغلب كان هناك رفض أمريكي مبكر لمبادىء نظام كانون للإرث ، كحق الولد البكر ، وعدم توريث الآباء وغير الأشقاء ونحوهم . وقد

كان انتقال العقار وتوزيع الأموال الشخصية على الورثة في أمريكا محكوماً بما يرد من تشريعات منذ فترة طويلة . وقد كان الاتجاه التشريعي أن تكون هناك خطة عامة مناسبة للإرث بصرف النظر عن كون التركة عقاراً أو أموالاً شخصية . وقد كان للورثة وبقية المستحقين في الغالبية العظمى من قوانين الولايات الحق في النصيب نفسه من كلا النوعين من التركة . وفي الولايات التي ما زال يوجد فيها اختلاف في الأنصبة فإن ذلك نابع من الاختلاف في نصيب الحي من الزوجين فيما يتعلق بنوعي التركة . وعلى وجه العموم فإن الأحكام التشريعية تتبع في العادة خطة تشريع توزيع التركة الإنجليزي لسنة ١٦٧٠ م في النتائج على الأقل . وأن حق الأقرباء بالنسب في التركة لا يعتمد على ما بينهم من فروق في السن أو الجنس .

ولقد دون القاضي «كنت» في شرحه للقانون الأمريكي ما لاحظه من الاختلاف الحاصل في أحكام الإرث بلا وصية بكل ولاية عن غيرها . وهذا في الغالب أيضاً حقيقة بالنسبة لتشريعاتنا الحالية . ولكن يمكن لقوانين بعض الولايات التي تتشابه في كثير من النقاط أن تضم إلى بعضها البعض ، وهناك أيضاً كثير من المبادىء المشتركة الأخرى توجد في شكل بنود تشريعية ، وكذا في قرارات للمحاكم المفسرة لتلك البنود . ولولا أن وضع الكتاب لا يحتمل أية إضافات لكنا أوردنا ذلك مفصلاً ، أو حتى مختصراً ، في كل واحدة من الولايات الثماني والأربعين .

الهوامش

١) The national Union Catalog, Pre - 1956 Imprints, Volume 25 Mansell 1969.

٢) قانون الوصايا لتوماس إي . أتكينسون ص ١٠ .

٣) الكتاب السابق ص ١٠ .

٤) كتب المؤلف المذكورة وردت في The National Union Catalog, Pre - 1956 Imprints, Volume 25, Mansell 1969.

٥)انظر مقدمة النشرة الثانية للكتاب ص ١٠ (أي X) .

٦) مترجم من كتاب قانون الوصايا (من ص ٢٣ — ٦١) لتوماس إي . أتكينسون الطبعة التاسعة عشرة في ١٩٧٥ م ، من نشرة الكتاب الثانية سنة ١٩٥٣ م المنشور ضمن سلسلة كتب هاند — بوك بشركة الغرب للنشر ، بسينت بول ، مينيسوتا ، بالولايات المتحدة الأمريكية .

٧) كانت الأرقام الرومانية هي المستخدمة في الأصل فأبدلتها بالأرقام العربية المستخدمة في المشرق العربي لكونها غير معروفة لدى قراء العربية .



مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي

إعداد : عبدالله عبدالرحيم السوداني

يعتبر توثيق المعلومات ركيزة مهمة من ركائز التنظيم الحديثة في مجالات الإعلام والاقتصاد والتربية وغيرها من الموضوعات الحيوية التي تستعين بها الأمم في تطورها ، وتزداد أهمية التوثيق بازدياد حجم المعلومات ، وتراكمها ، وتعدد لغاتها ، وتنوع موضوعاتها ، حتى أصبح التوثيق سمة من السمات العلمية والحضارية لعصرنا الحديث .

ونظراً لحاجة المؤسسات الإعلامية المختلفة في دول الخليج العربي إلى المعلومات المنظمة المقننة لكي تستطيع القيام بعملها الإعلامي على المستوى المطلوب ، ولتيسير هذه المعلومات للباحثين والدارسين والمخططين فقد أنشىء مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي في بغداد عام ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م ، بناءً على قرار اتخذه وزراء إعلام دول الخليج العربي في مؤتمرهم السادس ، وذلك تعبيراً عن إيمانهم المتزايد بأهمية التوثيق والمعلومات ، لقد أكدوا منذ مؤتمرهم الأول المنعقد عام ١٩٧٦ م على ضرورة إنشاء المركز كمؤسسة علمية تهتم بالتعامل مع المعلومات بالوسائل المقننة والحديثة ليكون أداة فاعلة لدعم وإنجاح المشاريع والدراسات الإعلامية الخليجية ، وليكون حلقة وصل بين المنطقة والعالم في تبادل المعلومات المطلوبة .

وأبدت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) اهتماماً بإنشاء هذا المركز ، فوضع خبراؤها دراسة مستفيضة عن جدوى إنشاء المركز ودوره العلمي والإعلامي في المنطقة .

أسس مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي تلبية لحاجة علمية وإعلامية فرضتها حالة التقدم والتطور التي تمر بها المؤسسات الإعلامية ، وحاجة المنطقة إلى التوثيق الإعلامي باعتباره رافداً من روافد التقدم التي ترفد المؤسسات الإعلامية في دول الخليج العربي بما تحتاج إليه من معلومات حديثة ومقننة تساعدها على إثراء وإنجاح برامجها وتحقيق أهدافها ، كما أن التوثيق الإعلامي واحد من مستلزمات التنمية في منطقة الخليج العربي ، يسهم في تطوير العملية الإعلامية في المنطقة التي نضجت مع الدعوة لإقامة تعاون عالمي وإقليمي مشترك ..

لماذا المركز ؟

أشارت العديد من الدراسات إلى ما يعانيه العاملون في الإعلام والاتصالات في المنطقة من قصور في خدمات المعلومات ، وعدم وجود خدمات معلومات علمية في المؤسسات الخليجية ، مما ترك أثراً بيناً على الإنتاج الإعلامي الخليجي في صوره وأشكاله المختلفة ، لقد بينت الدراسات أن إنتاج المؤسسات والأجهزة الإعلامية الخليجية اتسم بما يلي :

★ الاعتماد شبه الكلي على البرامج المستوردة من خارج المنطقة ، على الرغم من جهود هذه الأجهزة لتدعيم إنتاجها المحلي ، وأنه كلما ازدادت ساعات الإرسال التلفزيوني ازدادت نسبة البرامج المستوردة .

★ هبوط مستوى البرامج المحلية ، وذلك لقصور خدمات المعلومات ولعدم استخدام التقنيات الحديثة ، مما يفرض على هذه الأجهزة التوجه إلى خارج المنطقة لاستيراد البرامج لسد حاجة المشاهدين .

★ الاعتماد الكبير على كتّاب ومعدّين للبرامج من خارج الجهات الإعلامية لعدم توفر مصادر المعلومات وتوثيقها في هذه الجهات .

★ إن الكثير من معدي البرامج وكتاب المواد المتخصصة يعتمدون على جهودهم الفردية الخاصة ومكتباتهم الشخصية الصغيرة ، وعلى التنقل بين المكتبات الجامعية والعامة ومراكز المعلومات وأرشيفاتهم الشخصية للحصول على ما يعينهم على إعداد برامجهم .

★ أدى عدم استخدام وسائل الاتصالات الحديثة لخدمات المعلومات إلى قصور في تقديم هذه المعلومات بشكل أفضل ووقت أقصر وجهد أقل ، مما أثر في تطور البرامج وحال دون مواكبتها تقدم العصر .

★ اعتماد الصحافة الخليجية ــ شأنها شأن صحافة البلدان النامية ــ

اعتماداً مكثفاً على وكالات الأنباء العالمية للحصول على المعلومات ، حتى إن هذه الدول تعتمد على الوكالات العالمية للأنباء في استقاء أخبار بعضها البعض .

* عدم اعتماد معظم الصحافة الخليجية على مكاتبها وأقسام معلوماتها الصحفية في تدقيق الأخبار والأحداث التي تتسلمها من وكالات الأنباء الأجنبية وتوثيقها ، وأن جل الاعتماد على وكالات الأنباء العالمية أو على الجهد الشخصي لمحرريها ، وذلك لقصور وحدات المعلومات فيها ولقصور وكالات الأنباء الخليجية عن أداء عملها كمصدر تغذية بالمعلومات يرفد المؤسسات بالمعلومات المطلوبة لاستكمال الأخبار والموضوعات والتحقيقات ويساعد في ربط الأحداث واستكمالها صورتها ، والتأكد من صحة البيانات والأرقام .

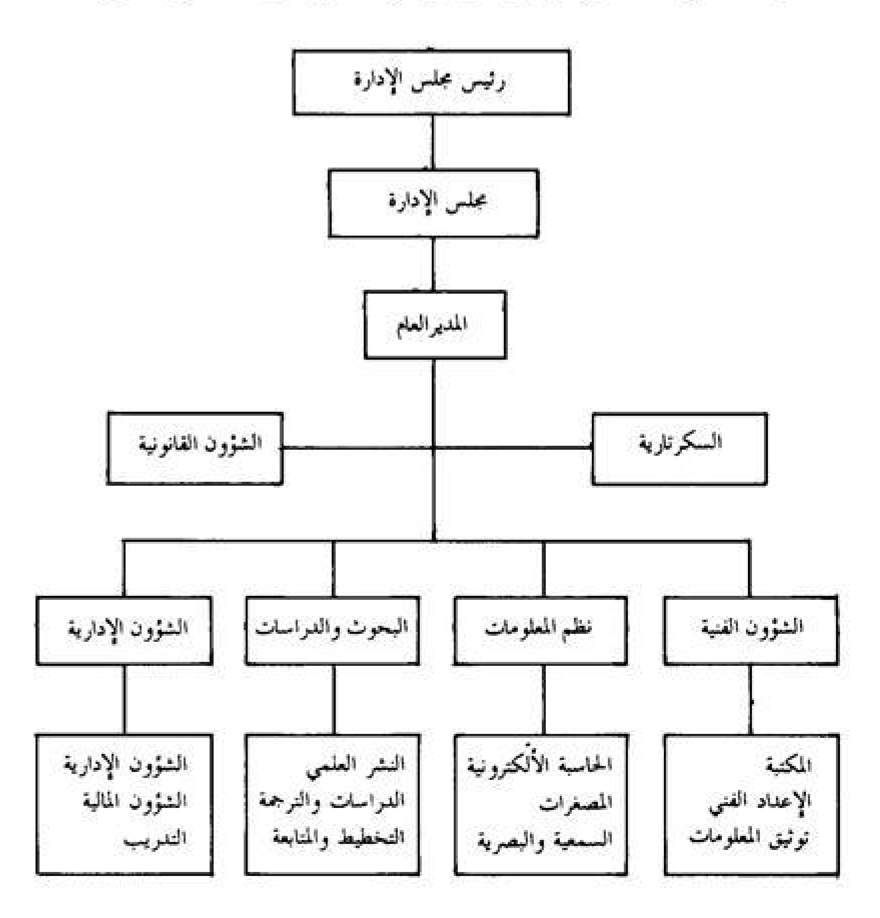
* عدم استحداث شبكات الاتصال الحديثة في المنطقة ، ومنها القمر الصناعي العربي ، ولعدم نقل البرامج إلى المواطنين في المنطقة في وقت عرضها في الدولة التي تعرضها ، وعدم الاستفادة من هذه الشبكات في تقديم أفضل لخدمات المعلومات للبرامج الإذاعية والتلفزيونية .

ولكي يؤدي المركز دوره ويحقق أهدافه المرسومة له ، حدد المركز الإدارات التي تختص كل منها بدور في تحقيق تلك الأهداف ، وهي أربع إدارات :

١ ــ إدارة الشؤون الفنية .
٢ ــ إدارة نظم المعلومات .
٣ ــ إدارة البحوث والدراسات .
٤ ــ إدارة الشؤون المالية والإدارية .

ويتكون مجلس إدارة المركز من وزراء إعلام دول الخليج العربي ، وهو السلطة العليا في المركز التي ترسم سياسته وتوجه أعماله وتضع القواعد التي يسير عليها . ويرأس هذا المجلس وزير الثقافة والإعلام في العراق ، لأن بغداد مقر المركز ، أما المدير العام للمركز فيقوم بتصريف شؤون المركز العلمية والمالية والإدارية وفق نظام المركز وتوجيهات مجلس إدارة المركز .

شكل رقم ــ ١ ــ
يبين الهيكل التنظيمي لمركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي



أهداف المركز

نصت المادة الرابعة من اتفاقية إنشاء المركز على الأهداف التي يحققها المركز وهي :

* تجميع أكبر قدر ممكن من الإنتاج الإعلامي في مختلف أشكاله وأوعيته كالمطبوعات والمواد السمعية والبصرية والوثائق الحكومية والدراسات وغيرها من المواد اللازمة للعاملين والباحثين والدارسين في حقل الإعلام .

* تنظيم وتحليل الوثائق وأوعية نقل تلك المعلومات المجمعة وفقاً للنظم وأصول وتقنيات تناظر أحدث الأساليب والنظم المطبقة عالمياً ، وملاءمة هذه المواصفات وخصائص البلاد العربية بوجه عام والبلاد العربية الخليجية بوجه خاص ، وذلك بغية استنباط ما تحتويه هذه الوثائق والأوعية من معلومات وبيانات وتنظيمات في مراكز معلومات وبنوك بيانات تتيح استرجاعها بدقة ويسر .

* توفير المعلومات التي يحتاجها المخططون والعاملون والباحثون في حقل الإعلام بمنطقة الخليج وتزويدهم بالبيانات الصحيحة في القضايا والمشروعات والأنشطة الخليجية المختلفة وتمكينهم من متابعة أحدث التطورات والاتجاهات في مختلف فروع العلم والمعرفة بهدف دفع عجلة الإنتاج وتطوير المستويات وتقديم برامج أكثر ثراء وتنوعاً وحيوية .

★ الكشف عن الأصول الحضارية والثقافية للمنطقة عن طريق تجميع التراث القومي والشعبي وفنون وآداب البيئة وتوثيقها وإتاحتها للاستخدام في وسائل الإعلام والنشر المختلفة مما سيكون له أوقع الأثر في دعم اتجاه وحدة الخليج ثقافياً وفنياً وإعلامياً ، فضلاً عن إتاحة المزيد من الفرص للإبداع الفني على المستوى المحلي في مختلف القوالب الإعلامية وعدم الاعتماد بنسبة كبيرة على المواد والبرامج المستوردة .

★ دعم البنية الأساسية لخدمات المعلومات والمكتبات والتوثيق بالأجهزة الإعلامية الخليجية وسدّ الفجوات الحالية في هذه الخدمات عن طريق إرساء قواعد الإعداد الفني للمواد بتصميم مجموعات من نظم المعالجة والحفظ والاسترجاع النمطية ، وإعداد أدلة لتقنين أساليب العمل والأداء ، وتوفير الأدوات والمراجع الأساسية مع تدريب المختصين في المعلومات والتوثيق على تطبيق هذه النظم باستخدام تلك الأدوات وفقاً لأساليب عمل مقننة .

★ تعزيز سبل التنسيق والتعاون في مجال إنتاج البرامج والمواد الإعلامية وتبادلها في نطاق دول المنطقة وذلك عن طريق رصد مقتنيات الأجهزة الإعلامية لدول الخليج في شكل فهارس موحدة والتعريف بها عن طريق إصدار قوائم ببليوغرافية دورية وتوزيعها على الدول الخليجية .

★ الانفتاح على ثقافات العالم الخارجي ، وذلك عن طريق تبادل المطبوعات وخدمات الإعلام مع الدول المختلفة والمراكز المتشابهة ، وكذلك التقاط الثقافات والمعلومات من العالم الخارجي وبثها إلى منطقة الخليج عن طريق الاشتراك في بنوك وخدمات المعلومات المختلفة .

خدمات المركز :

يقدم المركز خدماته على الوجوه التالية :

أ ــ الإعداد الفني لأوعية المعلومات :

وتشتمل هذه الخدمات على ما يلي :

١ ــ فهرسة وتصنيف مقتنيات المركز بحسب القواعد والمعايير الدولية ، وبما ييسر استخدامها .

٢ ــ إعداد الببليوغرافيات المتخصصة في موضوعات الإعلام المختلفة .

٣ ــ إعداد الأدلة الخاصة بالمؤسسات الإعلامية ومراكز المعلومات والشخصيات الخليجية .

٤ ــ إعداد كشافات تحليلية ومستخلصات لما ينشر في الدوريات العربية ولأوعية المعلومات في الموضوعات التي يهتم بها المركز .

ب ــ الإحاطة الجارية :

وتعني الإحاطة الجارية إعلام المستفيدين بالمواد الثقافية التي لها صلة باختصاصاتهم واهتماماتهم واحتياجاتهم ، ويعتمد على ما يلي في تقديم هذه الخدمة :

١ ــ تغطية الأحداث الجارية والقضايا ذات الأهمية عن طريق الاستعانة بالأرشيف المتجدد للشخصيات والدول والموضوعات .

٢ ــ البث الانتقائي للمعلومات بحيث يتم من خلال هذا النمط من الخدمة تعريف المستفيدين بالوثائق الحديثة التي لها صلة بموضوع أو موضوعات بحثه أو عمله .

٣ ــ الإعلام بمقتنيات المركز الجديدة عن طريق مجلة المركز (التوثيق الإعلامي) .

٤ ــ عرض المطبوعات الحديثة من خلال قنوات الاتصال المتيسرة للمركز .

ج ــ خدمة البحث عن الإنتاج الفكري :

ويوفر المركز للمستفيدين من هذه الخدمة مصادر المعلومات ذات العلاقة بموضوع بحثه ، قديمةً كانت أم حديثةً ، وذلك بإعداد الببليوغرافيات في الموضوعات التي يحتاج إليها المستفيدون ، وذلك باتباع الأساليب اليدوية والآلية في تقديم هذه الخدمة ، ولا تقتصر خدماته على المواد التي تتوفر لديه فقط ، وإنما يستعين بمراكز المعلومات الوطنية والعربية والعالمية إن احتيج إلى ذلك .

د ــ خدمة الإجابة على الاستفسارات :

وتقدم هذه الخدمة من خلال وحدة خدمات المستفيدين التي تجيب على الأسئلة والاستفسارات التي تقع ضمن اختصاص المركز ، وتتم عن طريق الحضور الشخصي أو بالبريد أو الهاتف أو بوسائل الاتصال الأخرى .

هـ ــ خدمة الإحالة :

ويقوم المركز بإحالة المستفيد إلى المصادر التي يستطيع أن يحصل منها على المعلومات التي يحتاجها ، وذلك حين توجه إليه استفسارات أو أسئلة في مجالات خارجة عن اختصاصه واهتماماته .

و ــ خدمة التدريب :

وغاية هذه الخدمة تطوير كفاءات العاملين في المكتبات والتوثيق في أجهزة الإعلام الخليجية ، وذلك إما عن طريق دورات تدريبية للعاملين في المؤسسات الإعلامية الخليجية أو عن طريق برامج التدريب الفردي خلال الخدمة .

ز ــ خدمة بنك المعلومات :

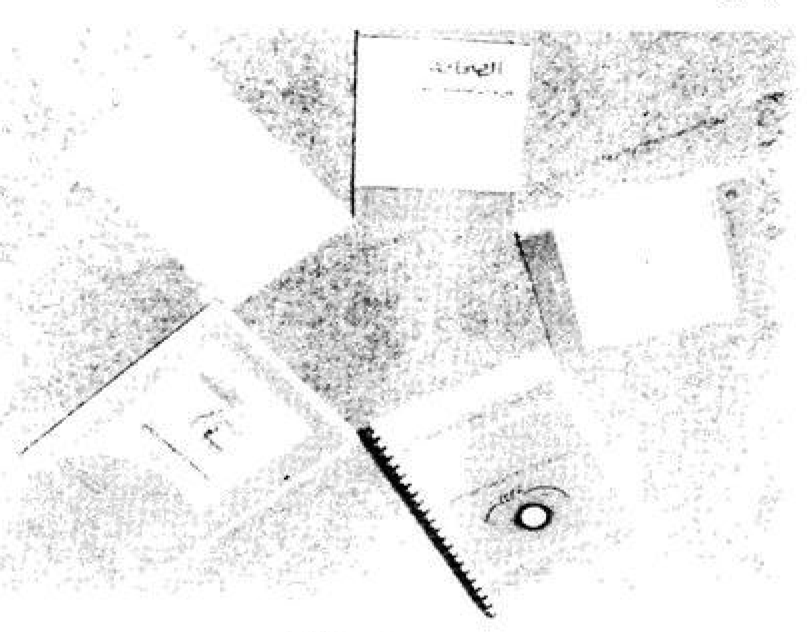
ويقوم الحاسب الألكتروني بدور بارز في هذا المجال ، إذ يعتبر العنصر الأساسي الذي تستند عليه الأنشطة التوثيقية المختلفة

وعمليات البحث عن المعلومات ، وللمركز اتصالات ببنك المعلومات دايلوك بغية تسهيل مهمة المستفيد في الحصول على المعلومات التي يحتاجها في تخصصاته واهتماماته .

وقد نفذ الحاسب الألكتروني في المركز مشاريع عديدة لتسهيل تقديم خدمات المعلومات فيه .

ح ـ خدمة النشر :

وهذه من أبرز خدمات المركز ، ويقدمها من خلال إدارة البحوث والدراسات التي تقوم بدراسات وبحوث في مجال اهتمامات المركز والإشراف على تنفيذها ومسؤولية التحرير ومراجعتها لغة وصياغة وإخراجاً ، وتدقيق مصادر البحث ، والتأكد من كتابتها وفق التقنيات العلمية ، ويتم النشر عادة عن طريق مجلة (التوثيق الإعلامي) ، أو ضمن السلاسل من المطبوعات التي يصدرها المركز .



من إصدارات المركز

ط ـ خدمة التصوير والاستنساخ :

وهذه الخدمة مكملة لعملية الإعارة ، والتصوير في المركز نوعان :

١ ـ التصوير على ورق .

٢ ـ التصوير المصغر ، وذلك على شكل مايكروفيلم أو مايكروفيش .

وتقدم هذه الخدمة للمستفيدين شخصياً أو عن طريق الكتابة بالبريد .

المستفيدون من خدمات المركز :

١ ـ وزراء إعلام دول الخليج العربي السبع أعضاء مجلس إدارة المركز .

٢ ـ المخططون وصانعو القرارات في المؤسسات الإعلامية ومراكز التوثيق والمعلومات في الدول الأعضاء .

٣ ـ الأجهزة الإعلامية الخليجية والإقليمية .

٤ ـ المستفيدون من خبراء وباحثين أو طلبة ، والمستفيدون بصورة عامة .

ويقدم المركز خدماته لطالبيها بأية وسيلة تصله بها (كالاتصال الشخصي ، الهاتف ، البريد ، التلكس) أو خدمات يقدمها دورياً في ضوء الدراسات التي يعدها عن احتياجات المستفيدين ، وقد أنشىء لهذا الغرض وحدة خاصة باسم وحدة خدمات المستفيدين .

كما يقوم المركز بدور مهم في رفع كفاءة العاملين في المؤسسات الإعلامية ومراكز التوثيق والمعلومات الخليجية ، وتعريف العاملين في الإعلام بالجديد في مجالات عملهم .

مشاريع وخطط المركز المنفذة

أولاً : المطبوعات :

وتشمل مطبوعات المركز ما يلي :

أ ـ الأدلة :

١ ـ الدوريات الخليجية : الصحف والمجلات الصادرة في أقطار الخليج العربي ، ١٩٨٢ ، ٣٢٨ ص .

٢ ـ دليل الناشرين في دول الخليج العربي ، ١٩٨٤ ، ١٧١ ص . [ويحتوي على دراسة بعنوان : «حركة النشر والطباعة في دول الخليج العربي» لعبد الكريم الأمين ، إضافة إلى تعريف مفصل بدور النشر في دول الخليج العربي السبع] .

٣ ـ دليل مراكز التوثيق والمعلومات في دول الخليج العربي ، ١٩٨٤ ، ١١٣ ص .

٤ ـ دليل المصغرات (المتوفرة في المركز) ، ١٩٨٣ ، ٤٠ ص .

٥ ـ دليل رؤوس الموضوعات في أرشيف المعلومات ، ١٩٨٣ ، ٤٦ ص .

٦ ـ دليل المواد السمعية والبصرية (المتوفرة في المركز) ١٩٨٤ ، ١١٧ ص .

٧ ـ دليل الدوريات (الصحف والمطبوعات الدورية الأخرى في المركز) ، ١٩٨٣ ، ١٨٥ ص .

٨ ـ دليل مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي ، ١٩٨٣ ، ٣٦ ص .

٩ ـ الصحافة في دول الخليج العربي . تأليف عزة علي عزت ، ١٩٨٣ ، ٢٤٠ ص .

١٠ ـ دليل مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي ، ١٩٨٥ ، ٣٩ ص ، ط ٢ .

١١ ـ المركز في خمسة أعوام ، ١٩٨٦ ، ٤٧ ص .

١٢ ـ مطوية مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي ،

. ١٩٨٦

١٣ ــ تقويم المركز لعام ١٩٨٦ .

١٤ ــ دليل الدوريات الخليجية : الصحف والمجلات والنشرات الجارية الصادرة في دول الخليج العربي ، ٣١٤ ص .

ب ــ الكشافات :

١ ــ كشاف جريدة الثورة الشهري (التجريبي) (العراق) ، صدر منه خمسة أعداد للعام ١٩٨٢ ، ١١٤ ص .

٢ ــ كشاف مجلة آفاق عربية (التجريبي) (العراق) ، للفترة ١٩٧٥ ــ ١٩٨٠ ، ٤٠ ص .

٣ ــ كشاف مجلة عالم الفكر (الكويت) للفترة ١٩٧٠ ــ ١٩٨٢ ، ٨٥ ص .

٤ ــ كشاف مجلة الدارة (السعودية) للفترة ١٩٧٥ ــ ١٩٨٢ ، ٩٢ ص .

٥ ــ كشاف مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (الكويت) ، للفترة ١٩٧٥ ــ ١٩٨٢ ، ١٦٤ ص .

٦ ــ كشاف المقالات والبحوث ، لعام ١٩٨٢ ، ٦٥ ص .

٧ ــ كشاف المقالات والبحوث ، لعام ١٩٨٣ .

٨ ــ كشاف مجلة التراث الشعبي (العراق) ، للفترة ١٩٦٩ ــ ١٩٨٢ ، ٣٦٣ ص .

٩ ــ كشاف مجلة الكويت (الكويت) ، للفترة ١٩٨٠ ــ ١٩٨٤ ، ١٤٨ ص .

١٠ ــ كشاف مجلة الدوحة (قطر) ، للفترة ١٩٧٦ ــ ١٩٨٣ .

١١ ــ كشاف مجلة الوثيقة (البحرين) ، للفترة ١٩٧٦ ــ ١٩٨٤ .

١٢ ــ كشاف مجلة آفاق اقتصادية (الإمارات) ، الفترة ١٩٨٠ ــ ١٩٨٤ ، ٢٣٢ ص .

١٣ ــ كشاف مجلة الإداري (عمان) ، للفترة ١٩٧٩ ــ ١٩٨٤ .

١٤ ــ كشاف آفاق عربية (العراق) ط ٢ ، للفترة ١٩٧٥ ــ ١٩٨٤ .

١٥ ــ كشاف المقالات والبحوث ، لعام ١٩٨٥ .

١٦ ــ كشافات محاضرات الموسم الثقافي (الإمارات العربية المتحدة) للسنوات ١٩٧٢ ــ ١٩٨٤ ، ١٤٢ ص .

١٧ ــ الكشاف التحليلي للدوريات الخليجية للسنتين ١٩٨٥ ــ ١٩٨٦ .

١٨ ــ الكشاف التحليلي للدوريات العربية للسنوات ١٨٧٦ ــ ١٩٨٤ أربعة أجزاء .

١٩ ــ الكشافات التحليلية لبيانات القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية . ١٩٨٠ ــ ١٩٨٨ ، ٤٥٢ ص .

ج ــ قوائم المؤلفات والببليوغرافيات :

١ ــ الإعلام والصحافة، ببليوغرافية معرفة مختارة ، ١٩٨٢ ، ٣٤٨ ص ، الطبعة الأولى .

٢ ــ الإعلام والصحافة ، قائمة مؤلفات ببليوغرافية معرفة ، ١٩٨٤ ، الطبعة الثانية ، ٤٦٤ ص .

٣ ــ الخليج العربي ، قائمة مؤلفات معرفة ، ١٩٨٦ ، ٥٥٢ ص .

٤ ــ دليل الناشرين في دول الخليج العربي ، ١٩٨٧ .

٥ ــ الحرب العراقية الإيرانية في مصادر المعلومات العربية والأجنبية ٦٣٢ ص .

د ــ السلسلة التوثيقية :

١ ــ مصادر المعلومات في دول الخليج العربي ، إعداد عبد القادر محمد الحبيل ، ١٩٨٣ ، ١٠٧ ص .

٢ ــ موسوعة التوثيق والمعلومات المصغرة ، تأليف عامر إبراهيم القنديلجي ، ١٩٨٣ ، ٩٥ ص .

٣ ــ فهرسة وتصنيف المواد الثقافية في مراكز التوثيق والمعلومات ، تأليف غنية خماس صالح ، ١٩٨٤ ، ٥٣ ص .

٤ ــ استخدام الحاسبات الالكترونية في إخراج وإنتاج كشافات الدوريات ، تأليف نعيمة حسن رزوقي ، ١٩٨٥ ، ١٠٠ ص .

٥ ــ المراجع والخدمات المرجعية في مراكز التوثيق والمعلومات ، تأليف جاسم محمد جرجيس وعبد الجبار عبد الرحمن ، ١٩٨٥ ، ٩٦ ص .

٦ ــ التوثيق الآلي للمعلومات (وقائع ندوة التوثيق الآلي للمعلومات التي عقدها المركز في بغداد ، للفترة ٢١-١٩٨٤/١٠/٢٤) ٢١٦ ص .

٧ ــ التوثيق المايكروفلمي ، تأليف إيمان فاضل السامرائي ، ١٩٨٥ ، ١١٢ ص .

٨ ــ التصنيف بين النظرية والتطبيق ، تأليف محمود أحمد أتيم ، ١٩٨٦ .

٩ ــ الأبعاد الاستراتيجية للحرب العراقية الإيرانية (وقائع الندوة) ، ٧٢٦ ص .

١٠ ــ أحداث السنين في التقويمين الهجري والميلادي ، ٧٠٢ ص .

١١ ــ الكتاب السنوي لأحداث عام ١٩٨٧ ، ٤٩٣ ص .

١٢ ــ الكتاب السنوي لأحداث عام ١٩٨٨ ، قيد الطبع .

١٣ ــ ملفات لأحداث أعوام (١٩٨٦/١٩٨٥/١٩٨٤/١٩٨٣) .

هـ ــ **السلسلة الإعلامية :**

١ ــ نظرة في إعلام العالم الثالث من خلال الأنظمة الإذاعية في الدول النامية ، تأليف إبراهيم الداقوقي ، ١٩٨٢ ، ١١٨ ص .

٢ ــ نحو تخطيط موحد للإعلام العربي ، تأليف حسن محمد طوالبة ، ١٩٨٣ ، ٢٣٤ ص .

٣ ــ دراسات في الإعلام العربي ، تأليف محمد مصالحة ، ١٩٨٤ ، ٢٢٤ ص .

٤ ــ دراسات في العمل التلفزيوني العربي ، تأليف سعد لبيب ، ١٩٨٤ ، ٢٠١ ص .

٥ ــ التعاون الإعلامي بين دول الخليج العربي ، ٢٧٢ ص .

و ــ **سلسلة توثيق أحاديث قادة دول الخليج العربي :**

١ ــ توثيق أحاديث الرئيس صدام حسين ، ١٩٨٤ ، ٣٣٧ ص .

٢ ــ توثيق أحاديث أمير دولة قطر (قيد الطبع) .

٣ ــ توثيق أحاديث خادم الحرمين الشريفين ملك المملكة العربية السعودية (قيد الطبع) .

ز ــ **مجلة التوثيق الإعلامي :**

وهي مجلة نصف سنوية (حالياً) (وقد كانت فصلية) وتضم بحوثاً ودراسات وتقارير وأخباراً ثقافية محلية وثقافية ، وقد صدر منها (٢٠) عدداً حتى بداية ١٩٨٩ م .

ح ــ **نشرة إعلام الخليج :**

وهي نشرة شهرية ، تتضمن كل ما هو جيد في منطقة الخليج العربي ، وهي جزء من الإحاطة الجارية التي يعنى بها المركز . وقد صدر منها ستة عداد ، وانقطعت .

ثانياً : توثيق المعلومات الإعلامية :

ويتم عن طريق ملفات المعلومات ، وهي ملفات تضم قصاصات تؤخذ من الصحف والمجلات الخليجية والعربية والأجنبية ، وتتناول الموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتعلقة بدول الخليج العربي وعلاقتها مع الدول العربية ودول العالم ، إضافة إلى مجموعة من الملفات عن المؤسسات والمنظمات الإعلامية الخليجية وبعض المنظمات العربية والعالمية ، وقد وزعت هذه الملفات بحسب النظام العشري للتصنيف وتحت أسماء الدول .

وتمتاز هذه الملفات بجدتها ، لهذا يستعين بها الباحثون والدارسون ، ويقدم المركز خدمات الاستنساخ للقصاصات التي يحتاج إليها الباحثون .

وتصغر مواد الملفات على أشرطة أو بطاقات بعد امتلاء كل ملف تلافياً للتوسع في أماكن الحفظ وأعداد الملفات .

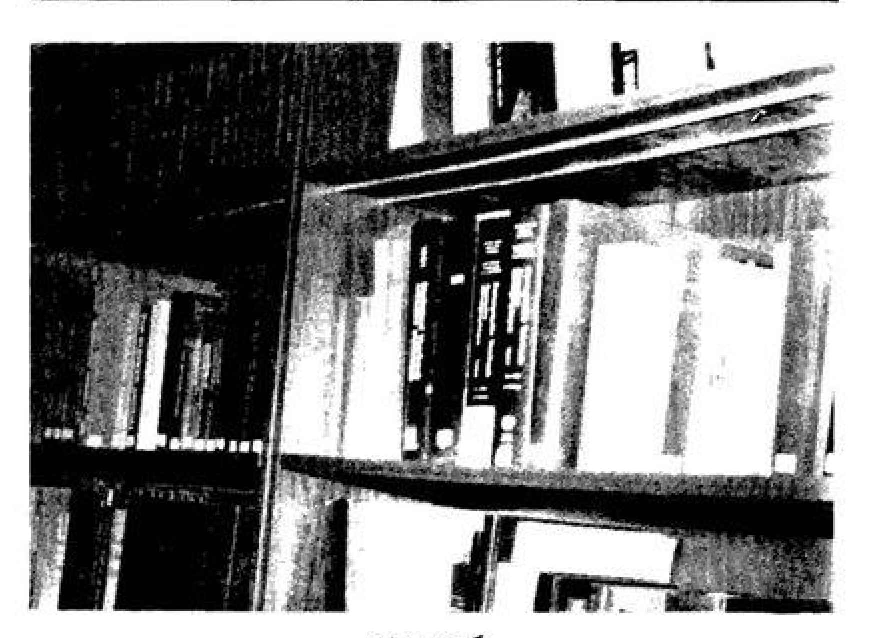
كما يقوم أرشيف المعلومات بتجميع القصاصات الصحفية عن الأحداث الساخنة العربية والعالمية ، ويقوم بتصويرها على المايكروفيش ويوزعها على المؤسسات الإعلامية .

ويحرص المركز على تجميع مواد أرشيف الشخصيات الخليجية والعربية وتنظيمها في بطاقات ، وباستمرار .

جدول رقم ــ ٢ ــ

إجمالي ملفات المعلومات الموجودة في المركز حتى ١٩٨٩

الموضوع	عدد الملفات
دولة الإمارات العربية المتحدة	٦٨
دولة البحرين	٦٦
المملكة العربية السعودية	٦٨
الجمهورية العراقية	٧٨
سلطنة عمان	٦٦
دولة قطر	٦٤
دولة الكويت	٦٨
المنظمات العربية الخليجية	٧٠
أقطار الوطن العربي	٣٢
الاتحادات والمنظمات العربية	٥٤
دول العالم	٤٤
الاتحادات والمنظمات العربية	٤٠
الكيان الصهيوني	٢٠
أحداث ومناسبات	٧٢
ملفات المؤتمرات والندوات	٤٠
ملف الشخصيات	٧٥
ملفات الأحداث الساخنة في منطقة الخليج العربي	١٨



مكتبة المركز

ثالثاً : المكتبة والدوريات :

أ ــ المكتبة :

ومكتبة المركز مكتبة متخصصة ، تهتم بالدرجة الأولى بموضوعات الإعلام والتوثيق والمعلومات والاتصالات ، إضافة إلى المطبوعات التي تصدر في دول الخليج العربي باللغتين العربية والانكليزية ، والمراجع العامة كالأدلة والمعاجم ودوائر المعارف والكتب والمراجع المتخصصة بموضوعات الخليج العربي .

وتختار المكتبة كتبها وفقا لسياسة المركز ، فتتابع الطلبات والإصدارات ، وتقوم بفهرسة وتصنيف الكتب وفق نظام ديوي العشري . وتتولى فهرسة وتصنيف أوعية المعلومات الأخرى الموجودة لديها بما يناسب هذه الأوعية من التقنيات الحديثة . وإن كل كتب وموجودات المكتبة مفهرسة ومصنفة ، وقد أعدت لها البطاقات اللازمة وثبتت في الفهرس .

وقد اقتنى المركز مؤخراً نسخاً مصورة ومستخلصات لوثائق عثمانية تاريخية مهمة تتعلق بعلاقات الدولة العثمانية بالمناطق والولايات العربية خلال فترة الحكم العثماني ، وتغطي فترة طويلة تمتد منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي وحتى بداية القرن العشرين .

جدول رقم ــ ٣ ــ

إجمالي الكتب والوثائق العثمانية

الموجودة في المركز حتى منتصف ١٩٨٩

الكتب العربية	الكتب الأجنبية	الوثائق العثمانية	المجموع
٢٩٦٤	٨٢٤	٥٠٠٠	١٦٧٨٨

ب ــ الدوريات :

وتتولى شعبة الدوريات الاشتراك في الدوريات الخليجية والعربية والأجنبية ومتابعة وصولها واستكمال نواقصها ، والقيام بتسجيلها وتصنيفها وإعداد بطاقات الفهرسة ، وعرضها في قاعة الدوريات موزعة تحت أسماء الدول الخليجية ، وهناك عارضات للدوريات الأجنبية . ويقوم القسم بتقديم خدماته للباحثين والمتخصصين بتصوير البحوث والدراسات التي يطلبها الباحثون والدارسون باستنساخها على الورق .

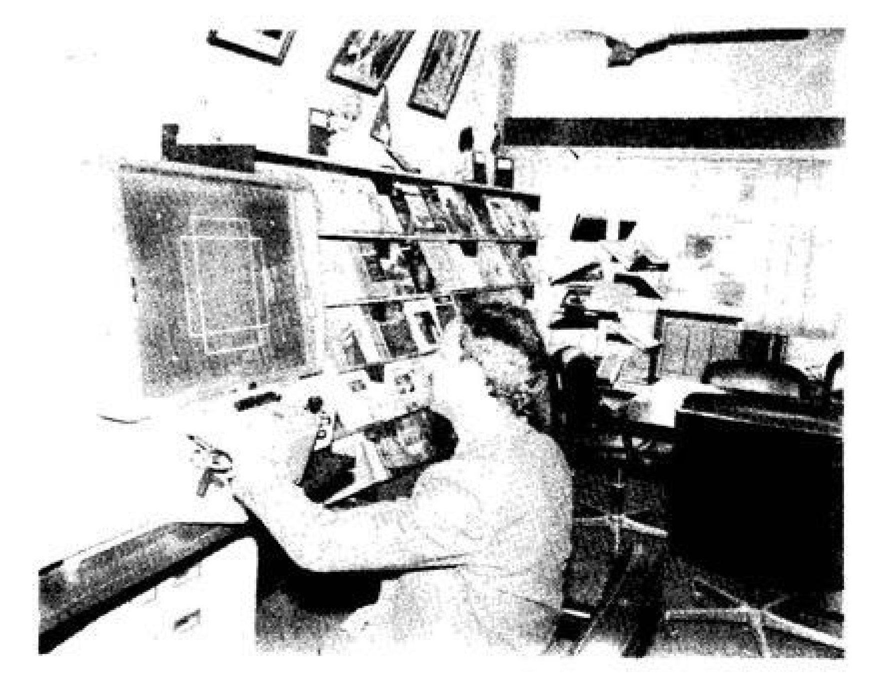
يتسلم قسم الدوريات الصحف والدوريات الخليجية والعربية والأجنبية بعدة نسخ ، فيحتفظ بنسخة واحدة من كل صحيفة أو مجلة فيعرضها ويوزع النسخ الأخرى على الأقسام التي تتعامل بها .

جدول رقم ــ ٤ ــ

إجمالي الدوريات في المركز

حتى منتصف ١٩٨٩

الدوريات الخليجية	الدوريات العربية	الدوريات الأجنبية	المجموع
٣١٨ عنوان	٤٣٢ عنوان	١٤٠ عنوان	٩٩٠ عنوان



قسم الدوريات

رابعاً : المواد السمعية والبصرية :

أ ــ المصغرات الفلمية :

استخدم المصغرات الفلمية منذ نشأته ، فقد صور المركز عدداً من الصحف والمجلات التي تصدر في دول الخليج العربي بأجهزة المصغرات الفلمية بحجميها المتوفرين في المركز (١٦ ملم ، ٣٥ ملم) وبنوعيها (الشريط ، والبطاقي/الميكروفيلم والميكروفيش) لتسهيل عملية خزن المعلومات وحفظها واسترجاعها ، ويتعاون المركز مع عدد من المؤسسات بصدد التنسيق في مجالات التصوير والتصغير ، وفي مجالات توفير هذه المصغرات للمؤسسات الأخرى وتسويقها محلياً وعربياً وعالمياً ، كما يقوم المركز بتصوير المطبوعات المهمة والأطروحات الصادرة في موضوعات الخليج العربي وبلدانه ، وكذلك تصوير المقالات والأبحاث التوثيقية والإعلامية ، كما أنه يصور ملفات المعلومات التي تغلق وتحول له من أرشيف المعلومات .

جدول رقم ــ ٥ ــ

الصحف المصورة على الميكروفيلم ٣٥ ملم

في مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي

ت	الصحيفة	الفترة الزمنية		الأعداد	
		من	إلى	من	إلى
١	الاتحاد (الإمارات)	٨٣/١/١	٨٩/٢/٢٨	٣٤٨٢	٥٤٠٧
٢	الثورة (العراق)	٦٨/٨/١٧	٨٩/٣/٣١	١	٦٨٨١
٣	الجزيرة (السعودية)	٨٣/١/١	٨٩/١/٣١	٣٧٥٨	٥٩٦٩
٤	الخليج (الإمارات)	٨٣/١/١	٨٦/١٢/٣١	١٣٦١	٢٨١٠
٥	الراية (قطر)	٨٣/١/٩	٨٧/٩/٣٠	٩٤٨	٢٤٠٦
٦	السياسة (الكويت)	٨٣/١/١	٨٣/٦/٣٠	٥١٨٥	٥٣٥٣
٧	الرأي العام (الكويت)	٨٣/١/١	٨٣/٦/٣٠	٦٨٧٠	٧٠٤٧
٨	الشرق الأوسط (لندن)	٨٣/١/١	٨٦/٦/٣٠	١٤٩٥	٢٧٧١
٩	عمان (عمان)	٨٣/١/١	٨٨/١٢/٣١	٦٥٤	٢٧٨٤
١٠	القبس (الكويت)	٨٣/١/١	٨٩/٢/٢٨	٣٨٢١	٦٠٣٥
١١	الأنباء (الكويت)	٨٣/١/١	٨٣/٤/٣٠	٢٥٢٢	٢٦٣٩
١٢	الوطن (الكويت)	٨٣/١/١	٨٣/٤/٣	٢٨٢٥	٢٩٤٢

جدول رقم ــ ٦ ــ

المجلات المصورة على المايكروفلم والمايكروفيش

في المركز

ت	المجلات	الأعداد المصورة		الفترة الزمنية	
		من	إلى	من	إلى
١	الإداري (عمان)	١	٢٣	١٩٧٩	١٩٨٥
٢	آفاق عربية (العراق)	١	١٦٠	١٩٧٥	١٩٨٨
٣	التراث الشعبي (العراق)	١	١٧٣	١٩٦٩	١٩٨٧
٤	التوثيق الإعلامي (الرياض)	١	٢٠	١٩٨٢	١٩٨٨
٥	دراسات الخليج والجزيرة العربية (الكويت)	١	٥٦	١٩٧٥	١٩٨٨
٦	الدوحة (قطر)	١	١٢٨	١٩٧٦	١٩٨٦
٧	عالم الفكر (الكويت)	١	٧٢	١٩٧٠	١٩٨٨
٨	الكويت (لكويت)	١	٦٤	١٩٨٠	١٩٨٧
٩	المورد (العراق)	١	٦٨	١٩٧١	١٩٨٨
١٠	النفط والتنمية (العراق)	١	١٠٩	١٩٧٥	١٩٨٨
١١	ألف باء (العراق)	١٢٧	٧٩٦	١٩٧١	١٩٨٣
١٢	الدارة (السعودية)	١	٥٢	١٩٧٥	١٩٨٨
١٣	آفاق اقتصادية (الإمارات)	١	٣٢	١٩٨٠	١٩٨٧
١٤	علوم (العراق)	؟	١٤	١٩٨٣	١٩٨٥
١٥	عالم الكتب (السعودية)	١	٣٢	١٩٨٠	١٩٨٧
١٦	الثقافة الأجنبية (العراق)	١	٢٨	١٩٨٠	١٩٨٧
١٧	الريان (قطر)	١	١٠	١٩٧٨	١٩٨٥
١٨	التعاون الصناعي (قطر)	١	٣٠	١٩٨٠	١٩٨٧
١٩	الوثيقة (البحرين)	١	١١	١٩٨٢	١٩٨٧
٢٠	الثقافة العالمية (الكويت)	١	٣٧	١٩٨١	١٩٨٧

ب ــ المواد السمعية والبصرية :

وتشمل المواد السمعية والبصرية الأفلام السينمائية ، وأشرطة الفيديو ، والأشرطة الصوتية ، والشرائح (السلايدات) والصور والخوارط .

وكل تلك من أوعية المعلومات الحديثة ، تعرض بعض المعلومات التي لا يمكن وصفها وصفاً دقيقاً بالكتابة ، ويحوي المركز أجهزة عرض حديثة وأماكن حفظ فنية لحفظ الخوارط والصور الفوتوغرافية . والمركز يعرض المواد المتوفرة لديه أثناء الدورات التدريبية .

خامساً : التوثيق الآلي (بنك المعلومات) :

وقد ابتدأ المركز أولاً باستخدام الحاسب الألكتروني الصغير (الميكروكومبيوتر) وفق خطة رسمها وزراء إعلام الدول المشاركة ،

وتضمنت المرحلة الأولى تكوين قواعد متعددة للبيانات التالية :

١ ــ قاعدة بيانات أحداث السنين .
٢ ــ قاعدة بيانات الدوريات الخليجية .
٣ ــ قاعدة بيانات الناشرين في دول الخليج العربي .
٤ ــ قاعدة بيانات المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية .
٥ ــ قاعدة بيانات المكتبة .
٦ ــ قاعدة بيانات السجل السنوي للأحداث .
٧ ــ قاعدة بيانات الخليج العربي .
٨ ــ قاعدة بيانات المؤسسات الإعلامية في دول الخليج العربي .
٩ ــ قاعدة بيانات ببليوغرافية المرأة (الرسائل الجامعية) .
١٠ ــ قاعدة بيانات المكنز الإعلامي .
١١ ــ قاعدة بيانات الشخصيات الخليجية .
١٢ ــ قاعدة بيانات أحاديث قادة دول الخليج العربي .
١٣ ــ قاعدة بيانات الحرب العراقية الإيرانية في مصادر المعلومات العربية والأجنبية (١٩٨٠ ــ ١٩٨٦) .
١٤ ــ قاعدة بيانات كشافات الدوريات .

وفي نهاية عام ١٩٨٥ بدىء العمل على أجهزة المبنى بكمبيوتر (هيوليف باكارد 42-1000) الجديدة ، كما تم تحميل نظام إدارة قواعد البيانات (مينزيس) .



قسم الحاسب الآلي

سادساً : الندوات والمؤتمرات :

وحتى منتصف عام ١٩٨٩ عقد المركز خمسة مؤتمرات ، كما اشترك المركز بحوالي ثلاثين مؤتمراً وندوة وحلقة دراسية ، في مجال اختصاصه . كما أسهم المركز في معارض الكتب العراقية والعربية .

سابعاً : التدريب :

ونظم المركز أكثر من عشر دورات تدريبية متخصصة في دولة المقر وفي الدول الأعضاء لمجلس الإدارة ، كما قام بالتدريب الفردي لأفراد عدد من المؤسسات الخليجية والعراقية .

ولم ينس المركز تدريب منتسبيه في التوثيق والمعلومات والإعلام والاتصالات وإدارة الأجهزة .

ويرتبط المركز بعلاقات جيدة ونشيطة مع عدد كبير من المكتبات والمنظمات ومراكز المعلومات (المحلية والعربية والدولية) تتجاوز الـ (٧٠٠) مؤسسة في المجالات التالية :

١ ــ إهداء وتبادل المطبوعات .
٢ ــ التدريب .
٣ ــ تبادل الخبرات والمعونة والمشورة الفنية .
٤ ــ المشاريع المشتركة .

كما أن المركز قد عقد عدداً من اتفاقيات التعاون المشترك مع (٢٨) جامعة ومؤسسة علمية ومنظمة ومركز دراسات ومعلومات .

ويأمل المركز تنفيذ مشروعات طموحة ، وهو يعمل على تنفيذها في مجالات الكتب والموسوعة الصحفية والدورات التدريبية وتصوير القصاصات والصحف والمجلات والتوثيق ومختلف مجالات اختصاصه .

كتاب البحرية للرئيس محيي الدين بيري

محمد حرب

«كتاب البحرية» للرئيس البحري العثماني محيي الدين بن محمد يري كتاب مهم ، وترجع أهميته إلى أنه أول نموذج للدليل البحري في التاريخ . وكان سبب تصنيفه أن الخرائط البحرية في عهده لم تكن كافية للعمليات البحرية في المياه الضيقة ، فكانت الحاجة ماسة إلى خرائط أكبر وأكثر تفصيلاً لتكون دليلاً لهذه العمليات .

و«كتاب البحرية» للرئيس بيري دليل للبحّارة المسلمين ، كتبه مؤلفه باللغة العثمانية ، وتُرجم إلى لغات عديدة . ويوصف كتابه بأنه وسيلة افتخار للمسلمين وللتراث الإسلامي . وقد قال عنه رئيس الجمهورية التركية الأسبق فخري قوروتورك ــ وهو ضابط بحري ــ بأنه : «وصل إلى أعلى مستوى في علم البحرية في عصره ، وما زالت دنيا العلوم معجبة به حتى الآن » . كما أن العقيد البحري التركي ياووز سنام أوغلو وصف كتاب البحرية هذا بأنه : «خدمة عظيمة للبحرية العالمية وللتاريخ ، وهو أصح وثيقة لوصول البحّار المسلم إلى المحيط الأطلسي في أوائل القرن السادس عشر الميلادي» .

وهو دليل بحري لسواحل بحر إيجه والبحر الأبيض المتوسط ، وصفه كراتشكوفسكي في تاريخ الأدب الجغرافي العربي بأنه : «يمثل في أساسه أطلساً ملاحياً ، إلّا أنه كان يستهدف أن يكون دليلاً للملاحة الشراعية في بحر إيجه والبحر الأبيض المتوسط ، وأن يخدم في نفس الوقت كمرشد في معرفة المواضع المبينة على الخرائط . ولهذا السبب فإن الرئيس بيري يقدم وصفاً مفصلاً بما فيه الكفاية لجميع السواحل ، مع بيان التيارات والشُعب والمراسي والخلجان والمرافىء ومنابع المياه العذبة والمواقع الحصينة والقلاع والمباني والخرائب . كما يتعرض من خلال ذلك للحديث عن الجغرافيا السياسية والوضع الإداري للأماكن المختلفة ، وأن البحوث الأثرية قد أثبتت أن الرئيس بيري محل ثقة ، فمن بين جميع التفاصيل التي يوردها لا توجد واحدة منها قط لم تدعمها البحوث المعاصرة» .

ويحتوي الكتاب على خرائط دقيقة ، وعند مقارنة صور الأرض التي تم التقاطها من مركبات الفضاء بالخرائط التي رسمها القائد البحري الرئيس بيري في البدايات المبكرة للقرن السادس عشر ، اتضح التشابه المذهل بين صور مركبات الفضاء وبين تلك الخرائط .

لقد توصل رجال العلم إلى نفس نتائج صور أصول هذه الخرائط التي التقطت من ذلك الارتفاع الشاهق .

وهذه الفقرة وردت في كتاب «عربات الآلهة» لأريك فون دانكين على لسان تشارلز هـ . هابكود .

الرئيس بيري وتأليف الكتاب :

كان السلطان محمد الفاتح ، أول سلاطين آل عثمان ، يوجه نظره إلى البحر الأبيض المتوسط لينشىء قوة بحرية قوية . وكان ذلك من متطلبات مرحلة ما بعد فتحه القسطنطينية (إستانبول) ، فقامت قاعدة غالي بولو البحرية في مضيق الدردنيل لتكون مقراً للبحرية العثمانية . وقد تخرَّج من هذه القاعدة بحَّارة مسلمون عثمانيون كبار . ومن هؤلاء محمد بيري الذي قدم من إقليم قرامان في الأناضول إلى غالي بولو حيث استقر فيها . وكان لمحمد بيري أخ بحَّار مشهور هو الرئيس البحري كمال ، الذي يعرف في المصادر العثمانية باسم كمال رئيس .

قام رئيس البحر كمال بتربية ابن أخيه محيي الدين وإعداده لكي يكون بحاراً . دفعه أولاً إلى الدراسة على يد العلماء الشرعيين في غالي بولو . وعندما وصل محيي الدين إلى مرحلة الشباب عمل كاتباً في سفينة كبيرة بثلاثة أشرعة .

ومحيي الدين بن محمد بيري يُعرف في المصادر الإسلامية باسم بيري رئيس ، وهو رئيس البحر العثماني المشهور ، الرئيس بيري ، القائد البحري والخرائطي البالغ الصيت ، والشاعر والأديب وصاحب كتاب البحرية .

عمل الرئيس بيري في البحر الأبيض المتوسط مدة (١٤) سنة، فعرف سواحله معرفة دقيقة وعرف بلاداً جديدة، ودرس كل تفصيلات الموانىء التي نزل بها، ورسم لكل منها خريطة دقيقة، وجمع كل مشاهداته ودراساته وخرائطه في كتاب البحرية الذي صنفه.

درس الرئيس بيري كذلك سواحل إسبانيا وسواحل الجزائر. كما عمل سنوات مع الرئيس كمال — وهو عمه — في نقل مسلمي إسبانيا إلى شمال افريقيا. ولم يكن هذا عملاً هيناً، فقد كانت عمليات النقل هذه تتم وسط حروب طاحنة.

دخل الرئيس كمال — عم الرئيس بيري — في خدمة الدولة العثمانية رسمياً عام ١٤٩٥ هـ، وبعد ذلك بأربع سنوات، أي عام ١٤٩٩ م قام داود باشا قائد البحرية العثمانية بتعيين كل من الرئيس كمال والرئيس بيري قائدين للقوات البحرية الإسلامية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط.

لم يمر على ذلك وقت طويل حتى قامت الحروب البحرية العثمانية ضد البندقية، واستشهد عمه الرئيس كمال، فأثر هذا في معنويات الرئيس بيري، وما إن عاد إلى غالي بولو حتى انطوى على نفسه وأخذ في الدراسة ورسم الخرائط وكتابة موضوعات «البحرية». وفي عام ١٥٢٤ م وعام ١٥٢٥ م أعاد بيري النظر في كتابه وزاد في خرائطه وعدّل في معلوماته من حذف وإضافة وتعديل. وفي عام ١٥٢٥ م (٩٣٢ هـ) قدم كتابه إلى الداماد إبراهيم باشا، وقدّمه هذا إلى السلطان سليمان القانوني. واستُنسخ من هذه المخطوطة الثانية عدة مخطوطات، ومن هنا نجد الفروق بين نسخ مخطوط كتاب البحرية في مكتبات استانبول وأوربا لأنهما من أصلين: النسخة الأولى بتاريخها المكتوب عليها (عام ٩٢٧ هـ) ولم تُقدم إلى السلطان، والأخرى نسخة ٩٣٢ هـ التي قدمها الداماد إبراهيم باشا بنفسه إلى السلطان القانوني ولم يعثر على أي الأصلين حتى الآن. عُيِّن الرئيس بيري بعد ذلك في أعمال مهمة، منها القيادة البحرية للقوات العثمانية في المحيط الهندي والبحر الأحمر.

وفي عام ١٥٥٤ م وصل الرئيس بيري إلى الخامسة والثمانين من عمره وهو عام وفاته. توفي بعد أن ترك لنا مجلدات ضخمة مليئة بالكثير من المعلومات البحرية الجديدة على عصره، وفي مقدمة هذه الثروة التراثية كتاب البحرية. ومن تراثه البحري أيضاً خريطة أمريكا التي رسمها عام ١٥٢٨ م المحفوظة في متحف قصر طوبقبو في استانبول، ويظهر فيها المحيط الأطلسي والسواحل الممتدة من جرينلاد إلى فلوريدا بتفصيلات دقيقة.

وقد شغل مكانة الرئيس بيري بعد وفاته بحارة عثمانيون مشهورون، مثل الرئيس مراد، وسيدي علي الرئيس، وخير الدين باربا روس، وهؤلاء ساروا على نهج الرئيس بيري وأفادوا من خبرته ومن تراثه الذي تركه خاصة الأخير، أقصد خير الدين باربا روس، الذي أحال البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة إسلامية سيطر عليها العثمانيون بقوة واقتدار. لكن ما من أحد من هؤلاء القادة البحريين الكبار استطاع أن يملأ الفراغ الذي تركه الرئيس بيري في تاريخ البحرية الإسلامية والعلوم البحرية الإسلامية.

المخطوط والمطبوع:

لكتاب البحرية مخطوطات محفوظة الآن في مكتبات استانبول ومتاحفها، منها المتحف البحري التركي، ومكتبة متحف قصر طوب قابو، ومتحف طوب قابو، والسليمانية، وآياصوفيا، ومكتبة جامعة استانبول وغيرها.

وقامت قيادة البحرية التركية عام ١٩٣٥ م بنشر صورة من مخطوط كتاب البحرية المسجل عليها تاريخ ٩٣٢ هـ، أعدها للتصوير والنشر أستاذان بالمدرسة العسكرية البحرية التركية هما علي حيدر ألباغوط وفوزي قورد أوغلو بالاشتراك مع فهمي بك أول. وفي هذه الطبعة المصورة — بالإضافة إلى صورة طبق الأصل من مخطوط كتاب البحرية — دراسة وإيضاحات وتعريفات وفهرس موسع في طبعة أنيقة احتوت على ٨٥٥ صفحة من القطع الكبير قامت دار نشر الدولة بإصدارها.

كما قامت إدارة جريدة ترجمان التركية التي تصدر في استانبول — وهي في الوقت نفسه تنشر سلسلة كتب «الف كتاب وكتاب» — بنشر كتاب البحرية بعد أن قام الضابط البحري ياووز سنام أوغلو بنقل حروف الكتاب من الحروف العثمانية العربية إلى الحروف التركية اللاتينية لتصدر في جزأين من القطع المتوسط، الأول يحمل رقم ١/١٩ في ٣٩٩ صفحة، والثاني رقم ٢/١٩ في ٣٤٩ صفحة.

وصف كتاب البحرية:

إن اعتمادنا هنا في هذا التعريف لكتاب البحرية لمصنفه بيري رئيس على طبعة عام ١٩٣٥ م. يبدأ الرئيس بيري كتابه بتعريف يسير بعنوان «هذا كتاب البحرية» (ص ٢ — ٣) ثم في سبب تأليف الكتاب (ص ٣ — ٧) ومقدمة منظومة (ص ٧ — ٨٥) وهي مقدمة في ٧٨ صفحة في ٩٧٢ بيتاً على ٢٣ فصلاً. وتكثيف المعلومات البحرية في ٢٣ فصلاً دلالة على علو كعب المصنف في فنه.

في الفصل الأول: بيان الهدف من تأليف كتاب البحرية، ألا وهو الحاجة إلى عمل كهذا للبحارة، ونعرف فيه أنه حارب بجانب

عمه كمال رئيس في البحر المتوسط ، ودخوله الخدمة البحرية العثمانية .

وفي الفصول ٣ و ٤ و ٥ (من ص ١٩ ــ ٢٣) معلومات مختصرة عن العواصف وعن البوصلة ، وفي الفصلين ٦ و ٧ (ص ٢٣ ــ ٢٩) الخرائط والرموز الموجودة عليها ، والفصل ٨ عن البحر الذي يغطي الكرة الأرضية ، لا تأخذ منه الأرض غير الربع منه ، لذلك يطلق على الأرض الربع المسكون . ثم يعد البحار السبعة الكائنة في الربع المسكون ويذكر أسماءها : بحر الصين ــ بحر الهند ــ بحر الزنج ــ بحر المغرب ــ بحر الروم ــ بحر القلزم ...

والفصل التاسع (٣٠ ــ ٣٢) من الكشوف الجغرافية ، والعاشر (٣٣ ــ ٣٧) في أن مملكة الحبش تمتد إلى رأس الرجاء الصالح ، والفصل (١١) (ص ٣٧ ــ ٤٣) عن الكرة الأرضية المجسمة ، ثم يتحدث عن القطب والمدار ودائرة الاستواء ويتحدث عن ملقاو ، عن البحر الأعظم (الأطلسي) وديار المجهول المسماة أنتيليا ، والفصل (١٢) (ص ٤٣ ــ ٥٢) في كيفية وصول البرتغاليين من سواحلهم لى الهند ، والفصل ١٣ (ص ٥٢ ــ ٥٦) معلومات عن البحار وبحر الصين بمكانه وأهاليه وعاداتهم وأحوالهم الاجتماعية .

وفي الفصلين ١٤ و ١٥ (ص ٥٦ ــ ٦١) حديث عن بحر الهند وآلات القياس التي يستخدمها البحارة ، ومعلومات عن الرياح الموسمية التي تصلح للسفن الشراعية في ذهابها وعودتها من وإلى الهند ، والحالة الجوية لحوض البحر المتوسط وبحر إيجه ، وفي الفصل ١٦ (ص ٦١ ــ ٦٦) حالة الخليج العربي وجزره واستخراج اللؤلؤ منه ، ويقول فيه إن جزره كلها تسع : كشيم ــ هنكام ــ لارك ــ لار ــ هرمز ــ قيس ومالك ــ الشيخ صوري ــ هندووا ــ البحرين .

والفصول ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ خصصت لبحر الزنج ، أي للمنطقة الغربية للمحيط الهندي وما فيه من الجزر . أما الفصل ٢١ (ص ٧٨ ــ ٨٧) ففيه معلومات عن بحر المغرب والبحر الأعظم (المحيط الأطلسي) . ويبدو من حديثه أنه كان يذهب ــ أقصد يبحر ــ في سفن مع بعض البحارة إلى أمريكا . وذلك قبل كولومبس . وفي نهاية المقدمة المنظومة ذيل فيه دعاء وتوحيد .

أما بحر الروم ، وهو البحر السابع ، يعني البحر الأبيض المتوسط ، فلم يتحدث عنه في المقدمة ، إذ إنه موضوع الكتاب الأساسي . أما البحر الأحمر ، وهو بحر القلزم ، فالمؤلف يقصد به بحر الخزر .

والغريب أن المصنف أمسك عن ذكر البحر الأحمر وعن البحر الأسود .

حول نص كتاب البحرية :

نص كتاب البحرية مخصص للبحر الأبيض المتوسط ، ويقع في ٧٤٣ صفحة ، من صفحة ٨٥ إلى صفحة ٨٤٨ ، ويحتوي على ٢٠٩ فصل و ٢١٥ خريطة .

ويظهر من المقدمة المنثورة أنه يبدأ من مضيق الدردنيل حيث القلعة السلطانية ، ثم يتحدث عن الجزر الواقعة أمام المضيق ، والمنطقة الساحلية التي أمامه . ثم خليج سلانيك وجزيرة أيْرى بوز ، ثم سواحل تساليا . بعد ذلك يترك سواحل اليونان لينتقل إلى سواحل الأناضول ، فيعطي معلومات مفصلة عن جزيرة ميديللي والساحل الذي أمامها ، ثم الساحل الممتد حتى ميناء مرماريس . وينتقل منها إلى سواحل اليونان والمورة ، ثم بحر اليونان والإدرياتيك ، ثم الحوض الغربي للبحر الأبيض ، ثم الجزر في هذا الحوض ، ويضعها تحت عنوان «قاتالان» وفي ذلك معلومات بحرية وجغرافية وتاريخية عنها جميعاً ، ثم سواحل غرب إيطاليا وجنوب فرنسا وشرق اسبانيا .

ويتجه الكتاب بعد ذلك إلى رسم وشرح الجانب الافريقي من البحر الأبيض المتوسط ابتداء من مضيق سبتة ، يلي ذلك سواحل المغرب والجزائر وتونس وطرابلس الغرب وبنغازي وسواحل مصر، وعندها يعطينا معلومات عن نهر النيل ، ثم سواحل سيناء وفلسطين والشام وقبرص وقرامان (في الأناضول) وانطاليا . وينتهي من سواحل حوض البحر الأبيض كلها في مارماريس ، وهنا يتحدث عن جزيرة كريت ، ثم يوضح جزر بحر إيجه الوسطى ، ثم يعود ثانية إلى الدردنيل .

ويأتي أولاً على المعلومات التاريخية لكل مكان يتناوله ، ثم المعلومات الجغرافية ، ثم الوضع المهني ، ثم المعلومات البحرية مفصلة ، ويبين المشكلات التي تواجه البحارة في البحر وعلى السواحل .

البلاد العربية في كتاب البحرية :

في عشرة فصول يدرس الرئيس بيري ويوضح الساحل الممتد من سبتة حتى تونس ، فيقدم معلومات في هذه الفصول عن القلاع الرئيسية المستخدمة والمتروكة والجزر الصغيرة القريبة من الساحل وأوضاعها ، والموانىء المعمورة أو المهجورة ، لكنها ذات فائدة للبحارة ، كما يفصل القول في المياه الصالحة للشرب والأنهار الصغيرة التي يمكن للمراكب أو السفن دخولها ، والقلاع التي استولى الإسبان عليها ، والأماكن التي عمرّها المسلمون الذين نقلوا من الأندلس .

وفي الوقت الذي كتب الرئيس بيري فيه كتابه هذا كانت قلعة

الجزائر في يد خير الدين ، لكن الإسبان كانوا مستولين على الجزيرة الصغيرة المواجهة لها ، والحرب سجال بين المسلمين وبين الإسبان .

ويتحدث المصنف في ١٣ فصلاً عن السواحل الممتدة من تونس إلى الإسكندرية ، أي طرابلس الغرب وبنغازي . ثم يتعقب خط الساحل من الإسكندرية إلى رشيد ، ثم يدخل النيل ليصل القاهرة . والمؤلف يورد الجزء الأسفل من النيل في ست خرائط ، ولهذه الخرائط قيمة كبيرة من الناحية الجغرافية ، وللمصنف في نهر النيل وفي فيضانه حديث .

يعود الرئيس بيري من رشيد ليتتبع خط الساحل ، فيصف بدقة متناهية سواحل فلسطين وسوريا وقرامان (من الأناضول) وذلك في عشرين فصلاً ، حتى يصل إلى انطاليا . ويتجه كتاب البحرية إلى قبرص — انطاليا مرة أخرى — مارماريس — كربه . ثم يأخذ في تناول جزر بحر إيجه التي لم يكتب عنها شيئاً من قبل . ويخصص فصلاً في خمس صفحات لجزيرة كريت ، ثم وصف الجزر ليصل إلى مضيق الدردنيل .

وقد استفادت البحرية العثمانية من كتاب البحرية كثيراً عند قيامها بحملات ضد جزر بحر إيجه ، وقام هذا الكتاب بدور أساسي ، بمعلوماته البحرية الدقيقة والمفيدة ، في ضم هذه الجزر إلى الدولة العثمانية .

تيارات النقد الأدبي في الأندلس

لمصطفى عبد الرحيم

منجد ابراهيم بهجت

أستاذ مساعد في كلية الآداب - جامعة الموصل

عبد الرحيم ، مصطفى عليان/تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري .— بيروت : الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ، ٦٨٤ ، ٢٨ ص .

صدرت في السنوات الأخيرة دراسات نقدية كثيرة ، تلتقي مع الدراسة التي قدمها مصطفى عليان في هذا الكتاب ، إلا أن الوقفة جاءت عاجلة ، مقتصرة على الشعر عند إحسان عباس ، في تاريخ النقد الأدبي عند العرب[١] .. وأخذت طابعاً تاريخياً عند محمد رضوان الداية .. حيث استغرقت إشاراته عصور الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة دون أن تتوقف عند قضايا النقد الأندلسي واتجاهاته بالأناة والتؤدة ، وذلك في كتابه «تاريخ النقد الأدبي في الأندلس»[٢] .

وعالجت دراسة منصور عبد الرحمن «اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس»[٣] المظاهر العامة ، والاتجاهات النقدية الرئيسة ، دون أن تتوغل إلى جزئيات النقد الأدبي وتفصيلاته .. المتشعبة .

وتوقفت الدراسة عند هند حسين طه ، حتى القرن الرابع الهجري ، مع عناية خاصة بتحديد مفهوم النظرية النقدية .. في كتابها «النظرية النقدية عند العرب ، حتى نهاية القرن الرابع الهجري»[٤] .

وفضلاً عن الدراسات السابقة ، عرض باحثون آخرون للنقد الأندلسي ، من خلال أبرز نقاده ، على نحو ما نجد في دراسة عن ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) لعبد الرؤوف مخلوف ، وما كتبه عنه محمد الغزي[٥] . وما كتبه حازم عبد الله خضر عن ابن شهيد الأندلسي (ت ٤٢٦ هـ)[٦] ، ونزهة جعفر الموسوي ، عن ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)[٧] .

ولقد كانت صلتي بـ «تيارات النقد الأدبي في الأندلس» قديمةً ، يوم اطلعت عليه مطبوعاً على الآلة الكاتبة ، رسالة للدكتوراه ، في

مكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، وذلك في شتاء ١٩٨١ ، وكنت حينها أنتظر مناقشة رسالتي للدكتوراه عن «الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي» ، ولم يقدر لي أن أفيد منها لرسالتي .. لعلمي بها بعد الطبع .. حتى كان عام ١٩٨٤ حيث طبعت الرسالة في مؤسسة الرسالة ــ بيروت .. ثم علمت أن طبعه ثانية صدرت في عام ١٩٨٨ .

ولكي نطلع ــ عن كثب ــ على طبيعة الدراسة في الكتاب ، نقف على منهج الباحث ، حيث جعله في مقدمة وخاتمة ، وأربعة أبواب ، تضمنت خمسة عشر فصلاً على النحو الآتي :

الباب الأول : التأثيرات المشرقية في الأدب والنقد ، وهو في فصلين :

أحدهما : الذوق الأدبي ، والآخر : نشاط النقد وعوامل تطوره .

الباب الثاني : الاتجاهات النقدية ، واشتمل على ستة فصول هي : الأول : نقد لغة الشعر وتحقيق النصوص ، الثاني : تحليل النصوص ونقد المعاني ، الثالث : الموازنة الأدبية ، الرابع : النقد المنهجي ، الخامس : النقد الخلقي ، السادس : التفسير النفسي للعمل الأدبي ونقده .

الباب الثالث : القضايا النقدية ، وهو في أربعة فصول هي : الأول : القديم والحديث ، الثاني : الأخذ الأدبي ، الثالث : الطبع والصنعة ، الرابع : الانتخاب الأدبي .

الباب الرابع : النقد بين النظرية والتطبيق ، وجاء في ثلاثة فصول : الأول : النظرية وخصائص التطبيق ، الثاني : الأصالة والتقليد في النقد ، الثالث : أثر حركة نقد الأندلس في القرن الخامس في المعاصرين لها والمتأخرين عنها .

وفي **الخاتمة** ، ذكر سبب سلوكه هذا المنهج في البحث قائلاً :

«رسمت في الصفحات السابقة ، من هذا المبحث ، صورة النقد في القرن الخامس الهجري في الأندلس ، أحسب أنها متكاملة ، تدرجت فيها من دراسة المؤثرات العامة التي حددت اتجاهاته ، إلى تحليل أبرز قضاياه ، ثم إلى تأصيل أفكاره ، وانعكاس ذلك في آثار المعاصرين له من النقاد والمتأخرين عنه»[٨] .

وإذا كنا نأخذ على الباحث الكريم مأخذاً ، فذلك لعدم تحقيقه عنصر الانسجام في عنوانات فصوله ، لاسيما الباب الثاني ، إذ كان بوسعه أن يجعل عنوانات الفصول : «١ ، ٢ ، ٣ ، ٦» متسقة مع عنواني الفصلين : «٤ ، ٥ ،» فتكون الفصول كالآتي :

١ ــ النقد اللغوي ٢ ــ النقد التحليلي ٣ ــ النقد الموازن ٦ ــ النقد النفسي .

وكذا يمكن أن يقال في الفصل الثالث من الباب الرابع فيطلق عليه : «أبعاد الحركة النقدية» بدلاً من العنوان الطويل .

وتكمن أهمية الكتاب ، والقضايا النقدية الجامعة فيه فيما يأتي :

أولاً : أن المؤلف استطاع في أبواب رسالته أن يعرض لمجمل تيارات النقد في الأندلس إن لم نقل جميعها ، دون أن يغفل قضية أو ظاهرة نقدية ، يمكن أن يكون أمرها مخلاً بمنهج البحث .. بل جاءت مباحثه شاملة متكاملة على نحو من التسلسل المنطقي ، يبدأ بالأطر الخارجية العامة ، وينتهي إلى جزئيات الموضوع ، وتفصيلاته .

ثانياً : أن الحقيقة الشاخصة للعيان ، تبدو من خلال الدراسة النقدية في التمازج الثقافي والتلاقح بين الثقافتين المشرقية والأندلسية ، فليس من السهولة بمكان أن يقال في الظاهرة الواحدة هذا مشرقي وهذا أندلسي ، إذ هما نسيج محكم متلاحم الخيوط لا تستطيع تمييز سداه من لحمته ، وأن كثيراً من مظاهر الإبداع الأدبي والفني ، هو ثمرة لثقافة ذات جذور عميقة .

ثالثاً : نشهد للباحث بالدقة العلمية ، وهي صورة لتتبعه ، وتقرّيه للحقائق العلمية بصبر وأناة ، فقد أحسن وأجاد في انتقاء النصوص النقدية في مظانها ، واستوعب في هذه النصوص قديمها وحديثها ، كذلك استطاع أن يلتقط النصوص النقدية في غير مظانها مما ينم عن أناة الباحث في الوقوف على نصوصه النقدية .

وإذا كان تراثنا زاخراً بالكنوز الثمينة ، فإنه ليس من السهولة بمكان أن يصل إليها كل عالم وغائص ، بل إن ذلك لا يواتي إلا نفراً قليلاً ، يبرع في ذلك مرتين ، الأولى : حين يدركها ، والثانية : حين يفك أصدافها ويستخرج لآلئها .

لقد أفاد الباحث من المصادر النقدية المباشرة ، وغير المباشرة ، مطبوعة ومخطوطة ، وجمّع الكتب المفقودة عن طريق النقول التي تناقلتها مصادر المتأخرين ، مثلما حصل مع كتاب ابن شهيد «حانوت عطار» فقد غَفَلت عنه الدراسات المتخصصة السابقة[٩] .

كذلك حصل الأمر بالنسبة لتتبعه لفصولٍ مفقودة من رسائل ابن حزم الأندلسي في فضائل الأندلس ، وجد بعضها مما جاء في جذوة المقتبس .

رابعاً : لقد أضاف المؤلف إلى دقته العلمية في تتبع الحقائق والوصول إليها ، صفة أخرى أساسية ، لا يمكن أن يتجرد عنها من ينهض لمهمة النقد ، قديماً أو حديثاً ، وتلك هي : «الذوق الأدبي» و «الملكة النقدية» في تعامله مع النصوص ، ونقد الشعر وأنماطه ، واستجلاء محاسنه ، والكشف عن معايبه ، والتزامه جانب الحيدة والنصفة في تلك الأحكام .

خامساً : جاءت مصادره ومراجعه متنوعة حتى بلغت مائتين ، منها : اثنان وعشرون مصدراً مخطوطاً، لم يكن قد رأى النور بعد ،

ثم حُقّق بعضه في السنوات الأخيرة ، وعادت الدراسة إلى عشر رسائل جامعية ، وضمت مصادر مثلها من الدوريات ، وتنوعت بقية المصادر والمراجع بين دواوين الشعر وشروحها وكتب البلاغة والنقد الأدبي وكتب التراجم وتاريخ الأدب ، وحين عرض مصادرها جعلها في أربعة أنماط :
أولاً : المصادر المخطوطة ، ثانياً : المصادر المطبوعة ، ثالثاً : المراجع ، رابعاً : الدوريات .

إلا أن ما يلفت النظر حقاً ، الارتباك الذي حصل في تسلسل أسماء المصادر والمراجع ، حيث يلتزم بالتسلسل المعهود في حروف الهجاء في الحرف الثاني ، وذلك لا يعين القارىء على الوصول إلى المعلومات عن الكتاب بسهولة[10] ، فقد تقدم حرف العين على الحاء والميم على الغين كما في الأمثلة : ٣٥ ـ أعلام الكلام ٣٦ ـ الأحكام ٣٧ ـ الأمالي ـ ٣٨ الأغاني .

ويلاحظ أن الارتباك والتداخل ، حصل كذلك حين جاءت المصادر المستهلة بحرف واحد في موضعين متباعدين كما في حرف الباء :
٤٥ ـ البيان والتبيين ٧٥ ـ بغية الملتمس .
أو كما جاء في حرف التاء :
٤٦ ـ التشبيهات ٧٧ ـ تاريخ علماء الأندلس ٧٨ ـ تحرير التحبير .
وكذلك الأمر في حرفي الشين والميم اللذين تداخلا على النحو الآتي :
٥٧ ـ الشعر والشعراء ٧١ ـ المغرب ١٠٨ ـ شذرات الذهب ١٣٠ ـ مطمح الأنفس .
وهكذا يستمر التداخل إلى نهاية الفهرس حيث نجد أمثلة أخرى في مصادره المرقمة (١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٨٥ ، ١٩٤) .

وفي مثل مهمتنا التي تتولى عرض وتقديم كتاب نقدي ، ليس لنا أن نغض الطرف على الهنات والهفوات التي وقعت في الدراسة ـ فضلاً عما تقدم من قول في تسلسل المصادر والمراجع ـ فقد جلينا محاسن الكتاب وأبرزناها ، وآن أن نتوقف عند كبواتها ، ولكل جواد كبوة كما يقال .

١ ـ نوّه الباحث (ص ٨٦) بناقدين كبيرين حملا لواء الخصومة هما ابن شهيد وابن حزم اللذين اتّجها لتكوين مدرسة أدبية أندلسية ذات سمات محدودة ، ولكن حقيقة الأمر أنهما لم يكونا وحيدين في ذلك ، بدليل ما جاء (ص ٨٨) من إشادة بنقاد أندلسيين آخرين هم : أبو محمد بن مالك القرطبي ، وأبو الوليد الحميري وابن بسام .

٢ ـ وقعت للمؤلف بعض الأخطاء في رواية الأبيات كما في بيت لأبي المخشي (ص ٨٣) هما

هما مهدا لي العَيش حتى كأني خفية رف بين قادمتي نسر

والصواب «حتى كأنني»
وكما في بيت منذر بن سعيد البلوطي الذي جاء في آخر خطبته المشهورة (ص ٨٦)

لو كنت فيهم غريباً كنت مطَّرفاً لكنني منهم فاغتالني النكد

والصواب «لكنني منهم» ولعلها هفوة طباعية .

وحصل الخطأ بشكل آخر في رواية البيت الأخير من أبيات ابن حزم الأندلسي حيث جاء كالآتي (ص ٨٨)

فيا جوهرة الصين سحقاً فقد غنيت بياقوتة الأندلس

والبيت من «المتقارب» والصواب فيه[11]

فيا جوهر الصين سحقاً فقد غَنيت بياقوتة الأندلس

وفي الصفحة ذاتها تحرَّف لقب أبي الوليد الحميري صاحب البديع في وصف الربيع إلى «الميري» . ومثل هذا التصحيف حصل في (ص ٣٠٦) في «ابن الحناط» فحوَّله الى «ابن الخَياط» .

كذلك استخدامه اسم الشرط «كلما» (ص ٣٦١) مكرراً كما في قوله «كلما كان موضوع التجربة .. كلما كان الإحسان» والصواب حذف الثاني منهما .

٣ ـ كذلك يلاحظ استخدامه (ص ٨٥ ومواضع أخرى) لكلمة «فترة» وجمعها «فترات» بمعنى العهود والحقب والأزمنة ، خلافاً للمعنى اللغوي الدقيق في دلالة الكلمة على عصور التخلف فقط ، وهو خطأ استشرى في الكتب والمؤلفات .

٤ ـ ومن الهنات في الكتاب اعتماده على المصادر والنقل منها بالواسطة كما هو الحال في (ص ٨٤) إذ يحيل في هامش رقم (٤) إلى كتاب الأدب الأندلسي لأحمد هيكل ص ١٧٩ ، وكان الأجدى الرجوع إلى المصادر الأصيلة وهي المطرب ١٤٧ ، نفح الطيب ٢٦٠/٢ .

٥ ـ ويؤخذ على المؤلف الفاضل رجوعه إلى الطبعات القديمة غير المحققة ، فقد عاد إلى نفح الطيب بطبعته سنة ١٩٤٩ م ، وعدل عن الرجوع إلى طبعته النفيسة بتحقيق إحسان عباس سنة ١٩٦٨ .

وبعد وقفتنا المتقدمة آنفاً .. لنا أن نتساءل : ما قيمة النقد الأندلسي على النقد في سائر الأقاليم في المشرق الإسلامي ، وما ميزته ؟

لقد وقفَنا المؤلف على الجواب مركزاً واضحاً في آخر فقرة من فقرات خاتمته قال فيها :

«تميزت هذه الحركة بالطّرافة والأصالة ، في كثير من أفكارها ،

واتجاهاتها ، واتسمت بمغايرة واضحة ، في نزوعها نحو التطبيق النقدي ، في هدي من التذوق الفني السليم ، كما عرفه أئمة النقاد المشارقة في القرن الرابع وما قبله ، في حين غلب التأليف البلاغي والتجميع النقدي لآراء السابقين ، على كثير من نقاد الأقاليم الأخرى»(١٢).

لقد سعى المؤلف في بحثه ، فأحسن السعي ، وخاض في معضلات النقد العويصة ، فأجاد الخوض .. وأجمل وأقسط في تعرضه لاتجاهات النقد .

الهوامش

(١) دار الثقافة ــ بيروت ١٩٧٨ .
(٢) دار الأنوار ــ بيروت ١٩٦٨ .
(٣) مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ١٩٧٣ .
(٤) وزارة الإعلام ــ بغداد ١٩٨١ .
(٥) الأول مطبوع في الدار المصرية للتأليف ، سلسلة أعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٥ ، الثاني ، رسالة ماجستير ــ جامعة بغداد ١٩٦٨
(٦) وزارة الإعلام ــ بغداد ١٩٨٤ .
(٧) رسالة ماجستير ــ جامعة بغداد ١٩٧٥ .
(٨) تيارت النقد ٦٧٩ .
(٩) ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه ، حازم عبد الله ٦٨ .
(١٠) ينظر فهرس المصادر والمراجع ص ٦٨٧ ــ ٧٠٤ والأرقام المقرونة بالمصادر هي لتسلسل الكتاب .
(١١) طوق الحمامة ٩١ .
(١٢) تيارات النقد ص ٦٨٤ .

الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير لجلال الدين السيوطي

أحمد عز الدين ويس

حلب ـ سورية

قلما تجد طالب علم ، أو محققاً ، لم يعتمد أو يشر إلى هذا الكتاب القيم : «الجامع الصغير» ، الذي يمتاز بالغزارة العلمية الحديثية ، وحسن الانتقاء والاختيار ، إضافة إلى سهولة تناوله وترتيبه .

والذي عُرف ، أن هذا المؤَلَّف ، نوع من تطوير الكتابة ، الذي يعنى بترتيب الأحاديث ، وتسهيل البحث فيه ، كُتب له من النجاح والقبول ، ما لم يكتب لمؤلفات العلماء الذين سبقوه في كتابة هذا النوع الذي يعتمد ترتيب الأحاديث وفق الحروف الهجائية ، مع الالتزام باختيار الأحاديث الموجزة ، وإلى ذلك أشار السيوطي بقوله : «هذا كتاب أودعت فيه من الكلم النبوية ألوفاً ، ومن

الحكم المصطفوية صنوفاً ، اقتصرت فيه على الأحاديث الوجيزة ..» ، إلى أن قال : « ... ورتبته على حروف المعجم ، مراعيا أول الحديث فما بعده ...»[١] .

تاريخ تدوين هذه الكتب :

١ ــ من الراجح أن أول من دون الحديث ، من غير عزو ، مقتصراً على الأحاديث الموجزة هو : «محمد بن سلامة القُضاعي ، ت ٤٥٤» ، في كتاب سماه : «الشهاب في الأمثال والحكم والآداب» فيه حوالي مائتين وألف حديث ، في ستة أبواب ، وهي مسرودة من غير ذكر الصحابي ، إلا أنه لم يلتزم الترتيب المعجمي[٢] .

٢ ــ تلاه الحافظ «شيرويه بن شهردار الديلمي ت ٥٠٩ هـ» فألف كتابه : «فردوس الأخبار ، بمأثور الخطاب المخرّج على كتاب الشهاب» أورد فيه نحواً من (عشرة آلاف حديث) قصار ، محذوفة الأسانيد ، رتبها على حروف المعجم[٣].

ولما كان كتابه خالياً من الإسناد ، قلّت فائدته ، مما دفع ابنه الحافظ «شهردار ت ٥٥٨ هـ» لإسناد كتاب والده «الفردوس» فنهض به ، ورفع من شأنه ، غير أن كثرة الموضوعات والضعاف فيه ، قللت من مكانته وقيمته العلمية ، «فالفردوس» مع «مسنده» ، من مظان الحديث الموضوع والضعيف .

و «لمسند الفردوس» اسم آخر غير مشهور هو : «إبانة الشبه في معرفة كيفية الوقوف ، على ما في كتاب الفردوس من علامات الحروف»[٤].

٣ ــ ثم جاء «أبو العباس أحمد بن معد الإقليشي ، ت ٥٥٠ هـ» فألف كتابه : «النجم من كلام سيد العرب والعجم» على الأسلوب نفسه المشار إليه في أول الموضوع ، من التزام الأحاديث الموجزة والقصار ، قام بشرحه «أبو سعيد محمد بن مسعود الكازوروني ت ٧٥٨ هـ»[٥].

٤ ــ تلاه «جمال الدين عبد الله بن علي بن محمد ، المعروف بابن غنايم أو غانم أو غنام ت ٧٤٤ هـ» ، فألف كتابه : «الفائق في اللفظ الرائق» جمع فيه أحاديث من الرقائق على نحو «الشهاب» ، مجردة من الأسانيد ، مرتبة على الحروف[٦].

٥ ــ وممن كتب على هذه الطريقة : «أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشافعي المعروف بابن الجزري ت ٨٣٣ هـ» ، فألف كتاب : «عدة الحصن الحصين من أحاديث سيد المرسلين» مخرجاً أحاديثه ، رامزاً لرواتها بحروف ، لكنه لم يلتزم الترتيب المعجمي فيه ، و «لمحمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ» ، شرح قيم على هذا الكتاب[٧].

٦ ــ ثم جاء الحافظ «جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ» ، فألف كتابه : «الجامع الصغير» رمز فيه للرواة بحروف ، تبع فيها «ابن الجزري» في طريقته ، ورتبه على حروف المعجم ، وجمع فيه من الأحاديث ما لم يجمع في كتاب من الكتب التي أشرنا إليها ، و «جامعه الصغير» هذا ، منتقى من «جامعه الكبير» الذي زادت أحاديثه على «خمسة وأربعين» ألف حديث[٨].

فكان «جامعه الصغير» أشهر الكتب المتقدمة ، وأغناها ، وأجودها ، لولا ثلاثة من وجوه النقص ، رآها بعض الباحثين[٩] فيه وهي :

أ ــ فاته قسم كبير من الأحاديث ، التي تكثر الحاجة إليها ، وهي تندرج فيما التزم به ، وكثير منها في الكتب الستة .

ب ــ لم يكن دقيقاً في ترتيبه ، مع نصه في المقدمة على التزامه بالترتيب المعجمي ، إذ قال : «ورتبته على حروف المعجم ، مراعياً أول الحديث فما بعده»[١٠].

جـ ــ وقع فيه الكثير من الأحاديث الضعيفة ، والمنكرة ، والموضوعة ، لذلك كان لابد من تدارك هذه الثغرات الثلاث ، حتى يستفاد من كتابه بشكل أكبر ، ويوثق بنقله ، وتصحيحه ، أو تضعيفه .

أما الأمر الأول : فقد قام به السيوطي نفسه ، فوضع دليلاً عليه سماه : «الزيادة على الجامع الصغير» ليصبح تعداد أحاديثه (١٤٥٠٠) حديث ، بعد أن كان (١٠٠٣١) حديث ، فسدَّ ثغرة كبيرة في كتابه ، لكنه لم يتح له ــ فيما أرى ــ أن يضمها إليه ، ويضع كل حديث في مكانه المناسب ، لاسيما إذا عرفنا أن «جامعه الصغير» ، كان من أواخر ما ألف ، فقد ذكر رحمه الله : (أنه فرغ منه يوم الإثنين ثامن عشرين ربيع الأول سنة سبع وتسعمائة)[١١]، ثم جمع الزيادة بعد ذلك ، فلم يسعفه الأجل لضمها إليه ، وتنقيحه ، وحذف المنكر والموضوع منه ، كما التزم بذلك رحمه الله ، إذ إن وفاته كانت سنة (٩١١ هـ) ، هذا مع علمنا أن السيوطي ، لم يكن يكتب كتاباً واحداً ، يبالغ في تحريره ، وتهذيبه ، بل كان يكتب عدة مؤلفات معاً ، ويشهد لذلك ، هذا الكم الهائل من المؤلفات التي وصلت إلى (٧٢٥) مؤلف[١٢].

وأما الأمر الثاني : فهو عدم الدقة في ترتيب كتابه ، إذ كثيراً ما يحار الباحث في حديث يتوقع وجوده فيه ، غير أنه لا يجده في حرفه المطلوب ، وإليك المثال التالي :

أ ــ «آخر من يدخل الجنة رجل ...»

ب ــ «آخر قرية من قرى الإسلام ...»

جـ ــ «آخر من يحشر راعيان ...»

د ــ «آخر ما أدرك الناس ...»
هـ ــ «آخر ما تكلم به إبراهيم ...»
و ــ «آخر أربعاء في ...»

وذكر أحاديث «إنّ» المشددة ، قبل «إنْ» المخففة ، ثم ذكر «أنتم» قبل «انبسطوا» .

ومن أمثلة إخلاله في الترتيب ، ما ذكره في باب «كان» الذي يسرد فيه الأحاديث الواردة في الشمائل النبوية الشريفة ، فقد ابتدأ بحديث «٦٤٧٠» «كان أبيض مليحاً» ... وهكذا تسلسل الترتيب بدقة إلى الحديث (٦٤٩٩) «وكان وجهه مثل الشمس ...» ثم بدأ بالإخلال به فقال بعده مباشرة «٦٥٠٠» «وكان أبغض الخُلق إليه الكذب» «٦٥٠١» «وكان أحب الألوان ...» ويستمر الترتيب هكذا إلى فصل : «كان إذا ...»[١٣].

فكان كتابه وهو على هذا الشكل ، مضيعاً لأوقات الباحثين ، حتى قام «يوسف النبهاني ت ١٣٥٠ هـ» ، فضم الزيادة إلى «الجامع الصغير» ، و مزجهما ، بترتيب متقن ، في كتاب سماه : «الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير» .

وبهذا زال ما كان يشكوه العلماء والباحثون ، من العناء في التفتيش عن الحديث ، وتوفرت لهم مادة علمية جديدة ، تكاد تبلغ نصف مادة الأصل .

أما الأمر الثالث : فلقد جاءت نسخ «الجامع الصغير» ، وقد رسم بجانب كل حديث حرف (ص) رمزاً لصحته ، أو (ح) رمزاً لحسنه ، أو (ض) رمزاً لضعفه .

وهذه الإشارات لا عبرة فيها ، ــ وإن اغترّ كثيرون بها ــ كما نص على ذلك «المُناوي ت ١٠٣١ هـ» ، في شرحه القيم المسمى : «فيض القدير بشرح الجامع الصغير» إذ قال : «وأما ما يوجد في بعض النسخ من الرمز إلى الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، بصورة (صاد) ، و (حاء) ، و(ضاد) فلا ينبغي الوثوق به ، لغلبة تحريف النُّساخ ، **على أنه وقع له ذلك في بعض دون بعض**»[١٤].

ولقد تكلم «المناوي» رحمه الله عن جلّ الأحاديث ، مبيِّناً درجتها من الصحة ، أو الضعف ، فوفق في ذلك توفيقاً كبيراً ، وأعطى الكتاب قيمة علمية متميزة ، بعد ما قلّت فائدته ، وضعفت الاستفادة منه ، لكثرة إيراد السيوطي للأحاديث الضعيفة ، بل الموضوعة ، خلاف ما التزم به في مقدمة «جامعه» إذ قال : «وصنته عما تفرّد به وضّاع أو كذاب[١٥]».

قال «المُناوي» معلقاً على هذا القول : «إن ما ذكره من صونه عن ذلك غالبي ، أو ادّعائي ، فكثيراً ما وقع له أنه لم يصرّف إلى النقد والاهتمام ، فسقط فيما التزم الصون عنه في هذا المقام ، كما ستراه موضحا في مواضعه»[١٦].

غير أن كلام «المناوي» على كل «حديث» ، لم يشف غليل بعض المتشددين في نقد «الأحاديث» ودراستها ، وإن قبله جمهور العلماء ، لذا قام أبو الفيض «أحمد بن محمد بن الصديق الغماري ت ١٣٨٠ هـ» فألف كتاباً سماه : «المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير»[١٧]، ذكر فيه الأحاديث الموضوعة ، وما قاربها ، فجاء عمله حسناً مفيداً ، بل مثمراً يانعاً ، لولا بعض الهفوات التي وقع فيها ، إذ تسرع في حكمه بالبطلان على «أحاديث» لا تصل إلى الوضع[١٨]، إضافة إلى تجريح المذاهب الإسلامية المعتبرة ، فأكثر من قوله : «هذا من وضع الحنفية» ، و «هذا من وضع المقلّدة»[١٩]، وجرّح الحافظ المطلع «جلال الدين السيوطي» بعبارات لا تليق ، كما اتهم صاحب «الفيض» «المناوي» اتهامات عجيبة[٢٠]، مما دفع تلميذه «عبد الفتاح أبو غدة» ليقول عنه : « ... وقد أصاب رحمه الله في مواطن كثيرة ، وجلّى فيها خير تجلية ، وتمحّل في مواطن لرأيه وقوله تمحُّلاً ظاهراً ، وتحطط في مواضع منه على الحنفية وغيرهم ، من أصحاب المذاهب الأربعة من غير أدب ولا رعاية ، فالله المرجو أن يغفر لنا وله بمنه وكرمه ...»[٢١].

وقال أيضاً :[٢٢] « ... وقد قسا على الحافظ (السيوطي) في مواطن كثيرة ، قسوةً جامحة لا يليق صدورها من أهل العلم ، كما قسا أيضاً على الشارح (المناوي) رحمه الله تعالى ، قسوةً لا يسلم فيها من المسئولية أمام الله تعالى ...» .

ثم قام أخوه (عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري) فذكر قسماً كبيراً من الأحاديث الصحيحة والحسنة ، أوردها (السيوطي) في «الجامع الصغير» وزاد عليها ، وطبعها في كتاب مستقل ، سماه : «الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين» أفاد فيه وأجاد .

و (للألباني) كتابان خدم فيهما «الجامع الصغير وزيادته» من حيث التصحيح والتضعيف ... الأول : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، والثاني : صحيح الجامع الصغير وزيادته .

وقد صدَّر القسم الأول من الجزء الأول من كتابه : «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» بمقدمة مهمة ، استفدت منها في هذا الموضوع[٢٣].

شروح «الجامع الصغير» وحواشيه :

اعتنى العلماء «بالجامع الصغير» اعتناءً زائداً ، فلا غرابة ــ إذن ــ في كثرة الشروح والحواشي عليه ، منها :

١ ــ شرح تلميذ المؤلف : «شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمي الشافعي ت ٩٦٣ هـ» وسماه : «الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير» ، وصفه (حاجي خليفة) بأنه في مجلدين ، لكنه قد

يترك أحاديث بلا شرح ، لكونها غير محتاجة إليه !«[٢٤].
٢ ـ شرح «الشهاب أبي العباس أحمد بن محمد المتبولي الشافعي ت ١٠٠٣ هـ» ، وسماه : «الاستدراك النضير ...»[٢٥].
٣ ـ شرح «محمد عبد الرؤوف المُناوي ت ١٠٣١ هـ» ، سماه «فيض القدير ...» وهو شرح حافل ، كثير الفوائد ، تلقاه العلماء بالقبول ، ويعتبره كثير من العلماء أفضل الشروح وأعظمها .

ويعلق (حاجي خليفة)[٢٦] على شرح (المناوي) فيقول : «ثم اختصره بعضهم وسماه التيسير أوله : الحمد لله الذي علمنا من تأويل الأحاديث ... الخ» .

بينما يذهب (الغماري) في «كنزه»[٢٧] : إلى أن المناوي له شرحان أحدهما : (التيسير) ، والآخر : (فيض القدير) ، ويضيف : «ثم إن أحسن شروحه ، من حيث الصناعة الحديثية : «التيسير» على أغلاط كثيرة وقعت من صاحبه ، في التصحيح والتحسين ، وفي مناقشة صاحب المتن فيهما ، ولذلك كتب عليه شقيقنا الحافظ (أبو الفيض) حاشيةً سماها : «المداوي لعلل المُناوي» وهي في أربعة مجلدات .

٤ ـ وممن شرحه : «محمد بن محمد عبد الله الأكراوي القلقشندي المعروف بمحمد ـ حجازي الواعظ ـ ت ١٠٣٥» ، وسمى شرحه : «فتح المولى النصير بشرح الجامع الصغير» ، قال عنه (الكتاني)[٢٨] هو في اثنى عشر مجلداً ، في كل مجلد خمسون كراساً .
٥ ـ ثم جاء «علي بن أحمد بن محمد العزَيزي ت ١٠٧٠» فشرح الجامع الصغير ، في كتاب سماه : «السراج المنير بشرح الجامع الصغير» اعتمد فيه على شرح شيخه (حجازي الواعظ) ، وعلى شرح المناوي في الفيض[٢٩].
٦ ـ وذكر (حاجي خليفة) أن «نور الدين على القاري المكي الحنفي ت ١٠١٤ هـ» قام بشرحه أيضاً ، ولم يفصل أيَّ شيء عن شرحه[٣٠].
٧ ـ وقام «محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ت ١١٨٢ هـ» بشرحه في أربعة مجلدات ، وذلك قبل أن يقف على شرح المُناوي .[٣١]
٨ ـ وكتب «محمد بن سالم الحفني ت ١١٨١ هـ» حاشية عليه[٣٢].
٩ ـ كما كتب حاشية عليه أيضاً «أبو العباس أحمد بن عجيبة الحسني ت ١٢٦٦» صاحب شرح «الحكم العطائية» .

مختصرات الجامع الصغير :

اختصر بعض العلماء «الجامع الصغير» ، في محاولة منهم لتقديم هذا الكتاب النفيس بشكل أيسر ، وهم :
١ ـ (محمد بن عبد الله الجرداني ت ١٣٣١ هـ) ، وهو فقيه شافعي ، ومختصره نحو سبعمائة حديث ، قام هو بشرحه في كتاب سماه : «مصباح الظلام في حديث خير الأنام»[٣٤].
٢ ـ (يوسف النبهاني ت ١٣٥٠ هـ) ، جرد أحاديث (الترغيب والترهيب) المعزوة للصحيحين، وسمى كتابه : «إتحاف المسلم بأحاديث الترغيب والترهيب من البخاري ومسلم»[٣٥].

هذا ما ذكره الغماري في مقدمة كتابه «الكنز الثمين»[٣٦] ، غير أني لدى مراجعة ما كتبه (النبهاني) في مقدمة كتابه المذكور آنفاً ، وجدته يذكر أنه مختصره من (الترغيب والترهيب للمنذري) إذ قال في المقدمة : «أما بعد : فهذه ألف حديث تقريباً من رواية البخاري ومسلم أو أحدهما ، أخذتها من كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ الكبير «زكي الدين عبد العظيم المنذري» وهي جميع ما اشتمل عليه من روايتهما ، أو رواية أحدهما»[٣٧].

٣ ـ «محمد حبيب الله الشنقيطي ت ١٣٦٣ هـ» جرد أحاديث الصحيحين ، التي رمز إليها بحرف «ق» إشارة إلى أنها متفق عليها ، وسمى كتابه : «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم» فإن صح ما ذكره الغماري من أنه لم يعتمد إلا على الرمز «ق» الموجود في «الجامع الصغير» ، فلابد من وقوعه في أوهام ، لعدم صحة هذه الرموز كما قدمنا ، وله على كتابه المذكور، شرح متوسط .
٤ ـ «عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني» في كتاب سماه : «الكنز الثمين من أحاديث خير المرسلين» صدره بمقدمة نفيسة جداً ، ضمنه (٤٦٢٦) حديث ، وله عليه شرح سماه : «الفتح المبين شرح الكنز الثمين» .

وختاماً : جزى الله كل من خدم السنة المطهرة خيراً ، وأثابه على عمله ، والحمد لله رب العالمين .

الهوامش

١ ـ «الجامع الصغير» «للجلال السيوطي» ص «٣» الجزء «١» طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد، تصوير مكتبة الحلبوني ، دمشق ، د . ت .
٢ ـ ولما كان كتابه خالياً من الإسناد ، والتخريج ، انعدمت أو كادت تنعدم فائدته ، فقام مؤلفه بإسناده في كتاب سماه : «مسند الشهاب» حققه «حمدي عبد الحميد»

ونشرته مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤٠٥ هـ .

وذكر «الغماري» في كتابه «الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين» ص/ي : أن الشهاب مطبوع بفاس .

٣ ــ طبع «الفردوس» في بيروت ، عن دار الكتاب العربي ، بتحقيق فؤاد أحمد الزمرلي ، ومحمد المعتصم بالله البغدادي ، في خمسة مجلدات .

٤ ــ انظر «فيض القدير» ج (١)ص ٢٨ للمناوي ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٨ م ، عن المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٥ ــ انظر «كشف الظنون» لحاجي خليفة ١٩٣٠/٢ ، تصوير دار الفكر ، بيروت . وأشار الغماري في مقدمة كتابه «الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين» الصادر عن مؤسسة عالم الكتب ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ إلى أن الكتاب مطبوع في مصر .

٦ ــ وإليه أشار (السيوطي) في مقدمة كتابه «الجامع الصغير» إذ قال : « ... ففاق بذلك الكتب المؤلفة في هذا النوع ، كالفائق والشهاب ...» من طبعة محيي الدين عبد الحميد ، وانظر المناوي في «الفيض» ٢٢/١ ،و «كشف الظنون» .

٧ ــ طبع شرح الشوكاني الموسوم «بتحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين» في بيروت نشرته دار القلم عام ١٩٨٤ م لأول مرة .

٨ ــ رتب «علي بن حسام الدين الهندي ت ٩٧٧ هـ» كتاب السيوطي «الجامع الكبير» على الأبواب وطبع في حلب ، بعناية بعض العلماء ، ونشرته دار التراث الإسلامي وللمتقي الهندي (علي بن حسام الدين) كتاب آخر «منهاج العمال في سنن الأقوال» رتب فيه «الجامع الصغير وزيادته على الأبواب» ثم رتب الكتاب على الحروف «كجامع الأصول لابن الأثير الجزري ت ٦٠٦ هـ» ، كما في «كشف الظنون» لحاجي خليفة ٥٦١/١ .

٩ ــ انظر «فيض القدير» ٢٣/١ ، والجزء الأول من «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» للألباني ص ٤ نشر المكتب الإسلامي ١٩٦٩ م .

١٠ ــ انظر «الجامع الصغير» ٣/١

١١ ــ انظر «الجامع الصغير» ٦٥٨/٢

١٢ ــ انظر «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» للألباني ص ٤ .

١٤ ــ «فيض القدير ، ج ١ ص ٢١ ومن الملاحظ أن المناوي ، كثيراً ما يذكر في شرحه أن السيوطي رمز بصورة «ح» مثلاً ، مع أن النسخ المطبوعة بين أيدينا ، تخالف ما ذكره المناوي فنجد عوضاً عن رمز «ح» الذي نبه إليه المناوي «ض» أو «ص» .

١٥ ــ «الجامع الصغير» ٣/١ .

١٦ ــ «فيض القدير» ٢١/١ .

١٧ ــ نشرته دار الرائد العربي ، في بيروت ، سنة ١٩٨٢ م .

١٨ ــ مثل حديث : «ادرؤوا الحدود بالشبهات» ص ١٨ من مغيره ، وقارن بالفيض ٢٢٧/١ .

١٩ ــ «المغير» ص ٦٣ عند كلامه على حديث : «الدم مقدار الدرهم» .

٢٠ ــ «المغير» ص ٢٨/١٧ عند كلامه على حديث : «استفرهوا ضحاياكم» .

٢١ ــ «التعليقات الحافلة على الأجوبة الفاضلة» للكنوي ص ١٢٨ نشر مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب ١٩٦٤ م .

٢٢ ــ «التعليقات الحافلة» ص ١٣٠ .

٢٣ ــ صدرا عن المكتب الإسلامي ــ (بيروت ــ دمشق) أجزاءً متفرقة .

٢٤ ــ «كشف الظنون ٥٦٠/١ ، وطبع الجزء الأول من «الكوكب المنير ، في القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ في المطبعة (الجمالية) في حوالي (٤٠٧) صفحات .

٢٥ ــ «كشف الظنون» ٥٦٠/١ .

٢٦ ــ «كشف الظنون» ٥٦١/١ .

٢٧ ــ «الكنز الثمين» ص م .

٢٨ ــ «فهرس الفهارس» لعبد الحي الكتاني جـ ٢ ص ١٢٧ طبع دار الغرب الإسلامي في بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ، وانظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج ٤ ص ١٧٦ تصوير دار صادر عن المطبعة الوهبية في مصر سنة /١٢٨٤هـ . قال عنه المحبي : هو شرح جامع مفيد .

٢٩ ــ صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٣٠٤ هـ ، عن المطبعة العامرة الشرفية ، في ثلاث مجلدات ، مهمشاً بحاشية الحفني على الجامع الصغير .

٣٠ ــ «كشف الظنون» ٥٦١/١ .

٣١ ــ ذكر ذلك محققا كتاب «إجابة السائل شرح بغية الآمل للصغاني» : حسين بن أحمد السياغي ، وحسن محمد مقبولي الأهدل الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م ، نشر مكتبة الجيل الجديد في صنعاء ، ومؤسسة الرسالة في بيروت .

٣٢ ــ طبع عام ١٣٠٤ هـ . بهامش شرح العزيزي كما تقدم .

٣٣ ــ حاشيته مخطوطة ، كما في «الكنز الثمين» ص/م .

٣٤ ــ طبع في المطبعة الرحمانية في مصر ــ «الطبعة الرابعة» ــ ١٣٤٧ هـ . قام بنشره سيد موسى شريف .

٣٥ ــ طبع لأول مرة عام ١٩٥١ م في مصر عن مكتبة ومطبعة البابي الحلبي .

٣٦ ــ الكنز الثمين ص/م .

٣٧ ــ إتحاف المسلم ص ٢ .

دفع مضار الأبدان بأرض مصر

لابن رضوان

أحمد محمود بدر

Medieval Islamic Medicine : Ibn Ridwan's Treatise on the Prevention of Bodily Ills in Egypt; Michael W. Dols.— California : University of California Press, Berkley, 1984, P. 249.

يتناول هذا الكتاب المقالة التي كتبها الطبيب المصري أبو الحسن علي بن رضوان بعنوان «دفع مضار الأبدان بأرض مصر» . ويتكون من قسمين : القسم العربي ويقع في ٦٣ صفحة ، وهو عبارة عن نص كتاب ابن رضوان . لم يضف محقق النص العربي شيئاً سوى ملاحظات وردت في نهاية النص ، وهي تتعلق بمدى التطابق والاختلاف بين نسخ الكتاب .

ويعتقد أن هناك سبع نسخ باقية من كتاب علي بن رضوان ، ثلاثة منها في دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ونسخة رابعة في مكتبة الفاتيكان ، وخامسة في مكتبة الكلية الملكية للأطباء في لندن ، وسادسة في مكتبة «شستر بيتي» في بريطانيا ، وسابعة في مكتبة المتحف العراقي . وترجع النسخة المدرجة في الكتاب موضوع المراجعة إلى إحدى نسخ دار الكتب المصرية في القاهرة .

أما القسم الانجليزي من الكتاب فيقع في ١٨٦ صفحة ويتكون من جزأين : الجزء الأول مقدمة للترجمة ، ويتناول فيه المترجم الطب الإسلامي في العصور الوسطى وتأثره بالطب اليوناني ، وكذلك ترجمة لحياة مؤلف الكتاب علي بن رضوان والطبيب التونسي ابن الجزار .

ولد الطبيب علي بن رضوان في الجيزة بمصر حوالي عام ٣٨٨ هـ . (٩٩٨ م) . ونشأ واشتهر في عهد الدولة الفاطمية . كان من أسرة متواضعة ، فأبوه كان فراناً فقيراً . وتدل معلوماتنا عن حياته أن الفرصة لتلقي التعليم في العصر الإسلامي كانت متاحة حتى للفقراء من الناس . ومن جهة أخرى فإنها تدل على طموح علي بن رضوان واستعداده لتحمل الصعاب في سبيل تحقيق أهدافه . وتفيدنا المراجع أن ابن رضوان بدأ في تعلم الطب والفلسفة وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وأنه كان يعمل في رصد النجوم والتطبيب وإعطاء الدروس أثناء تلقيه العلم ، وذلك لحاجته للمال . وما إن بلغ الثانية والثلاثين حتى اشتهر صيته كطبيب ، حتى إن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عيَّنه رئيساً للأطباء .

ويذكر ابن رضوان في حديثه عن حياته أنه لم يعتمد على معلم في تعليمه ، وأنه استقى علمه ومعرفته من الكتب . وهو بذلك من أصحاب الرأي القائل إن تحصيل العلم من الكتب أفضل من تحصيله من المعلمين . ومن أسلوبه وفلسفته في الحياة التي يحرص على اتباعها ممارسة الرياضة البدنية ، والتوسط والاعتدال في العمل ، والإنفاق ، والتواضع ، والمدارة ، وغياث الملهوف ، وإسعاف المحتاج ، والمساعدة في أعمال البيت .

وتزيد الكتب التي ألفها ابن رضوان على (١٠٠) كتاب أغلبها في الطب ، وبعضها في المنطق والفلسفة والفلك والعقيدة . وأغلب أعماله الطبية هي شروح وتعليقات على مؤلفات مشاهير الأطباء اليونانيين وخاصة جالينوس وأبقراط . ويظهر تأثير جالينوس على ابن رضوان واضحاً في كتاباته . ومن كتبه الطبية فضلاً عن مقاله موضوع الكتاب : «كتاب الأصول في الطب» و «كتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب» و «كتاب شرح الصناعة الصغرى لجالينوس» .

وقد كتب ابن رضوان مقالته عن «دفع مضار الأبدان بأرض مصر» رداً على الطبيب التونسي ابن الجزار ودحضاً لآرائه . ذلك أن الطبيب التونسي أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار ألف كتاباً بعنوان «كتاب في نعت الأسباب المولّدة للوباء» تعرض فيه للأوبئة وأسباب حدوثها وطرق منعها ومعالجتها . ومما ذكره في كتابه أيضاً أن مناخ مصر وهواءها غير صحي مما يسبب حدوث الأوبئة وانتشارها .

ويفنّد ابن رضوان في كتابه آراء ابن الجزار عن أمور الصحة

والمرض في مصر ، ذاكراً أنها آراء صادرة من شخص لم يعاين أرض مصر معاينة اختبار ومشاهدة . ويشتمل كتابه أيضاً على وصف طبوغرافي لمصر ومدينة القاهرة بالذات . ويتناول فيه الحديث بالتفصيل عن مناخ مصر بما في ذلك الحرارة والهواء والرطوبة وعلاقة ذلك بانتشار الأوبئة والأمراض ، كما يشير إلى إجراءات الوقاية والنظم الصحية لسكان مصر .

ويمكن تلخيص رأي ابن رضوان عن الصحة والمرض في مصر كما وردت في كتابه في أنه بالرغم من الصعوبات والأوضاع غير الصحية نسبياً في مصر التي قد تؤدي إلى إضعاف الصحة ونشر الأمراض ، إلا أن أمراض مصر أقل خطورة وأسهل علاجاً مما هو الحال في الأقطار الأخرى . كذلك فإن الإقامة في مصر والحياة فيها مرغوبة لأنها بلد مسالم متحضر ، وأهلها أفضل أخلاقاً وأجود طريقة .

ويمكن اعتبار كتاب ابن رضوان من أبحاث الطب الوقائي ، حيث يركز فيه على العناية بالصحة باتباع الحمية والإجراءات الوقائية باعتبارها أفضل طرق حفظ الصحة وتجنب المرض .

وقد اختلفت الآراء في ابن رضوان ، فمنهم من مدحه مشيراً إلى سعة علمه واطلاعه ، ومنهم من وصفه بالتقليد وضيق الأفق وحتى بالسفاهة . وقد عرف ابن رضوان بسلاطة لسانه وحدّة نقده وتوبيخه لمشاهير الأطباء السابقين له والمعاصرين من أمثال حنين بن إسحق والرازي وابن الجزار وابن بطلان . ومما لا شك فيه أن ابن رضوان كان ملماً إلماماً واسعاً بمؤلفات السابقين له من الأطباء المسلمين واليونانيين .

وخلاصة القول أن تحقيق ونشر وترجمة كتاب علي بن رضوان يعتبر مساهمة جيدة في التعريف بأثر مهم من آثار التراث الإسلامي . ويستحق المترجم الثناء والتقدير على الترجمة الجيدة التي قام بها ، وخاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن الكتاب لم يسبق ترجمته من قبل إلى الإنجليزية ما عدا الفصل السادس الذي ترجمه المستشرق ماكس مايرهوف . والأمر المخيب للباحث هنا هو أن النص العربي لا يشتمل على أي تقديم أو تعليق أو شرح ، وكان من الأجدى كتابة مقدمة فيها ترجمة لابن رضوان والفترة التاريخية التي عاش فيها .

ويبالغ المترجم — عند حديثه عن الطب الإسلامي في المقدمة — في تقديره لمدى تأثر الطب الإسلامي بالطب اليوناني . حقاً لقد استفاد المسلمون من الأعمال الطبية للحضارات السابقة لهم وخاصة الأعمال اليونانية ، إلا أن مما لا شك فيه أنهم أضافوا أفكارهم ونظرياتهم وتطبيقاتهم . ولم يكتف المسلمون بالمعرفة الطبية النظرية ، بل أظهروا سبقاً وتفوقاً في الطب التطبيقي . كذلك يشير المترجم إلى العديد من المصادر والمراجع في هامش الكتاب . ولا يسع القارىء إلا أن يدرك بأن الكثير من هذه المصادر تحتوي على معلومات أو ادعاءات لا يتطلبها سياق الحديث ، كما يصعب إثباتها مثل ما ذكره المترجم نقلاً عن مؤلف آخر في الإشارة رقم ٢٧٧ في صفحة ٥٧ .

دليل الناشرين السعوديين

سعد عبد الله الضبيعان
أستاذ مساعد في
قسم المكتبات والمعلومات
جامعة الملك سعود

وزارة الإعلام/دليل الناشرين السعوديين .ــ الرياض : الوزارة ، الإعلام الداخلي ، إدارة النشر ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م ، ١٤٠ ص .

على الرغم من أن القطاع الخاص يمثل جزءاً يسيراً من الناتج القومي في بعض الدول ، إلا أنه — مع ذلك — من أهم القطاعات ، وذلك بسبب الأهمية القصوى لهذا القطاع في تطور الأمم . إن عدم وجود صناعة وطنية للنشر في أي بلد من البلدان يعني ببساطة اعتماد ذلك البلد ثقافياً على العالم الخارجي . ويؤدي النشر في الدول النامية على وجه الخصوص دوراً مهماً لا يقل عن

ذلك الذي تقوم به المؤسسات التعليمية ، ودوراً مشابهاً لدور وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة ، بل إن الكتاب أشد عمقاً وأقوى تأثيراً من الوسائل الأخرى .

إن وجود صناعة نشر كتاب قوية أصبح في الوقت الحاضر أحد الأهداف الرئيسية لكثير من دول العالم المتطور والنامي على حد سواء . بل إن امتلاك مثل هذه الصناعة المهمة أصبح مطلباً قومياً يسعى إليه الكثير من علماء هذه الأمم ومفكريها وكتابها ، مما حدا بواضعي استراتيجيات التنمية في البلدان النامية على وجه الخصوص أن يولوا قطاع نشر الكتاب ما يستحقه من أهمية(١)

والنشر ــ كما يعرفه جرانيس ــ عبارة عن عدة حلقات متواصلة من الفعاليات التي لا يمكن أن تسمَّى إحداها منفردة بالنشر ، ولكن يمكن ذلك عندما يتم تحويل المخطوطة أو المسودة إلى كتاب ، بهذا فقط تكون عملية النشر قد اكتملت . أما القيام بخدمات التصميم ، أو التحرير ، أو الطباعة وما شابه ، فهذا لا يسمى نشراً ، ولكن القيام بكل ذلك وبشكل تكاملي ، سواء أقام بهذا العمل شخص أو عدة أشخاص هو الذي يسمى نشراً(٢). أي أن النشر عبارة عن عمل فكري تجاري يشترك فيه أربعة أطراف : المؤلف ، والناشر ، والطابع ، والبائع . والناشر هو القاسم المشترك الذي يجمع الأطراف الثلاثة ويقوم بعمليّة التمويل والدفع لتلك الأطراف .

ولقد خطا قطاع النشر في المملكة خطوات واسعة ، وتعدد الناشرون في مختلف مدن المملكة ، حتى وصل عدد دور النشر المرخصة في البلاد إلى ١١٦ داراً .(٣)

ولست في هذه المقالة بصدد الكتابة عن تلك الدور ــ فهذا موضوع شيق آمل الرجوع إليه في وقت آخر ــ ولكن الموضوع الآن هو دليل الناشرين السعوديين الذي أصدرته إدارة النشر بإدارة المطبوعات في وزارة الإعلام في عام ١٤٠٩ هـ . لقد سعدت كثيراً عندما دخل مكتبي أحد الطلبة في قسم علوم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك سعود وأعطاني نسخة من هذا الدليل ، ولعل سعادتي ناتجة عن أن هذا الدليل هو أول رصد من نوعه للناشرين السعوديين الذين بلغ عددهم حوالي (١١٦) موزعاً على (١١) مدينة في المملكة . تقع أغلبية هؤلاء في العاصمة الرياض التي تضم (٧٠) ناشراً ، تليها مدينة جدة وبها (٢٠) فالمدينة والخبر (٦) لكل منهما ، ثم مكة المكرمة وبها (٤) ، والدمام (٣) ، وبريدة والطائف (٢) لكل منهما ، ثم تبوك ، وسكاكا وسيهات (١) لكل مدينة من المدن الثلاث .

ولقد استُهل الدليل بمقدمة مختصرة جيدة ، تعرض كاتبها لأهمية النشر بشكل عام ، والإنتاج المحلي في مجال النشر ، كما استعرض الجهود التي بذلها بعض الباحثين في موضوع النشر ماضياً وحاضراً ، منوهاً بأهمية تلك الجهود ، وموضحاً أن مجال النشر المحلي لا يزال بحاجة إلى المزيد من الدراسات . وبشكل عام فإن هذا الدليل جيد وأداة مهمة لا غنى عنها ، إلا أن هناك بعض الملاحظات التي لابد من إبدائها ، والتي أعتقد جازماً أن تلافيها في الطبعات القادمة سيزيد من أهمية الدليل ، وهي كما يلي :

أولاً : بمقارنة هذا الدليل بأدلة مؤسسات ودور النشر الدولية ، ومنها على سبيل المثال Directory of Publishing الذي أصدره الناشر Cassell بالتعاون مع جمعية الناشرين البريطانية The publishers Association الذي يتضمن أسماء الناشرين في كل من بريطانيا ، دول الكومنولث ، وإيرلندا ، وباكستان ، وجنوب افريقيا(٤). ويتضح أن هناك كثيراً من المعلومات غير مضمنة في هذا الدليل ، إما لأنها غير متوفرة أصلاً بالنسبة للناشر السعودي ، مثال ذلك المجموعة الأولى من الرقم الدولي المخصص لكل ناشر على حدة ، وأسماء كبار موظفي دار النشر الذين لهم علاقة بنشر الكتاب وبيعه كالمحررين والمديرين ، ومديري المبيعات ، ورؤساء المخازن وغير ذلك . أو إن تلك المعلومات موجودة ولكنها لسبب أو لآخر لم تضمن في هذا الدليل ، مثال ذلك عدم ذكر اسم صاحب مؤسسة النشر ، والنقص في بعض المعلومات الأساسية من المؤسسة كالعنوان البريدي ، حيث لم يذكر اسم مدينة النشر ، بينما الصحيح أن يذكر رقم صندوق البريد ثم اسم المدينة متبوعاً بالرمز البريدي ، ثم البرقي ، وأرقام الهاتف والتلكس والفاكس . وبالمقابل نجد معلومات مضمنة في الدليل لا ضرورة لها ، مثل نسبة التوزيع داخلياً وعربياً ، وبطبيعة الحال فإنه من الصعوبة بمكان إعطاء نسبة مئوية محددة للتوزيع داخلياً وخارجياً ، كما أنه من المعلوم أن الكتاب السعودي لم يزل أسير المدينة التي ينتج فيها .

ثانياً : أما الملاحظات الأخرى فهي :

١ ــ أعطيت دور النشر المضمنة في جدول (٢) رقماً تسلسلياً طبقاً لترتيبها الهجائي ، إلا أنها لم تعط هذا الرقم في متن الكتاب ، كما لم يوضع رقم الصفحة في جدول (٢) ولو تم هذا لسهل عملية البحث عن ناشر معين في الدليل .

٢ ــ هناك بعض الأخطاء المختلفة في الدليل ، دار المدني في جدة مثلاً تأسست ، وفقاً للدليل في عام ١٣٧٦ هـ وبهذا بدت كما لو كانت أقدم دار نشر سعودية . ولا أعتقد أن هذا صحيح ، إذ لدى الكاتب استبيان دراسة عن بعض دور النشر يوضح أن هذه الدار تأسست في عام ١٣٨٩ هـ وليس عام ١٣٧٦ هـ . وهذا ينطبق على المكتبة العالمية بالخبر ، التي ذكر الدليل أنها تأسست في عام

١٣٧٥ هـ ، بينما استبيان الدراسة المذكورة الخاص بتلك المكتبة يشير إلى أنها أنشئت سنة ١٣٧٧ هـ ، ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن مكتبة المعارف بالرياض التي أنشئت وفقاً للدليل في عام ١٣٨٦ هـ ، بينما يشير استبيان الدراسة المذكورة أنها منحت الترخيص رقم ٥٠٨ ك الصادر في ١٣٩٣/٨/٢١ هـ فأي التواريخ هذه أصح ؟

٣ ـــ أدرج في الدليل اسم الشركة السعودية الوطنية الموحدة للتوزيع ، وهي شركة متخصصة في التوزيع وليس في النشر ، كما أنها لم تنشر طبقاً للدليل عنواناً واحداً .

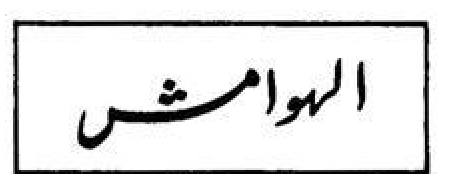
٤ ـــ أورد الدليل أسماء (٢٠) داراً للنشر على الرغم من أنه لم يذكر أي إنتاج لتلك الدور ، مما دل على عدم وضع الإنتاجية للدار كمعيار للتسمية .

٥ ـــ من المعلوم أن الجداول والأشكال التوضيحية الأخرى تغني في كثير من الأحيان عن قراءة الكثير من الصفحات ، إلا أن هذا لا ينطبق على الجدولين رقم (٤) و (٥) اللذين جاءا مبهمين ، وكان في الإمكان جعلهما أكثر وضوحاً .

٦ ـــ يفترض أن دليل الناشرين السعوديين مخصص لمؤسسات النشر الخاصة ، إلا أنه مع ذلك تضمن مؤسسة لها صفة إقليمية أو دولية ، تلك هي الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

وأخيراً ، بالرغم من الملاحظات المشار إليها أعلاه ، فإن هذا الدليل مفيد في موضوعه ، ليس فقط في إعطائه نبذة عن النشر في المملكة ، ولكن أيضاً باعتباره أداة ببليوغرافية تعريفية بالنسبة لمؤسسات النشر الخاصة .

مرة أخرى ، آمل أن يتقبل المسؤولون في الإدارة العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام وخاصة في إدارة النشر هذه الملاحظات المهمة بصدر رحب ، راجياً أن تصدر الطبعة الثانية من هذا الدليل وقد خلا من تلك الملاحظات . والله من وراء القصد .



(1) Smith, Jr. D. **A Guide to Book Publishing.** New York and London, R. R. Bowker Co., 1966. P. 4.

(2) Grannis, C.B. (ed.) **What Happens In Book Publishing,** New York and London, Columbia University Press, 1957, P. 3.

(٣) إدارة النشر ـــ وزارة الإعلام . **دليل الناشرين السعوديين** إعداد إدارة النشر بإدارة المطبوعات ـــ وزارة الإعلام . الرياض . ١٤٠٩ هـ ص ص ١٤ ـــ ٢١ .

(4) Cassel & The Publishers Association. **Directory of Publishing.** London, Cassel Ltd. 1988.

دليل الناشرين السعوديين
إعداد : إدارة النشر
١٩٨٨م / ١٤٠٩هـ

إسم الدار : دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام	Dar Ibn Taymiyah for Pub., Dist. & Information.
ص . ب : ٧٥٥٦	P. O. Box : 7556
الرمز البريدي ١١٤٧٢	Co. 11472
تلفون : (٤٧٦٥٣٠٧/٤٧٦٥٣٧١)	Tel. 4765307/4765371
تلكس : (٤٠١٥٧٦)	Telex. 401576
فاكس : (٤٠٢٢٤٢٨)	Fax. 4022428
برقياً : ( )	Telg.
تاريخ التأسيس : ١٤٠٤/٢/١٨ هـ ١٩٨٣/١١/٢٣م	Date of Establishment : 18-2-1404
عدد عناوين الكتب التي نشرتها الدار (١٥)	Number of the Published Books (15)
نسبة التوزيع داخلياً : ٧٠٪ عربياً ٢٠٪ دولياً ٪	Distribution Local 70% Arabic 20% Inter, %
المركز الرئيسي : الرياض	Main Centre : Riyadh
العنوان كاملاً: المدينة: الرياض الحي: الملز الشارع: شارع الستين بجوار مدرسة الفهد الابتدائية	Full address : Riyadh- Malaz- Al-Sitteen St. Alfahad School
الفروع : مكة المكرمة	Branches : Makkah.
الاختصاص : البحوث والتراث الإسلامي	Special Field : Islamic Res.

قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس في طبعتها الحادية عشرة

عدنان عبدالله جلامنة

مكتبة جامعة اليرموك - إربد

تضم الطبعة الحادية عشرة من قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس الموضوعات التي استحدثها المفهرسون المختصون . وقد ظهرت هذه القائمة خلال شهر آب ١٩٨٧ ؛ بإشراف هيئة العاملين في قسم الفهرسة الموضوعية برئاسة رونالد أ . غورديو وباربارا بارتر .

ويلاحظ أن هذه الطبعة راعت استخدام لغة الكمبيوتر . ونظراً للتوسع المذهل في رؤوس الموضوعات المقننة التي اشتملت عليها الطبعة الحادية عشرة ، فقد ظهرت في ثلاثة أجزاء من القطع الكبير ، تضم ما يقارب ٤١٦٤ صفحة . وتشتمل كل صفحة على ثلاثة أعمدة . وهذا يعني أن القائمة تشتمل على ما يقارب (١٢,٥٠٠) عمود ، يضم كل عمود ما لا يقل عن خمسة وعشرين رأس موضوع .

إن التحليل لمعطيات ملف الإسناد في هذه الطبعة يبين أنها تحتوي على (٩٠٠٠) اسم شخص و (٨٠٠٠) اسم عائلة و (٢٠٠٠) اسم هيئة ، وما يقارب (١٠٠) مؤتمر واجتماع ، وحوالي (٦٠٠) عنوان موحد ، إضافة إلى (١٣١٠٠٠) رأس موضوع و (١٩٠٠٠) موضوع جغرافي و (٩٠٠) إحالة استخدم USE و (٣٢٠٠) إحالة انظر أيضاً (See Also) .

إن إضافة وتعديل رؤوس الموضوعات تجرى بشكل مستمر . ويضاف كل عام ما يقارب (٨٠٠٠) رأس موضوع مع التفريعات الإضافية . وهناك نشرات دورية تصدر لرصد عمليات الإضافة والتعديل . وهناك ما نسبته ٤٠٪ من رؤوس الموضوعات تشتمل على أرقام تصنيفها ، حيث يتم تغطية الموضوع بشكل شامل وعام . يوضح المثال التالي ذلك :

Norwegian language [PD 2571 - 2699]

وعندما يصنف الموضوع في أكثر من مكان في جداول التصنيف تبعاً لعلاقة الموضوع بمظهر موضوعي معين ، فإنه يتم تسجيل جميع أرقام تصنيف الموضوع ، وبإزاء كل منها المظهر الخاص . والمثال التالي يوضح ذلك :

Shellfish

(Zoology : QL401-445)

(Public health : RA602.52)

Shellfish as food : TX387)

(Cookery : TX753)

علاقات المصطلحات بعضها ببعض

تحتوي قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس على إحالات للمصادر المختلفة مبنية وفقاً لفلسفات مختلفة . ومن الجدير ذكره أن الإحالات تتم وفقاً لاهتمامات مستخدمي رؤوس الموضوعات . وقد تمت إعارة هذا الأمر أهمية كبيرة ، وأعيرت مزيداً من التقنين والحداثة . وفي عام ١٩٤٨ استخدمت إحالة انظر أيضاً ، وتم العمل بها اعتباراً من عام ١٩٨٥ م .

أما فيما يخص الإحالات : Sa, X, X X فقد ظهرت في الطبعة الخامسة التي صدرت عام ١٩٤٨ . وتعني إحالة (X) : لا تستخدم هذا الموضوع ، أما إحالة (XX) فتفيد أنه بالإمكان استخدام هذا الموضوع ، بينما تفيد الإشارة Sa ضرورة مراجعة موضوعات ذات صلة وثيقة موضوعياً بهذا الموضوع .

ومع استخدام الأنظمة المحوسبة في مكتبة الكونغرس ، أصبحت هذه الإحالات غير مفيدة ووافية بالغرض . لذا اتجهت الأنظار إلى حلول بديلة تناسب الأنظمة المحوسبة . والمتصفح لهذه الطبعة أيلاحظ استخدام مصطلحات جديدة مثل NT بدلاً من Sa

والمصطلح BT بدلاً من XX والمصطلح UF بدلاً من X ومصطلح USE بدلاً من See و RT للموضوعات التي تظهر ضمن الرمزين XX, Sa .

لقد تم استخدام المصطلح USE ليعني ضرورة استخدام رأس الموضوع الذي يلي هذه الكلمة ، حيث إن الموضوعات التي سبقت كلمة USE غير مستخدمة في مكتبة الكونغرس . مثال :

Motor - Cars

USE Autombiles

Autombiles

UF Motor - Cars.

نستشف من هذا المثال أن Motor - Cars لا يستخدم رأس موضوع في مكتبة الكونغرس ، ويحال منه إلى رأس الموضوع Autombiles ، إن كلمة USE تعني استخدام رأس الموضوع الذي يتبعها ، بينما تعني الإحالة UF أن رأس الموضوع أو رؤوس الموضوعات التي تلي هذا الرمز لا تستخدم في مكتبة الكونغرس . ويوضح المثال التالي ذلك :

Food, Raw

UF Raw Food
Uncooked Food
Unfired Food

Food, Smoked

USE

Cookery (Smoked Foods)
Fish, Smoked
Meat, Smoked

نلاحظ أن المصطلح USE يعني استخدام الصيغة المقننة لرأس الموضوع الذي يرد في صيغ مختلفة . فنحن نلاحظ أن Food, Raw تماثل في المعنى Raw Food ، لكن المفهرسين فضلوا استخدام شكل مقنن يلغي الأشكال غير المقننة . والتكشيف التسلسلي بين رؤوس الموضوعات والإحالات تربط رؤوس الموضوعات بعضها ببعض بإشارات إحالة ، ويسبق المصطلح [Broader Term] من حيث الأهمية والمرتبة كل الموضوعات التي تندرج تحته وفقاً لسياسات حديثة . ويلاحظ أن هناك ترابطاً متبادلاً بين المصطلح BT و NT .. ويوضح المثال التالي ذلك :

Exterior lighting

BT Lighting

Lighting

NT Exterior lighting

العلاقة الترابطية بين رؤوس الموضوعات أو المصطلحات المترابطة (Related Terms) ويستخدم هذا المصطلح للربط بين موضوعين مرتبطين موضوعياً . يوضح المثال التالي ذلك :

Ornithology

RT Birds

Birds

RT Ornithology

والمستعرض لقائمة رؤوس الموضوعات لابد من أن يتعامل مع إحالة See also ، حيث ظهرت في الطبعة الجديدة على شكل SA . ويوضح المثال التالي ذلك :

Dog breeds

SA names of specific breeds

ومن الجدير ذكره أن الإحالات في قوائم رؤوس الموضوعات تحيل المفهرس من رأس محدد إلى مجموعة من الرؤوس تبدأ جميعها بالكلمة نفسها . مثال :

Chemistry

SA headings beginning with
the word chemical.

وقد وردت إحالة انظر في الطبعة الحادية عشرة على شكل USE . والمثال التالي يوضح ذلك :

Access Control

USE subdivision access control

under subject e.g.

Computer science - Access control

أما بالنسبة لمصطلحي Under و Note Under التي ظهرت في القوائم السابقة فلم تظهر في هذه الطبعة .

تجزيء رؤوس الموضوعات Subdivisions

وتستخدم التفريعات بعد رؤوس الموضوعات المعقدة لتساعد في تغطية الموضوع بشكل واضح ودقيق . وهناك مجموعة من التفريعات التي استخدمت في الأدوات المساعدة لقائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس . وتفصل الشرطة الطويلة Dash مابين الرأس والتفريع بدل تكرار الموضوع . مثال :

Massachusetts

— Antiquities

رؤوس الموضوعات الفرعية الشائعة الاستخدام

Free Floating Subdivisions

وتستخدم هذه التفريعات كلما كانت ممكنة ، وتسبقها في العادة شرطة ، وبالإمكان استخدام أكثر من تفريع في رأس الموضوع الواحد . مثال :

العلوم — معاجم — تعلم وتعليم .

وهناك قائمة مرتبة ألفبائياً بهذه التفريعات موجودة في الأدوات المساعدة لاستخدام قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس .

أنواع وفئات تجزيء التفريعات Categories Subdivisions

هناك أربع فئات :

١ . التجزيء بالوجه .
٢ . الشكلية .
٣ . التاريخية : الزمانية .
٤ . الجغرافية : المكانية .

التفريعات الموضوعية Topical Subdivisions

تستخدم هذه التفريعات بعد رؤوس الموضوعات الرئيسية لتحدد وتوضح المفهوم بشكل واضح . مثال :

Corn - Harvesting

Women - Employment.

التفريعات الشكلية Form Subdivisions

وتتكون هذه التفريعات من المصطلحات التالية : المؤتمرات ، المعاجم ، دوريات ، أعمال مسلسلة ... الخ مثال :

United States - History - Periodicals.

وتظهر معظم هذه التفريعات عند إحالة انظر أيضاً تحت الموضوع المطروح . مثال :

Congresses

SA Subdivision Congresses

Under Specific Subjects, e.g.

Engineering - Congresses.

ويمكن استعراض الأدوات المساعدة لقائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس للمزيد من هذه التفريعات الشكلية .

التفريعات التاريخية Chronological Subdivisions

وتستخدم هذه التفريعات لتحديد عنصر التاريخ فيما يتعلق ببعض الموضوعات . مثال :

Jordan - History

Jordan - History - 1956 -

التفريعات الجغرافية تظهر في الطبعة الحادية عشرة على شكل May Subd. Geog. وتظهر هذه الإشارة بعد رأس الموضوع مباشرة وتكون محاطة بهلالين . وإذا لم يكن بالإمكان تقسيم الموضوع جغرافياً فإننا نجد الإشارة التالية (Not Subd. Geog) ومن الجدير ذكره أن التقسيمات الجغرافية قبل الطبعة الحادية عشرة كانت تتم بطريقة مختلفة ، حيث كانت إشارة (Direct) و (Indirect) تستخدم بعد رأس الموضوع . ولو استعرضنا المثال التالي ، لتبيَّن لنا أنه بالإمكان إضافة اسم البلد بعد رأس الموضوع .

Labor Supply (May Subd Geog).

ولو كان بين يدي المصنف كتاب موضوعه عن توفير العمالة في فرنسا فإن رأس موضوع هذا الكتاب يكون على النحو التالي :

Labor Supply - France.

ويلاحظ أن الاستثناء الرئيسي في مداخل أسماء الدول انحصر في أربع دول هي : الولايات المتحدة الأمريكية ، بريطانيا ، كندا ، الاتحاد السوفياتي . ويلاحظ أن هذه الدول لم تعامل بالطريقة نفسها التي أدخلت فيها باقي الوحدات الجغرافية . ويعود هذا التمييز لطبيعة التقسيمات المحلية لهذه الدول المختلفة عن باقي التقسيمات الداخلية لباقي دول العالم ، ذلك أن الولايات المتحدة تتكون من خمسين ولاية ، بينما الاتحاد السوفياتي يتكون من مجموعة من الجمهوريات . أما كندا فتتكون من مجموعة من الأقاليم ، بينما بريطانيا تتكون من مجموعة من الدول المستقلة .

وإذا كان رأس الموضوع يشتمل على التقسيم الجغرافي والتقسيم الموضوعي أو الشكلي معاً ، فإن موقع التقسيم الجغرافي يعتمد على موقعه الموضح بإشارة (May Subd Geog) ويوضح المثال التالي ذلك :

Construction industry (May Subd Geog)

- Finance
- (Law and legislation (May Subd Geog)
- Government policy (May Subd Geog).
- Industrial Capacity.

ولو قمنا باستخدام هذه الموضوعات في إيطاليا ، فإن ترتيب هذه الموضوعات يكون على النحو التالي :

Construction industry - Italy.

Construction industry - Italy - Finance.

Construction industry - Finance - Law and legislation - Italy.

Construction industry - Government plicy - Italy.

Construction industry - Italy - Industrial Capacity.

ولم يطبع في قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس من

التقسيمات الجغرافية سوى عدد قليل . فعلى سبيل المثال نلاحظ أن رأس الموضوع Petroleum Wastes (May Subd Geog) لم يتبعه أي ذكر لدول معينة . ولذا لابد من مراجعة القواعد المحددة للتقسيمات الجغرافية كما هي موضحة في الدليل (Manual) من أجل بناء رأس موضوع بشكل دقيق وصحيح .

إن التقسيمات الجغرافية الموضوعية في قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس تكون مطلوبة ، لأن المصطلح الأضيق يمكن أن يحيل من موضوع ما إلى أسماء جغرافية محددة . فعلى سبيل المثال نجد أن رأس الموضوع Rivers يمكن أن يقسم جغرافياً ، ونجد تحته مجموعة من التقسيمات الجغرافية بشكل مطبوع تشمل أسماء أنهار فردية .

ويلاحظ أن بعض التقسيمات الجغرافية تظهر دونما ذكر لمصطلحات أضيق . والمثال التالي خير دليل على ذلك :

Architecture, Domestic.

التقسيمات الجغرافية وأسماء الأماكن متبوعة بالتقسيمات الموضوعية .

عندما تقترن التقسيمات الجغرافية بالموضوعات تقوم مكتبة الكونغرس بمعالجتها على النحو التالي :

١ . تقسيم الموضوعات باسم المكان . مثال :

Labor Supply - France

٢ . ورود الموضوعات بعد اسم البلد . مثال :

Massachusetts - History.

وبما أنه لا تتوافر قواعد عامة لشرح إمكانية تفضيل أسلوب على الآخر ، فمن الأفضل الاعتماد على التعليمات الواردة تحت رأس الموضوع لتحديد الطريقة الواجب اتباعها . وكما وضحنا سابقاً إذا وردت إشارة (May Subd Geog) فيمكن تقسيم الموضوع باسم المكان . وهناك حالات لابد من اتباع التعليمات الواردة تحتها . والمثال التالي يوضح ذلك :

Story

SA Subdivision history under specific.
Subjects, and under names.
of countries, states, cities, etc.

وبالطبع فإن على المفهرس استشارة الدليل للتحقق من الكيفية .

نماذج رؤوس الموضوعات

لقد وفرت قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس نموذجاً تطبيقياً يحتذى في كل فئة من فئات تقسيم المعرفة . ومن خلال هذه النماذج يستطيع المفهرس أن يطلع على التقسيمات التي ترد تحت أنموذج معين لفئة معينة ، وبالإمكان استخدام هذا النموذج بالطريقة نفسها على باقي نماذج تلك الفئة . فمثلاً في فئة الحيوانات نجد نموذجاً يحتذى طبق على الأسماك ، ويستطيع المفهرس أن يستعرض التفريعات التي تلي رأس الموضوع Fish وبإمكانه إضافتها إلى أي حيوان آخر . وتعود فلسفة استخدام هذه النماذج إلى أمور اقتصادية بحتة ، وذلك لعدم إعادة هذه التفريعات تحت كل موضوع ينضوي تحت تلك الفئة .

وفيما يلي توضيح للنماذج المطبقة على كل فئة :

الفئة	النموذج المحتذى
حيوانات (بشكل عام)	الأسماك
الحيوانات الأليفة	المواشي
المواد الكيماوية	كبريتات النحاس
الأمراض	السرطان
المعاهد التعليمية	
بشكل فردي	جامعة هارفارد
اللغات	اللغة الإنجليزية ، اللغة الفرنسية
المؤلفون	
مؤلف فردي	شكسبير ، وليم
المواد	الإسمنت
الخدمات العسكرية	القوات المسلحة الأمريكية
الأدوات الموسيقية	البيانو
الموسيقيون	واغنر ، ريتشارد
أعضاء الجسم	القلب
الحبوب والمحاصيل	القمح ، الذرة
الكتب المقدسة	الإنجيل ، القرآن الكريم
الرياضة	كرة القدم
الحروب	الحرب العالمية الثانية

ترتيب رؤوس الموضوعات

ترتب رؤوس الموضوعات كلمة فكلمة ، سواء أكانت الكلمة من حرف أو أكثر أومن أرقام أو ترتب المختصرات على النمط التالي :

C - Coefficient
C.F.
C.O.D. Shipments
C & Gaba Indians
Cazcan test
Crystals
CTC System.

أما رؤوس الموضوعات التي تبدأ بأرقام فترتب قبل الحروف الألفبائية على النحو التالي :

٤ ــ ٢

١٠ أوراق

٣٥ ملم

١٩٥٠ م

٦٥٠٢ ..

٨٧٥٠ يوم .

أما فيما يتعلق بالترتيب التاريخي لبعض المناطق فالمثال التالي يوضح الكيفية ، حيث تدل كلمة "To" أو «حتى» على أنها صفر زمنياً :

Great Britian - Histroy - To SS B.C.

Great Britian - Histroy To 449

Great Britain - Histroy - Anglo - Saxon
period, 449 - 1066

Great Britian - Histroy - William I, 1066 - 1087

Great Britian - Histroy - Norman
period, 1066 - 1154.

Great Britian - History - 1066 - 1687.

وهكذا نجد أن التقسيمات التاريخية ترتب حسب التسلسل التاريخي ، بينما ترتب باقي التفريعات حسب الحروف الألفبائية للغة .

التقسيمات

التراجم Biography يستخدم للتراجم الجماعية والفردية على السواء ، ويمكن أن يستخدم تحت أسماء المجموعات العرقية بالإضافة إلى الموضوعات .

Cartoons and Comics تستخدم بعد الموضوعات التي تندرج ضمن تلك الرسوم .

Collections تستخدم للأعمال لأكثر من مؤلف .

Fiction تستخدم تحت الموضوعات الفردية أو الجماعية .

Geography تستخدم بعد أسماء المناطق ، البلدان ، الولايات .

Guides أصبحت تستخدم بدلاً من Guide - books .

Habits and behavior تستخدم بعد أسماء الحيوانات والطيور والزواحف والأسماك .

Illustrations لا تُستخدم ، واستعيض عنها بمصطلح Pictorial works ويستخدم هذا التفريع بعد كل الأعمال التي تتوفر فيها الرسوم .

Wit and humor تستخدم بعد موضوعات محددة .

وفي الختام تستوقفني ملاحظة مهمة ، وهي أن هذا الجهد المبذول في قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس يستحق أن يحرك فينا إجابة على السؤال التالي :

متى سيتمكن المكتبي العربي من اقتناء قائمة رؤوس موضوعات عربية بالحجم والتنظيم والتقنين المعهود في قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونغرس ، وهذا يقودنا إلى ضرورة مناشدة المهتمين والمعنيين للالتفاف معاً لإيجاد هيئة تعنى بإنشاء قائمة رؤوس موضوعات عربية موحدة تكفل التوحيد بين مختلف المكتبات العربية ومراكز البحوث والمعلومات في الوطن العربي . والله نسأل السداد والتوفيق لعلم المكتبات في عالمنا الحبيب .



اللهجات العربية الغربية القديمة

لكايم رابين

مختار سيدي الغوث

رابين ، كايم/اللهجات العربية الغربية القديمة ؛ ترجمة عبد الرحمن أيوب .ــ الكويت : ذات السلاسل ، ؟ ، ٤١٣ ص .

يدرس المؤلف في هذا الكتاب اللهجات العربية الغربية القديمة ، ويعني بها لهجات القبائل التي كانت تسكن في السهول والمناطق الغربية من البحر الأحمر ، من أقصى جنوبه ، حيث طائفة كبيرة من القبائل اليمنية ، إلى أقصى شماله ، حيث قبائل قضاعة ، على مشارف الشام . ويدخل فيها الحجاز وبعض من شمال نجد ، حيث قبيلة طيء .

وهي ــ كما يقول ــ تؤلف كتلة لغوية واحدة تتسم بخصائص لغوية متشابهة ، وتخالف كتلة لغوية أخرى ، سماها اللهجات الشرقية ، تشمل تميماً وربيعة وأسداً وعقيلاً وغنياً وبعض قبائل قيس .

هاتان الكتلتان مختلفتان أشد الاختلاف ، حتى إن الكتلة «الغربية تبدو لعرب نجد وكأنها لغة أجنبية» . (ص ٢٢) .

وكان الغربي يكتسب الفصحى ، كما يكتسب المرء لغة أجنبية . (٤٨) .

والكتاب يقوم على فكرة ملخصها أن العربية الكلاسيكية [لغة الشعر الجاهلي] قامت على أساس واحدة أو أكثر من لهجات نجد ، في صورة من صورها القديمة .

هذه اللهجة أو اللهجات تقع في منطقة وسط بين الشرقية والغربية ، وهي لذلك خليط من خصائص هذه وتلك ، بعض أصواتها غربي وقواعدها شرقية .

كانت هذه المنطقة مسرحاً لمحاولة الارتقاء عن مستوى التنظيم القبلي ، وهي تتمثل في إمبراطورية كِنْدة ، واتحاد قبائل قيس . وفيها نشأ الشعر أيضاً ، وقد اصطنع هذه اللغة الخليط ، التي حافظت من بعد على كيانها بفضل الروابط التي توثقت بين شعراء الجزيرة في بلاط الحيرة وغسان والمراكز الدينية والتجارية .

أما اللهجات الغربية ، فلم تكن لغة أدبية ، لأن أصحابها لم يخلِّفوا لنا آثاراً مكتوبة تدل على تاريخهم ولغتهم وثقافتهم ، أما شعرهم فقد كتبوه بالعربية الجاهلية (لغة الشعر) .

ولما كان القرآن الكريم مكتوباً بلغة تمثل تمثيلاً أميناً ، خصائص النطق الحجازي ، فإن التعويل عليه في دراسة اللهجات الغربية ممكن ، بالإضافة إلى أن القراءات القرآنية ، تظهر فيها خصائص من العامية الحجازية ، في بعض الحالات . أما الجانب النحوي والصرفي ، فسيتبع طريقة أخرى لاكتشافه .

إذ يفترض أن الشاعر الحجازي كانت له لغتان : أصلية هي العامية المحلية ، ولغة أدبية مكتسبة يقرض بها شعره . وبين اللغتين يقع الخلاف ، فتظلان تتنازعان الشاعر تنازعاً تظهر آثاره في شعره ، متمثلة في عدم انسجام العبارة أو تعقيدها . ومن هذين يستطيع أن يكتشف طبيعة اللغة الأصلية من حيث التركيب . وبناءً على هذا الافتراض ، سيكون منهجه تتبع ما يظهر من شذوذ عن الفصحى في النصوص الغربية ، لأن هذا الشذوذ ليس إلا أخطاء وقع فيها الشاعر بتأثير لغته الأصلية . ويشبِّه طريقته بطريقة «اللغوي الذي يحاول أن يكتشف خصائص اللغة الألمانية من الأخطاء التي يقع فيها أنصاف المثقفين من سكان بنسلفانيا المنتسبين إلى أصل هولندي ، حين يتكلمون الإنجليزية» . (المقدمة ، من ٢٢ ــ ٢٧) .

وهو مخلص لفرضيته دقيق في تطبيق النهج الذي رسمه لنفسه .

أما قيمة الكتاب ، فرهينة بصحة الفرضية ، وسلامة أسسها ، وصحة المنهج الذي يتبعه .

وسأعمد إلى دراسة هذه الفرضية وأسسها أولاً ، ثم أعرض من بعد ذلك لمختارات من كتابه ، تكون صورة لتطبيقه النظرية والمنهج ، لتكون هذه المختارات تطبيقاً أيضاً لتقويمي لنظريته ومنهجه .

أول شيء يلحظه القارىء في الكتاب ، جمعه بين لهجات منطقة واسعة ، تكاد تكون شطراً للجزيرة ، أو هي شطرها حقاً ، وبين بعض هذه اللهجات تباينات كثيرة ، كما بين اللهجات الحجازية ــ مثلاً ــ ولهجة حمير ، التي يقول عنها أبو عمرو بن العلاء «ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا» . يجمع بينها مدعياً تقاربها تقارباً يميزها عن اللهجات الشرقية ، ويجعل أوجه الشبه

بينها ، أقوى من أوجه الشبه بينها وبين الشرقية .

ولا جرم أنه اذا استمر مريره على هذه الفكرة ـــ وقد استمر ـــ سيتكلف قدراً كبيراً من التكلف والعنت في سبيل التقريب بين متباعدها .

فإذا كانت هذيل وكنانة الحجازيتان المجاورتان لقريش في مكة تختلف بعض خصائص لهجتهم عن نظيرتها من لهجة قريش ، فكيف يكون حال الحميرية وجاراتها اليمنية مع اللهجات القضاعية ـــ مثلاً ـــ في أقصى شمال الحجاز على مشارف الشام ؟
وقد وصف ابن جني لغة حمير بالمبعثر عن لهجة ابني نزار (مضر وربيعة) .

أما رأيه في نشأة العربية الفصحى ، فيناقض حقائق التاريخ .

مملكة كندة لم تكن محصورة في المنطقة التي وصف ، بل كانت ممتدة في مناطق شاسعة من الجزيرة ، فوصلت حدودها إلى مناطق من شرق الحجاز حيث كنانة وقيس عيلان ، كما وصلت إلى المنطقة التي تسكنها طيء ، وفي الشرق كانت مستولية على قبائل ربيعة كلها ، أما عاصمتها ، فهي الحيرة في العراق .
ويلحظ في تاريخ هذه الدولة شيئان :
١ ـــ أن مركزها كان خارج الجزيرة العربية ، ومن ثم فإنه ليس مركز جذب يتلاقى فيه العرب ، بحكم المركز السياسي .
٢ ـــ أن سلطتها كانت موزعة على أولاد عمرو بن حجر ، وكان كل منهم يقوم مقام شيخ القبيلة في بعض الأحيان ، وينفصل انفصالاً شبه كامل عن مركز الدولة ، ويستبد بمن يتولى عليه من القبائل ، وليس بين أولاد عمر تلاق ولا تنسيق ، بل كانت بينهم حروب دامية ، كانت تتدخل فيها بعض الدول الخارجية ، أشهرها يوم الكلاب . وكان وجودهم بين القبائل رمزياً ، غايته القضاء على النزاعات داخل القبيلة ، وكان بطلب من هذه القبائل نفسها . (أيام العرب في الجاهلية ، ٤٦ ، وتاريخ اليعقوبي ، ١/٢١٦) .
ومن هنا كانت دولة كندة في الحقيقة دويلات ، ليس لها في الجزيرة مركز .

أما في شمال الحجاز وفي تهامة ومكة والمدينة واليمن ، فلم يكن لكندة سلطان ألبتة . هذا إلى أن ملك كندة دخل في المزدكية وحاول إرغام العرب عليها ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى قضى اللخميون عليه وعملوا على تقويض دولته بمساعدة أنو شروان . (اليعقوبي ، ١/٢١٧) .

ومن هذا نستخلص أن كنده لم يكن لها هذا الدور الذي يصف رابين ولادور قريب منه . فقد كانت هي نفسها ممزقة ، والعداء يدب بين أمرائها ، ولم تكن تحظى بالود عند القبائل العربية ، كما أن مركزها كان خارجاً عن الجزيرة العربية ، ولم تدم مدة ولايتها على القبائل إلا قليلاً .

أما قبائل قيس ، فقد كانت موزعة في الجزيرة ، بعضها في نجد وبعض في الحجاز ، وكانت منقسمة أشد الانقسام على نفسها ، وبينها الأيام العظام والذحول الكثيرة ، ذكر كتاب أيام العرب منها أحد عشر يوماً ، أعظمها ، يوم داحس والغبراء الذي يقال إنه استمر أربعين عاماً ، وكان بين بطنين من فرع من فروع قيس ، هما عبس وذبيان ، وهما من غطفان .

وهذه الحروب وتفرق المنازل لا يسمحان بظهور مركز تتلاقى فيه القبائل ، كما يفترض رابين . ولعل رابين بهذه الفرضية لا يريد سوى قلب ما أثبت التاريخ لمكة التي كانت مثابة يقصدها العرب من كل فج من فجاج الجزيرة ، كما يفد إليها المسلمون اليوم من أقطار الأرض . فهو يريد أن يجعل لوسط الجزيرة ما كان لمكة كما يصف التاريخ . وفي الحق أن مكة ومشاعرها والأسواق التي حولها (عكاظ ومجنة وذو المجاز) لا نظير لها في أي بقعة في الجزيرة في تاريخها الجاهلي ، ولا سيما عكاظ التي كانت «بمنزلة مجمع لغوي رسمي ، له محكمون تضرب عليهم القباب» . (أسواق العرب ، ٢٨٥) .
٢٨٥) .
فلم يكن في أسواق العرب سوق تضاهيها .
نعم كان في جزيرة العرب عدد وافر من الأسواق ، ولكنها كانت أسواقاً تجارية بحتة ، وربما كان بعض الأعاجم يشاركون فيها ، لا سيما أسواق البحرين وعمان ، ولم تكن تعقد فيها المنتديات الأدبية ولا المناظرات ، ولم يكن يقصدها إلا أصحاب التجارة لتسويق بضائعهم أو شراء بضائع جديدة ، وكانت عكاظ مع طابعها الاقتصادي الذي يشبه الأسواق كلها ، سوقاً أدبية من نوع آخر ، سوقاً للشعر والخطابة .

فإذا كان للأسواق دور في التلاقي والتأثر والتأثير ، فلن يكون دورها ذا بال ، إذا قيس بما صنعت عكاظ ومكة ، في اللغة والأدب .

وشيء آخر يلحظه الدارس على هذه الأسواق ، هو أنها كانت كلها تقوم على أطراف الجزيرة في البحرين وعمان وحضرموت واليمن وتهامة والحجاز وأطراف الجزيرة الشمالية ، وجنوب الشام .
أما في وسط الجزيرة ، فلا نجد إلا سوقاً واحدة ، هي سوق (حجر) اليمامة ، وهي سوق بعيدة من المنطقة التي يتصور رابين ، لأنها أدنى إلى شرق الجزيرة .

وهذه السوق ـــ بعد ـــ سوق تجارية متوسطة الحال . (أسواق العرب ، ٣٥٨) .

وخلاصة ما قدمنا ، أننا نستطيع الحكم بأن وسط الجزيرة لم يكن منطقة جذب ولا تلاق بين العرب لافتقاره إلى ما يتوفر في أطراف الجزيرة من المراكز السياسية والاقتصادية ، والقرب من الأمم الأجنبية التي كانت تستورد منها البضائع ، كفارس والروم والحبشة . وفي مكة نجد أكثر الدواعي ، فهي مركز تجارة ، وأهلها هم تجار العرب الذين تفرغوا للتجارة حين شغل عنها غيرهم بالغارات والغزو والترحال وراء مساقط الغيث ، أو بالزراعة .

وهي المنتدى الأدبي والثقافي ، ومنتدى التفاخر بالأنساب والأحساب والإدلال بمآثر الآباء . وهي مركز الدين .

ولن أطيل أكثر مما أطلت ؛ فما أقول إلا معاداً ، في حكم البديهة .

إن غاية العلم الوصول إلى الحقيقة وتجليتها ، لا طمسها وإحلال الفروض والاحتمالات محلها . وإذ فضل رابين هذه السبيل على الحقيقة ، فقد نكب عن صراط العلم ، ووضع أساسه على شفا جرف هار ، لا يرفع منه يده حتى ينهار في سواء الخطأ . لقد أغفل الحقيقة ، بل تعمد تجاوزها ، وآثر أن يجعل مركز العرب في هذه المنطقة الوهمية ، وأن يكون موضع تلاقي الشعراء في الحيرة وبلاط آل غسان ، على أن يجعله مكة وسوق عكاظ التي أجمعت عليها كتب التاريخ والأدب العربيين ، واكتفى بالإشارة إليهما إشارة عابرة جداً ، حينما قال إن العلاقات توثقت بين الشعراء في المراكز الدينية والتجارية ، ولم يزد . ولم يقدم دليلاً على أن هذين البلاطين كانا ملتقى للشعراء . ولعله لو قام بدراسة لعدد الشعراء الذين كانوا يفدُون عليهما وعدد المرات التي وفدها كل شاعر ، لحكم بخلاف ما حكم ، ولعلم أن ذينك البلاطين كانا ثانويين جداً ، ولم يكن لهما شأن كبير ، ولا سيما البلاط الغساني ، أما اللخمي فكان أحسن منه حالاً ، ولا سيما في أيام النعمان بن المنذر الذي كان أديباً ، ولكنه كان متأخراً جداً .

أما أن الشعر الجاهلي نشأ في هذه المنطقة ، فيعوزه الدليل التاريخي . إذ لم تنقل إلينا المصادر أين نشأ الشعر أول مرة بالتحديد . ويوحي ما نقل ابن سلام ، بأنه نشأ في شرق الجزيرة ، في قبيلة ربيعة .

قال ابن سلام : «وكان شعراء الجاهلية في ربيعة : أولهم المهلهل والمرقشان وسعد بن مالك وطرفة بن العبد وعمرو بن قميئة والحارث بن حلزة والمتلمس والمسيب بن علس ، ثم تحول الشعر في قيس ... ثم آل إلى تميم ، فلم يزل فيهم حتى اليوم» (١/٣٩) .
ويذكر الرواة أن أول من قال الشعر ابن خذام ، الذي ذكره امرؤ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

وهذا من طيء .

هذا عن الشق الأول من الفرضية .

ولا يقل الشق الثاني عنه في مخالفة الحقيقة . فإن اللغة العربية في الجاهلية لم تكن مستويات متفاوتة ، بحيث يصطنع مستوى منها لمقامات الجد من القول والشعر والأدب ، ويجعل مستوى آخر منها للأحاديث العادية التي ليست بذات بال . أي : لم تكن فيها فصحى وعامية . هذه نظرية ظهرت في هذا العصر ، ولاقت من الدارسين قبولاً وإقبالاً ، ولكن لم يستطع أحد منهم إثباتها . وأقوى ما حشد لها من الأدلة ، قياسها إلى حالة اللغة العربية ، اليوم ، بلهجاتها . وهو قياس مع الفارق . فللعربية اليوم والعربية بعد اختلاط العرب بالأمم الأعجمية في الإسلام ، ظروفها وتاريخها اللذان أنشآ الفروق بين العامية والفصحى ، وللجاهلية ظروفها التي تخصها . أما أدلة فساد هذه النظرية ، فنجملها فيما يلي :

١ ــ أننا نجد في الشعر الجاهلي والإسلامي في زمن الاستشهاد ، شواهد على اختلاف اللهجات وتعددها ، وتأثر كل شاعر بلهجته ، على الرغم مما حاول الناسخون والرواة من توحيد الاختلافات ، وإزالتها .

أما كثرة أوجه الاتفاق بين اللهجات ، حتى لقد يخفى معها الاختلاف ، فأمر طبيعي ؛ لأن الفروق بين اللهجات نفسها كانت قليلة جداً ، وأكثرها صوتي ، كالإمالة والفتح والهمز والتسهيل والإدغام والإظهار ... وجلّها لا يظهر في الكتابة .

٢ ــ أن القرآن الكريم ، وهو أفصح نص في العربية ، لا يمثل لغة نموذجية واحدة ، ولو وجدت لغة نموذجية في الجاهلية تمحى فيها الفروق ، لنزل بها ، ولم نجد هذا الخلاف الكثير في القراءات . ونعلم حرص الرسول ﷺ على التوحيد ، وخوفه من الخلاف ، ولا سيما الخلاف في الدين . وعلة إباحة تعدد القراءات ، التخفيف على العرب من مشقة تكلف لهجة لم يتعودوا عليها ، كما ورد في حديث الأحرف السبعة الصحيح .

ولو كانت لهم لغة مثالية لكان أكثرهم يعرفها ؛ لأنها لغة الشعر الذي كان ديوان علمهم وكتابهم الذي لا يعرفون كتاباً غيره ، ويحرصون على ترويته أولادهم ، ولو نزل القرآن بهذه اللغة ، لم يجدوا في قراءته مشقة ، كما لم يجدوا في قراءة الشعر مشقة .

٣ ــ أن الرواة ــ على كثرة ما نقلوا إلينا من كلامهم ــ لم ينقلوا لنا جملة تخالف الفصحى ، وتمثل هذه اللهجة العامية المفترضة ، ولا يعقل أن يدركوا الخلاف بين اللهجات وينسبوها إلى أهلها ويميزوا بعضها من بعض ، ثم لا يميزوا لغة عامية من لغة فصحى .

وقد نقلوا إلينا كلام الجواري والصبيان والعجائز والشيوخ ، في مناسبات لا تقتضي إلا أقل درجات الكلام وأدناها ، بل لا يتوقع ألبتة في أن تستعمل فيها فصحى ، إن وجدت لغة أدنى منها ، لكن ذلك الذي نقلوا كله لا يخالف الفصحى ، وما نقله أهل اللغة إلا ليحتجوا به عليها .

ــ قال الأصمعي : أخبرني أبو عمرو بن العلاء ، قال : قال لي ذو الرمة : ما رأيت أفصح من أمة بني فلان ! قلت لها : كيف كان مطركم ؟ فقالت : غثنا ما شئنا !

ــ وقال : جاءت جارية من العرب إلى قوم منهم ، فقالت : تقول لكم مولاتي : أعطوني نفْساً أو نفسين أمعس بهما منيئتي ؛ فإني أفِدة .

ــ وقال : سمعت أعرابية تقول لابنتها : همِّي أصابعك في رأسي ؛ أي : حركي أصابعك فيه . (المزهر ، ١/١٣٩) .

ولو قارنا كلام الجارية في المثال الثاني بكلامنا اليوم ، ما وجدنا بينهما فرقاً ، سوى الإعراب ، ووضع كلمة موضع أخرى ، كهذه الجملة مثلاً ؛ يقولها الصبي لأبيه : (تقول لك أمي أعطيها خمس ريال تشتر ملح) .

الإعراب والكلمات ونطق بعض الحروف ، هي الفارق ، أما نظام الجملة فواحد .

فلا غرو أن يكون منشأ هذا الفارق ، بسبب تطور اللغة منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة . وإخال ــ بعد ــ أن قضية وجود عامية وفصحى في الجاهلية ، ليست إلا أسطورة أوجدها عشق الفروض والاحتمالات عند باحثي المستشرقين ؛ لأنهم يكتبون عن تراث غريب عليهم ، يعسر تصوره ، ثم انتقلت إلينا عنهم ، مدعمة ببراهين مليئة بالمغالطات والتفسيرات الخاطئة لبعض الآثار ، التي حرفت عن موضعها .

ولسنا الآن بصدد نقاشها . وأظن أن ما قدمت يكفي في الردّ على هذه الفرضية .

وقد احتج لفرضيته هذه ، بما قال : «وهناك اتفاق بين العلماء الأوروبيين على أن الفصحى كانت ــ إلى حدٍّ ما ــ لغة أجنبية بالنسبة للذين استعملوها في كتابة الشعر ، أو بالنسبة لهم جميعاً ، وكان عليهم أن يكتسبوها بالتعلم» (ص ٤٨) .

وفي ص ٤٩ يقول : إن لغة المحادثة عند البدو تختلف من غير شك عن اللغة الفصيحة ، وإن الذي صرف العلماء العرب عن تدوين المحادثة ، قد يكون انطباعات أذهانهم التي تنصرف إلى البدوي المثالي ، عن البدوي الواقعي .

ولم يجمع علماء أوروبا إلا على ظنون لا تغني من الحق شيئاً ، لا برهان لهم بها .

أما قوله عن الرواة ، فهو للسفسطة أكثر مشاكلة منه للعلم .

فلم يكن الرواة ينظرون إلى الأعرابي هذه النظرة ، بل كانوا ينتقدونه إذا أخطأ ، وينزعون منه الثقة .

وقصة أبي عمرو بن العلاء مع أبي خيرة ، وقوله له : هيهات ! لان لسانك يا أبا خيرة ، وقول الأصمعي ، إن ذا الرمة أكل المالح في الحوانيت حتى بشم ، شهيد على النظرة الواقعية ، وعدم إجلال الأعرابي ذاك الإجلال الذي يصيب الرواة بما يشبه الصَّرَع .

ولو افترضنا ــ جدلاً ــ أن الراوي يغشى عليه حين يسمع كلام الأعرابي ، فإنه على كل حال ، لا يدوّن إلا شيئاً قد سمعه ، ولا يترجم ما يقول الأعرابي إلى الفصحى ، لأن مهمته طلب كلام الأعراب ، لا فكرهم .

والراوي لا يفرض على الأعرابي تغييراً ، ولا يسائله العدول إلى الفصحى ؛ ليرى كيف يتكلمها .

وعلى كل حال ، ما يحدث من شذوٍ ، لا يحدث إلا للراوي ، والأعرابي خارج عنه ، والراوي إنما يكتب ما سمع ، ولسنا نرى فيما كتب شيئاً لا يمثل الفصحى .

بقيت نقطة بسيطة ومهمة ، في أسس رابين ، أريد مناقشتها بسرعة . وهي توزيعه الفصحى بين اللهجات الشرقية والغربية ، حيث جعل بعض أصواتها غربية ، وقواعدها شرقية .

إن الذي يصنع هذا ، امرؤ عرف خصائص اللهجتين ، ثم عرض الفصحى عليهما مقارناً ، فاستبان له انحيازها إلى واحدة منهما ، أو أخذها شيئاً من هذه وبعضاً من تلك . ورابين لا يعرف الشرقية ولا يعرف الغربية ، لأن الرواة والنحويين لم يدونوا إلا هذا الذي يسمونه ويسميه هو فصحى ، وهي كما يقول شرقية .

وقد يصنعه ــ أيضاً ــ من يعول على آراء من شافه أهل هذه اللهجات ، كاللغويين والنحاة ، وهؤلاء لم يميزوا هذا التمييز ولا قسموا الفصحى هذا التقسيم .

وهو نفسه يقول في ص ٤١ : «ويجب أن نتذكر أنه كان من المستحيل في كثير من الأحيان ، أن تمثل الكتابة العربية اللهجات ، كما أنها اليوم لا تستطيع أن تصور الخصائص الصوتية للهجات» .

فكيف يحكم بما حكم به بعد هذا ؟

إنه لم يقدم لنا دليلاً علمياً على هذا التقسيم ، ولا علة لاختيار الفصحى الأصوات الحجازية دون القواعد ، سوى قوله : «وقد تكون الطبيعة الإلقائية والعروضية للشعر من العوامل التي كان لها كذلك أثرها» (ص ٢٥) .

وهذا تعليل غامض ، لا يتضح منه شيء ؛ ذلك بأن جل الخصائص

الصوتية ، لا يؤثر في الوزن ولا القافية ، فالشرقي والغربي ينشدان قول الشاعر :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللّوى بين الدخول فحومل

كل بلهجته ، يميل من يميل ويفتح من يفتح ، فلا تتأثر القافية ولا الوزن .

أما الإلقاء ، فقد روت كتب النحو أن الشرقيين والغربيين كانوا مختلفين فيه ، لكل طريقته الخاصة .

أهل الحجاز يشبعون حركة الروي لتصير مدة طويلة مطلقاً ، هكذا :

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

أما بنو تميم ، إذا ترنموا ، فكذلك يفعلون ، وإذا لم يترنموا ، فبعضهم يجعل مكان المدة نوناً ساكنة ، مهما تكن الكلمة التي منها حرف الروي ، فيقولون :

أقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي إن أصبت لقد أصابن

وبعض آخر يقف على الروي بالسكون ، كأنه ليس في شعر ، فيقول :

أقلي اللوم عاذل والعتابْ وقولي إن أصبت لقد أصابْ

(سيبويه ، ٢٠٤ وما بعدها/٤) .

ولو فرضنا صحة هذا الاحتمال ، لاقتصر اختيار الفصحى على ما تقتضيه القافية والوزن ، من أصوات الحجازيين ، ثم يبرأ النثر كله من هذا الاختيار، حيث لا ضرورة . وربما كان يُلمِح إلى ما جاء في الحديث من أن عثمان رضي الله عنه قال لكتبة المصحف ، اكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم .

فهو يريد أن يقصر معنى الحديث على الجانب الصوتي فقط .

وهذا حصر لا مسوّغ له، فإن الأحاديث لم تفرق بين الصوت والقاعدة ، ولا فرّق بينهما أهل اللغة .

وفي كثير من المواضع التي يظهر فيها اختلاف بين اللهجة الحجازية وغيرها ، نرى تغليب الحجازية ، كفك الإدغام ، وإدغام المضارع المضعف المجزوم ، ونصب خبر ما الحجازية .

هذا مع أن أكثر ما ظهر من اختلاف بين القراءات القرآنية ، كان رسم المصحف يحتمله ، فهو يحتمل أصوات اللهجات الشرقية والغربية على السواء غالباً ، وقد يكون المستثنى من ذلك ، الهمز وحده ، الذي كتب وفقاً لمذهب الحجازيين ، فالرسم هنا يميل إلى نطق أهل الحجاز .

إن أكبر خطأ ارتكبه رابين في كتابه ، نظريته في وجود لغة عامية في الحجاز ، هي الأصلية ، ولغة فصحى ، كانت تكتسب كما تكتسب اللغة الأجنبية . وقد ترتب عليه كل ما ظهر في الكتاب من خلل وفساد .

وإذا اقتنعنا بأن اللغة الفصحى التي يفترض هو وجودها لم تنشأ في الشرق ، فإننا سوف نقتنع بخطئه ، حينما جعل ما ظهر من الشذوذ والندرة في اللغة ، مَرَدُّه إلى أن الشاعر كان يتكلم بلغة مكتسبة تنازعها لغته الأصلية ، فيخطىء في الأولى ، فتظهر الثانية في خطئه .

وقد ضرب صفحاً عما وجد في أساليب الشرقيين من الشذوذ والندرة ، بل ذهب ينسب شذوذهم في كثير من الأحيان إلى أهل الحجاز ، حتى ولو لم يكن الشاعر حجازياً ، وربما أخذ يقرب الشاعر الشرقي من الغرب لينسب ذلك منه إلى أهل الغرب ، وقد ينسبه إلى غير قبيلته ، إذا وجد في ذلك ما يناسب نظريته .

والموضوعية كانت تقتضيه أن ينظر في الشذوذ والنادر ، فإن لم يرد إلا في نصوص حجازية ، رجّح أنه من لهجة الحجاز ، وإن وجده في شعر غيرهم ولم يجده في شعرهم ، قضى أنه لمن وجد في شعرهم ، وإن وجده في شعر هؤلاء وأولئك ، حكم بأنه شذوذ عام مشتهر عندهم جميعاً .

لكنه لم يفعل شيئاً من هذا ، وكان منهجه كله قائماً على استخراج لهجة من شواذ الفصحى ونوادرها — التي يدعوها أحياناً أخطاء — لأهل الحجاز .

وقد أيّد عمله بتقوُّلات كثيرة على أهل النحو واللغة ، وبتحريف ما قالوا وتوجيه بخلاف مرادهم ، وتفسيره بما ينساق مع مآربه .

هذا مع تناقضاته التي يأتيها عن وعي كامل ، إذ يشير إلى ما قال سابقاً أو ما سيقول . فإذا رجعت إليه وجدته يناقض قوله الحالي .

وهو كثير التعميم ، إذا وجد كلمة واحدة تستعملها قبيلة واحدة بصيغة معينة سارع إلى تعميمها على أهل الحجاز قاطبة ، وربما قاس عليها أشياء ينسبها إلى الحجاز من تلقاء نفسه ، مما لم يقله أهل الحجاز ، ولا قيس على لغتهم ولا لغة غيرهم .

وهو — بعد — يحاول أن يقنع القارىء بأن النحويين كانوا ينظرون إلى اللهجة الحجازية نظرته هو إليها وإلى الفصحى . وهذا ينقضه ما بأيدينا من كتب النحويين ، فهم لا يفضلون إلا اللهجة الحجازية ، وكتبهم حافلة بالثناء العريض عليها — وسنشير إلى ذلك لاحقاً — حتى لقد اتهموا بالتحيز لها انسياقاً مع العاطفة الدينية ، بسبب مكانة الرسول ﷺ من أهل الحجاز . ولم نجد قط أحداً من القدامى غضّ منها أو زعم أنها بخلاف الفصحى .

أما أخذهم عن أهل البادية دون أهل الحاضرة ، فله أسباب تذكر في موضعها .

وسأكتفي بهذا ها هنا لأناقش شيئاً مما جاء فيه ، حتى يتسنى

للقارىء أن يصدر حكمه من غير تأثر بما قدمت .

ـــ قال في ص ٣٤ إن أبا عمرو بن العلاء لما سأله أبو المحدث المعروف «ابن نوفل : هل كل ما يقوله البدو عربية سليمة ، أجاب بالنفي ، وقال إنه يتبع الأغلب ، ويسمي ما خالف رأيه لهجة » وأحال على المزهر .

أما الذي أورد المزهر ، فهو : «قال ابن نوفل : سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعت مما سميته عربية : أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا . فقلت : فكيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب ، وهم حجة ؟ فقال : أحمل على الأكثر ، وأسمي ما خالفني لغات» . (المزهر ، ١/١٨٤) .

السائل لم يسأل عن لغة البدو ، وسأل عن كلام العرب هل يدخل في قواعد أبي عمرو كلُّه أم لا ، كما لم يقل أبو عمرو إن كلام البدو ولا غيرهم ليس سليماً .

وفي كلام رابين شيء من عدم تقدير اللغويين العرب ، واستخفافه بعقولهم منتشر في مواضع عدة من كتابه .

فهو ـــ مثلاً ـــ يقول إن بعض الظواهر اللهجية ، كالفحفحة والعنعنة والعجعجة ، قد فسرها اللغويون العرب في بعض الأحيان بصفات محددة، «ولكنهم عندما عجزوا عن هذا اخترعوا صفات فسروها بِّها» ، ومثل بتفسيرهم للعنعنة والعجعجة .

ويبدو أنه لم يميز كثيراً بين تعيير القبائل بعضها بعضاً بنطق معين ، وبين المصطلح الذي وضعه النحويون لهذا النطق ، فإذا كان أول أعرابي قال هذه الكلمات تعييراً ، فإنها أصبحت عند اللغويين مصطلحات ، وليس العلم موضعاً للسخرية .

وقد عرف هو ذلك ، حينما قال في الفقرة عينها : «وقد أصبحت هذه المصطلحات ذخيرة للنحاة» ولكن معرفته لم تثنه عن قوله السالف .

وشبيه بهذا ما قال في ص ٢٣٢ من أن المبرد ذكر أن سعد بن زيد مناة ولخم يغيران الحاء هاءً ، فيقولون في (مدح) ، (مده) ، «ولكن الظاهر أن المقصود بهذه الإضافة مجرد السخرية من النبطيين الذين كانوا يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بلخم أهل الحيرة» ، ولنا حديث عن هذا .

وفي ص ٢٨٤ يقول إن ما نسب إلى قضاعة من فتح باء الجر إذا اتصل بها الضمير (بَه) وكسر لام الجر إذا اتصل بالضمير (لِه) ، غير محتمل .

وأن هذا ليس إلا تعييراً نسبته القبائل المجاورة لقضاعة سخرية بلهجتها . كأن أعمال النحويين أصبحت تدويناً لسخرية القبائل بعضها من بعض ، وليست تدويناً لا يسمعونه من القبائل نفسها ؟

قال في ص ٣٩ عن قصة (ليس الطيب إلا المسك) : «وهذه القصة موضع شك ؛ لأنها تفترض أن البدوي في القرن الثاني كان لا يزال يتكلم لهجته خالصة ، ولأنها أيضاً تؤكد ـــ في مبالغة ـــ أن البدوي لايستطيع أن يجعل لسانه ينطق عبارة صحيحة »

١ ـــ هذه القصة مروية عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ، وهذا الأخير توفي سنة (١٤٩ هـ) .

وفي هذه الفترة كان كلام أهل الحاضرة يستشهد به ، أما كلام أهل البادية ، فلم يترك الاستشهاد به إلا بعد سنة (٢٥٠ هـ) . فلا عجب أن يتكلم البدوي لغة خالصة في القرن الثاني .

وقد كان في القرن الرابع الهجري بدو فصحاء ، وكان بعض أهل اللغة يستشهد بكلامهم ويأخذ عنهم . فالأزهري في القرن الرابع يقول : «وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير ، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن ، واختلط بهم أصرام من تميم وأسد بالهبير . ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يقع في منطقهم لحن أو خطأ فاحش» (تهذيب اللغة ، ١/٧) . وفي عصر ابن جني كان بعضهم لا يزال فصيحاً ، وكان يسألهم ويأخذ منهم .

٢ ـــ هذه القصة لا تؤكد أن البدوي لا يستطيع أن يلحن ، وليس فيها ما يوحي بذلك ، فأبو عمرو قال لصاحبه : «لقّنه النصب فإنه لا ينصب ، ولقّنه الرفع فإنه لا يرفع» .

وقال الرجلان عن أبي المهدي «وجهدنا فلم يرفع» وعن أبي المنتجع : «وجهدنا فلم ينصب» .

وهذا لا يعني أنهما عاجزان عن نطق العبارة الملحونة ، لكنهما يرغبان عن لغة ليست لغتهما ، كما قال أبو المهدي صراحة : «ليس هذا لحني ولا لحن قومي» . فهو يعرف اللغة الأخرى ، لكنه لا يريد النطق بها .

وقد روى ابن جني عن صاحبه الشجري (في القرن الرابع) قصصاً مثل هذه .

قال ابن جني : «وسألته يوماً : كيف تجمع دكاناً ؟ فقال دكاكين» واستمر يسأله عن جمع بعض الكلمات ، حتى قال له : «فعثمان ؟ قال عثمانون» . فقلت : هلا قلت أيضاً عثامين ؟ قال أيش عثامين ! أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته ، والله لا أقولها أبداً» . (الخصائص ، ١/٢٤٢ ، وص ١/٢٥٠) .

فهذا نطق عثامين ، على سبيل المحاكاة ، لكنه يقسم ألا يتكلم بها على أنها لغة .

وقال في ص ٥٢ إن من بين القبائل التي نسبت إليها الفصاحة (نصرقعين) ، وهي تنسب إلى كل من قيس وأسد ، ولم يكن لهما

شأن يذكر ، ولهذا يظن أن الاسم قد أطلق على قبيلة ما ، وأن العبارة ، كانت تهكماً بالذين جابوا الجزيرة بحثاً عن الصواب اللغوي المطلق .

أما كون قيس وأسد ليس لهما شأن يذكر ، فلا أستبين معناه بدقة . وإذا لم يكن لهاتين القبيلتين شأن يذكر ، فليس للعرب كلها شأن يذكر !

وأما اللغويون فقد أخذوا عنهم واعتمدوا عليهم ، قال في المزهر : «والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي ، وعنهم أخذ اللسان العربي ، من بين العرب ، هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم العرب الذين عنهم أكثر ما أخذ ، ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف» (١/٢١١) .

ولعله نسي قوله من قبل إن المنطقة الوسطى تتمثل في مملكة كندة (واتحاد قبائل قيس) !! أما أن العبارة تهكم ، فليس كما قال .

فما وجه الغرابة أن تكون نصرقعين قبيلة أو بطناً من هاتين القبيلتين أخذت عنه اللغة وعرف بالفصاحة ؟ إن نصرقعين هؤلاء هم الذين منهم عاصم بن أبي النجود ، أحد القراء السبعة (المعارف ٥٣٠) وإذا كانت نصرقعين من أسد وأسد ممن أخذ عنهم ، لم يبق لقول رابين من معنى .

ـــ قال ص ٥٤ «والأمية كما فهمها العرب المتأخرون ، عدم التمكن من العربية الفصحى» .

من المؤسف أن يطلق المرء للسانه وقلمه العنان ليقول ما يطيب له ، من غير برهان ، ومن هؤلاء العرب المتأخرون أو المتقدمون الذين فهموا أنّ الأمية عدم معرفة الفصحى ؟ وهل يظن هؤلاء أن الرسول ﷺ كان لا يعرف الفصحى لأنه كان أمياً ؟ لقد حدد الله معنى الأمية بقوله **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾** ، وما كان المؤمنون ليفهموا ما فهم رابين ، والقرآن بين أيديهم ، والرسول ﷺ هو المثل الأعلى عندهم في الفصاحة .

قال في ص ٥٦ : «كانت هناك بعض المعارضة للقول بتفوق لهجة قريش ، وكما جرت العادة ، كانت المعارضة تحتج بحديث روي عن النبي ، هو قوله ﷺ : «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، ونشأت في بني سعد» . ويرى ابن هشام أن «بيد أني» هنا بمعنى «لأني» ، وهو معنى لا نجده في غير هذا الموضع .. ولهذا الحديث في رأيي تفسير واحد ، هو «لولا أني من قريش ونشأت في بني سعد ، لكنت أفصح العرب» أو «رغم أني من قريش ، ونشأت في بني سعد فأنا أفصح العرب» .

١ ـــ هذه المعارضة غير موجودة . وكنت أتمنى لو بين لنا كيف نشأت ، ومتى ، وما المراجع التي دلته عليها ؟

٢ ـــ أما الحديث نفسه ، فموضوع ، قال العجلوني : «أنا أفصح من نطق بالضاد ، بيد أني من قريش . قال في اللآلىء : معناه صحيح ، ولكن لا أصل له ، كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ ، وأورده أصحاب الغريب ، ولا يعرف له إسناد ، ورواه ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدى مرسلاً ، بلفظ : أنا أعربكم ؛ أنا من قريش ، ولساني لسان سعد بن بكر . ورواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري ، بلفظ : أنا أعرب العرب ، ولدت في بني سعد ، فأنى يأتيني اللحن ؟

كذا نقله في (مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا) للجلال السيوطي ، ثم قال فيه : والعجب من المحلي : كيف ذكره في (جمع الجوامع) من غير بيان حاله ، وكذا شيخ الإسلام زكريا ، حيث ذكره في شرح الجزرية .

ومثله : أنا أفصح العرب بيد أني من قريش .

أورده أصحاب الغرائب ، ولا يعلم من أخرجه ، ولا إسناده» (كشف الخفاء ، ٢٣٢) .

٣ ـــ أول ما نلحظ في تفسير رابين للحديث الموضوع ، أنه قدم فيه تفسيرين متناقضين ، الأول معناه أن الرسول ﷺ ليس أفصح العرب ؛ لأنه قرشي ونشأ في بني سعد . والثاني وهو عكس الأول ، أنه أفصح العرب ، مع أنه من قوم ليسوا فصحاء ونشأ في قوم غير فصحاء .

ولا أدري على أي قدميه يعتمد ! ولكن معتمده على أن قريشاً وبني سعد الحجازيتين ليستا فصيحتين !

ولو وجدت معارضة ـــ كما قال ـــ لكانت أعقل من أن تحتج بهذا الحديث . لأن الذي وضعه عني أن الرسول ﷺ أفصح بني العرب ، لأنه قرشي ونشأ في بني سعد ، وهما أفصح العرب ، ومن ثم جاءته الفصاحة ، وأخذها من أطرافها . ويفسر هذا بوضوح الحديث الموضوع الآخر (أنا أعرب العرب ، ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر ، فأنى يأتيني اللحن ؟» . (فيض القدير ، ٣/٣٨) . فجملة ولدتني .. تفسير للتي قبلها ، وجملة : فأنى يأتيني اللحن تأكيد لها .

وهب ما قال رابين في تفسيره صحيحاً : من أين أتته الفصاحة إذا كان قومه غير فصحاء ونشأ في قوم كذلك ؟

٤ ـــ لم يكن يفوت ابن هشام أن من معاني (بيد)، (غير) وقد استشهد على هذا المعنى بقول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

(المغنى ، ١/١١٤) .

وكنت أودّ لو أن رابين ذكر هذا البيت ، وذكر مراد ابن هشام من

إيراده عقب قول ابن مالك وغيره ، ولكنه لم يفعل ، ولا جرم أنه كان يخاف أن يشير إلى ما ينسف تفسيريه السالفين .

ومهما يكن لـ «بيد» من معان ، فإنها في هذا الحديث تدل على خلاف ما يريد رابين ، وتدل على أن معناه أن قريشاً وسعد بن بكر أفصح العرب ، وأن الرسول ﷺ حاز ما حاز من الفصاحة لكونه من أولئك ونشأ في هؤلاء ، فنال الفصاحة من أطرافها .

والأسلوب الذي منه هذا الحديث ، يسميه البلاغيون «تأكيد المدح بما يشبه الذم» .

فـ «بيد» ها هنا معناها : غير ، جيء بها لتأكيد فصاحته ﷺ ، كما أن (غير) ، في البيت السابق ، جيء بها لتأكيد أنه لا عيب في آل غسان ، بل فيهم ممادح .

وهذا أسلوب معروف في العربية ، ونظائره من القرآن قوله تعالى : ﴿**لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً**﴾ و ﴿**لايسمعون فيها لغواً إلا سلاماً**﴾ .

ومنه قول النابغة الجعدي :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد ، فما يبقى من المال باقيا

ومن شاء أن يعرف وجه الجمال في هذا الأسلوب ، ولطافته فليرجع إلى القزويني في (الإيضاح ، ٥٢٤) .

ومن يقرأ ما كتب رابين عن الاستثناء في كتابه هذا ، يعلم أنه لم يفهمه ، فهو لا يميز بين الاستثناء المفرغ المراد به الحصر ، والاستثناء المنقطع والاستثناء المتصل .

وكنت أودّ من الباحثين العرب الذين نقلوا تفسير رابين للحديث ، أن يتثبتوا قبل أن ينقلوا ، وأن يفهموا حقيقة الأمور ، وألا يكونوا نقلة عن غيرهم ، حتى ولو كان أجهل منهم بلغتهم .

ــ قال في ص ٥٧ : «يروى عن ابن داود .. أن عثمان لم يعارض القول بوجود صفات من لهجات مختلفة في النص القرآني «ولكن العرب كانوا يصححونها» . ترى : هل نفسر لفظ «عرب» ببدو نجد الذين اعتبروا حراساً على التعبير الشعري ، أو بالمتكلمين بلهجة الحجاز الإقليمية ؟ الواقع أن العرب ــ بواسطة ــ النحاة هم الذين حكموا بتفضيل قراءة على أخرى ، ولذا يمكن أن يقال بأنهم قد اختاروا القراءات الفضلى للقرآن .

لقد حرف رابين ما قال ابن أبي داود في (المصاحف) حرف نصه ، وحرف كلمه عن موضعه ليستنتج منه ما يوافق هواه .

أما ابن أبي داود فقال في باب أسماه (باب المصاحف العثمانية) قال بعده : اختلاف ألحان العرب في المصاحف .

وفسر الألحان بقوله : والألحان : اللغات . وقال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : إنا لنرغب عن كثير من لحن أُبي ، يعني لغة أُبي .

ثم قال : « ... لما فرغ من المصحف ، أتي به عثمان ، فنظر فيه ، فقال : أحسنتم وأجملتم ، أرى فيه شيئاً من لحن ، ستقيمه العرب بألسنتها ... قال أبو بكر بن أبي داود : هذا عندي يعني بلغتها ، وإلا لو كان فيه لحن لا يجوز في كلام العرب جميعاً ، لما استجاز أن يبعث به إلى قوم يقرؤونه» (ص ٣٢) .

١ ــ فأنت ترى أن هذا النص ليس فيه «ولكن العرب كانوا يصححونها» ؛ لأن التصحيح إزالة الخطأ ، ولم يكن في القرآن خطأ فيصححه العرب ، وترى أن ابن أبي داود بادر إلى تبيان معنى كلمة (اللحن) ثلاث مرات ؛ خشية أن يفهم من اللحن أنه الخطأ . ولكن رابين تجاهل ذلك كله ، ليقحم كلمة (يصححونها) .

٢ ــ أن القرآن الكريم يحوي عدداً كبيراً من اللهجات العربية : صرفاً ونحواً ومعجماً وصوتاً . وكذلك أمر الله نبيه إقراء أمته بهذه اللهجات تسهيلاً عليها ، كما بينه حديث الأحرف السبعة المشهور ، فظهور هذه اللهجات فيه رخصه من الله ، وليس خطأ يصحح . أما كون بدو نجد اعتبروا أنفسهم حراساً على التعبير الشعري ، فقولة ما يقولها إلا الأستاذ رابين وحده ، وقراءة القرآن سند وتوقيف ، لا دخل للهوى ولا للرغبة فيه ، فإذا كتب الصحابة القرآن ، ونظر فيه عثمان ، فأمضاه ، فلا يمكن لعربي ، أي عربي ، أن يغير فيه أو يبدل مهما نال من التفويض لحراسة التعبير السليم أو الشعري .

٣ ــ وأما قوله إن العرب هم الذين حكموا بتفضيل قراءة على أخرى بوساطة النحويين ، فلا نصيب له من الصحة ، ألبتة . فإن القراءة سابقة على النحو ، ولم يكن للعرب مجال للاختيار والرفض ، بل كان كل منهم يقرأ وفق ما يقرئه القراء الذين تلقوا القرآن بسند ينتهي إلى رسول الله ﷺ ولا نعلم متى حصل تفويض النحويين من قبل العرب للاختيار وعدمه .

ولقد كان النحويون أنفسهم يطعنون في العرب وشعرائهم ويلحنونهم ، ويردون ما خالف معارفهم من تعابير الشعراء الكبار ، كالنابغة الذبياني والفرزدق وذي الرُّمة .

وعارض بعضهم بعض القراءات ، كما عارضوا شعر العرب ، ولكن معارضتهم لم تصنع شيئاً ، ولم يبن عليها اختيار ولا ترك ، وبقيت القراءات التي طعنوا فيها يقرأ بها حتى يوم الناس هذا .

قال ابن الجزري : «فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ، ولم يعتبر إنكارهم ، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها ، كإسكان (بارئكم ويأمُرْكم) ونحوه (سبأ ، ويا بني ، ومكر السيء ، وننجي المؤمنين ، في الأنبياء) ... وأئمة القراء لاتعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، والرواية إذا

ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشوّلغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة ، يلزم قبولها ، والمصير إليها » (النشر ، ١/١١) .

والذين دوّنوا القراءات السبع والعشر والأربعة عشر ، لم يكونوا نحويين ، بل كانوا قراءً ، ولم يكن اختيارهم على أساس اللغة ، ولا الأفشى فيها والأقيس والأوفق للغة الشعر ، كما يزعم رابين ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، كما قال ابن الجزري . وخير لمن لا يعرف أصول القراءات أن يحجم عن الحديث عنها ، ذلك خير له ، وخير وأنفع للعلم ، من الخبط الأعشى في الظنون والتحريف ابتغاء استنتاج شيء لا يمت إلى الحقيقة بصلة .

٤ ــ هذا الحديث موضوع ، قال ابن الجزري : «والأثر رواه الحافظ أبو بكر بن أبي داود بألفاظ مضطربة مختلفة ، وكلها منقطعة ، لا يصح شيء منها» . (النشر ، ١/٤٥٩) .

قال في ص ٩٦ : «ويقول ابن جني (في الخصائص ، ج ١ ص ٣٩٢) برأي لا يرى في صوابه شكاً ، خلاصته أن لغة حمير وأمثالها ، مختلفة اختلافاً كاملاً عن لهجات ربيعة ومضر . وقد يكون بعضها قد تسّرب إلى لغة العرب ، ولكنه خطأ «يسوء الظن به» على حد تعبيره» .

١ ــ ما قال ابن جني ، هو : «وبعد ، فلسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار ، فقد يمكن أن يقع شيء من تلك اللغة في لغتهم فيساء الظن فيه بمن سمع منه ، وإنما هو منقول من تلك اللغة» (الخصائص، ١/٣٨٦).

ولم يقل إنهما مختلفتان اختلافاً كاملاً ، وقال متباعدتان . ولم يقل إن ما تسرب منها خطأ يسوء الظن به ، ولكن قال إنه يقبل ، والبعد الذي عني ها هنا ، هو البعد الزمني ، كما يفسره قوله «قد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها ، وتأبّدت معالمها» . وهذا قوله وقول غيره من اللغويين .

٢ ــ قال ابن جني أيضاً : « ... فإذا كان كذلك ، جاز جوازاً كثيراً أن يدخل من هذه اللغة في لغتنا ، وإن لم يكن لها (فصاحتنا) ، غير أنها عربية قديمة» . (الخصائص ، ٢/٢١) . وهذا يحدد بدقة رأي ابن جني في علاقة الحميرية بالنزارية ، فهما عربيتان ، لكن إحداهما قديمة ، ليست لها فصاحة الأخرى ، ويقبل ما تسرب منها إليها ، هذا هو الفرق ، وهو يكرر دائماً (البعد) لا (الاختلاف) . وما أظن أن ابن جني الذي أورد قصة الملك الحميري مع الرجل النزاري ، وقوله له (ثب ...) إلا يرى أن كلام الملك لا يختلف عن عربيتنا إلا في هذه الكلمة ، وفي وقوفه على (عربيت) بالتاء ، وهي لغة طائية ، قرىء بها القرآن .

قال في ص ١٣٥ ، بعد أن أنشد البيت :

عزمت على إقامة ذى صباح لامر ما يسود من يسود

قال إن سيبويه قال إن معناه «عزمت على الإقامة يوماً» ، ثم قال هو : ولكن لو أدخلنا في اعتبارنا الظرف الذي قيل فيه البيت ، لوجدنا أن لفظ «يوماً» بالتنكير لا ينسجم مع المعنى . وذلك لأن المقصود : على البقاء هذا اليوم الذي ستدور فيه المعركة .

وهنا نجد معنى الإشارة لمذكر في «ذا» . ولكن هناك مشكلة أخرى ، هي أن «ذا» الإشارية تتطلب أن يكون المشار إليه معرفاً» .

ثم ذهب يتكلم عن (ذي) في لهجة ظفار ويقارن بينها وبين (ذهي) في لغة التوراة ، ثم قال : «ولكن ذي الحجازية تستعمل قبل الأعلام دون قيد ، وتكون النتيجة تركيباً نحوياً غير عادي ... ومن الممكن أن نستنتج من هذه الأجزاء المتناثرة .. أن العربية الغربية لم تقل «هذا البيت» ولكن «ذي البيت» أو «ذي بيت» .

١ ــ تفسير سيبويه للبيت هو : «وذو صباح بمنزلة ذات مرة» . (ص ١/٢٢٦) .

٢ ــ قد اعترف رابين أن العربية تتطلب أن يلي اسم الإشارة معرفة في هذا المثال، ولكنه لم يحسب حساب هذا اللزوم ، بل تجاوزه سريعاً من غير أن يرجع عن خطئه ، وستكون نتيجة أقواله المتناثرة مبنية على هذا الخطأ ، إذ ستصبح (ذي) اسم إشارة وصباح مشار إليه . وذو ليست اسم إشارة ، وقد فسرها ابن يعيش تفسيراً أراه جيداً ، هو أن «ذي» بمعنى صاحب ، أي المراد : على إقامة صاحب هذا الاسم (صباح) ، فكأنه قال : على إقامة صباح . وهو عنده مثل قول الكميت : إليكم ذوي آل النبي تطلعت ... أي يا أصحاب هذا الاسم . (شرح المفصل ، ٣/١٢) .

وهو يشير إلى أن (ذي) هنا زائدة . وهي تلحق بعض الأسماء اليمنية ، كذو رعين وذو نواس ... وكذلك نقل ابن الأثير . (لسان العرب المحيط ، ١/١٠٤٧) .

وليس وجود (ذي) في لهجة ظفار يحل هذه المشكلة ــ كما زعم ــ كما أن الأثر المروي عن النبي ﷺ : «يطلع عليكم رجل من ذي يمن ...» ليس معناه «يطلع عليكم رجل من تلك اليمن ...» كما فهم رابين خطأً . فذي ها هنا ليست اسم إشارة ، وهذا الاسم يجمع على أذواء ، فيقال : أذواء اليمن ، للذين تتصور أسماؤهم هذه الصلة الزائدة (لسان العرب المحيط ، ١/١٠٤٧) . وهذا الحديث مروي في جرير بن عبد الله البجلي ، لا المهدي ، كما زعم . (الكامل ، ١/١٩١) ويوضح هذا ، الحديثُ المروي في المهدي : قرشي يمان ، ليس من ذي ولا ذو ، أي ليس نسبه نسب أذواء اليمن . (لسان العرب المحيط ١/١٠٤٧) .

فواضح هنا هنا أن (ذي وذو) ليسا اسم إشارة ، بل بمعنى صاحب .

٣ ــ كنت أود لو أنه أرانا مثالاً من استعمال الحجازيين لهذا الاسم استعمالاً غير عادي . ولعله يشير إلى مثل قول عمر بن أبي ربيعة : قالت الوسطى هذا عمر .

وهذا التركيب عادي جداً ، عادي في اللغة العربية . ولعله لم يفهم الفرق بين هذا عمر وأمثاله ، وهذا البيت ، ونحوه .

إن ما بعد اسم الإشارة إما أن يكون تابعاً لاسم الإشارة ، أو يكون منفصلاً عنه ، ففي الحالة الأولى يجب أن يليه اسم محلى بأل ، لأنه هو الذي يزيل إبهامه ، وفي الحالة الثانية لا يشترط أن يعرف ، بل قد يأتي علماً وقد يأتي نكرة ، نحو هذا رجل طويل .

ومما يؤكد عدم فهمه ، استشهاده بقول ذي الرمة . (قبح الله ذا فاً) (ص ١٣٨) .

بمعنى (هذا الفم) . فالصيغتان على اتفاق معناهما ، مختلفتان شيئاً ، لأن «فماً» حال أو تمييز ، أما في (هذا الفم) فالفم تابع لاسم الإشارة (بدل أو عطف بيان) . وله في هذا الباب كثير من الخلط وسوء الفهم والتلفيق ، انتهى به إلى أن اللغة العربية تولى اسم الإشارة (ذا) نكرة ، فلا تقول (هذا البيت) ولكن تقول (ذي البيت) .

وهذا بالعبرية أشبه منه بالعربية !

ــ قال في ص ١٤٠ : إن بني شيبان من أصل يمني . يقول هذا ليبني عليه أن (لو) في قول الشاعر :

تمت فؤادك لو يحزنك ما صنعت إحدى نساء بني ذهل بن شيبانا

استعملت استعمالاً شمالياً ، وأنها كانت تعمل الجزم قديماً .. الخ ما قال .

وبنو شيبان من ربيعة ثم من بني بكر بن وائل . (جمهرة أنساب العرب ، ٣٢١) .

وقد يفعل مثل هذا في مواضع عدة ، حينما يترتب عليه حكم .

فقال في ص ١٢٧ : إن المتلمس شاعر جنوبي ، وهو من ربيعة ثم من بني ضبيعة . وليس يشفع له أن يحيل على (فولسرز) ؛ لأن فولسرز ليس حجة في أنساب العرب ، وكان يسهل عليه هو أن يراجع ترجمته في أي كتاب من كتب الأدب ، كالأغاني ، ولكن الأغاني سيفسد عليه ما يريد ، لأنه يقول إنه ليس جنوبياً .

وقال في ص ١٢٨ : إن رؤبة من ضبة ، وهو تميمي سعدي .

وقال في ص ٢٤٦ : إن لبيداً شاعر من بني حنيفة ، وهو عامري .

وقال في ص ٢٠٨ : إن (ذا قار) اسم قبيلة كانت تسكن في ديار بكر بن وائل ، وهو موضع كانت فيه الوقعة الشهيرة بين بكر بن وائل والفرس .

وقال في ص ٣١٤ : إنا الصمة بن عبد الله القشيري ، من هوازن وإنه حجازي . وهو قشيري ، وقشير من بني عامر بن صعصعة (جمهرة أنساب العرب ٢٨٩) .

ولعله اشتبه عليه بدريد بن الصمة وهو من هوازن . والصمة نجدي ، وفي قصيدته التي منها البيت الذي أورده يقول :

قفا وذعا نجداً ومن حلّ بالحمى وقل لنجد عندنا أن يودعا

وقال في ص ٣٤٧ : إن مزينة من قضاعة ، ومزينة من مضر لا من قضاعة ، ولكن أمهم التي ينتسبون إليها ، مزينة بنت كلب بن وبرة ، من قضاعة (جمهرة ، ٢٠١) .

قال في ص ١٥٩ : «يجب ألا نظن أن اللهجات العربية الغربية كانت تقول «عصيَّ» و «عصيْك» فقط ، بل إنها كانت تقول كذلك : عصيه ... وعصيها ، الخ .

أما الحالات التي وردت فيها ألفاظ عربية تناقض ما قلناه هنا ، فليست دليلاً على فساد حكمنا ، ولكنها دليل على مدى تمكن كتابهم من العربية الفصحى ، أو نتيجة لتصحيح الرواة ما نقلوا عنهم ليتفق مع الفصحى» .

١ ــ هذا قياس لا داعي إليه ؛ لأن السماع يبطله . وقلب هذيل ألف المقصور ياء عند الإضافة ، خاص بياء المتكلم دون سواها من الضمائر ، قال الفراء : «كل ألف أضافها المتكلم إلى نفسه ، جعلتها هذيل مشددة» . (معاني القرآن ، ٢/٣٩) .

٢ ــ ومثل هذيل في هذا ما ذكر الزمخشري عن أزد السراة في زمنه . (الكشاف ، ٢/٢٤٧) .

٣ ــ لطيء مذهب يلتقي مع مذهب هذيل في جهة ، ولكنه يخالفه في جهات أخر .

فطيء تقلّب ألف المقصور ياءً ساكنة في الوصل والوقف ، وبعضهم يقلبها واواً ، فيقولون (أفعيْ ، وأفعوْ) في (أفعى) .

وهي تلزم هذه الحال دائماً ، وفي الإضافة يقولون (أفعيك وأفعوك ..) ، وأفعي محمد وأفعو زيد .

وفي هذا يظهر الشبه بين لغتهم ولغة هذيل ، حينما تضيف هذيل المقصور إلى ياء المتكلم وحدها . لكنها تخالفهم فيما عداها من الضمائر ، وتخالفهم في الوصل والوقف والإضافة إلى الأسماء الظاهرة ، فتنطق الألف هذيلٌ في كل ذلك ألفاً على أصلها ، وهم يلتزمون الواو والياء على كل حال .

فطيء لا تغير الاسم حينما تضيفه ، وتغيره هذيل عندما تضيفه إلى الياء .

وينبغي ألا نخلط هنا بين لغة هذيل ولغة طيء ، وندعي أن الغربيين يقلبون الألف ياء عند الإضافة . فهذا تعميم لا مسوّغ له أولاً، ثم هو حكم غير دقيق ثانياً ، لأن طيئاً هنا لا تقلب الألف عند الإضافة ، بل تقلبها قبلها .

٣ ــ إن (عصيَّ) ونحوها ، ليست هي الفصحى ، وقد أبقاها الكتاب (المهرة) على حالها ، ولو كان الأمر مهارة في الكتابة بالفصحى ، أو تصحيح الرواة ، لصححوا هذه الكلمة ومثيلاتها .

قال في ص ١٦٤ : «وأما استعمالها (أي متى) بمعنى وسط ، فوارد في مثال مشهور ... هو «وضعته متى كمى» . وقد قال ابن هشام بأن اللهجات الأخرى قد استعملت متى بهذا المعنى ، واعتبرها اسماً . وهذا كما يبدو لي «خيال» .

الذي قال ابن هشام هو : « ... واسم مرادف للوسط ، وحرف بمعنى «من» أو «في» وذلك في لغة هذيل ، يقولون : أخرجها متى كمه . أي منه .. واختلف في قول بعضهم : وضعته متى كمى . فقال ابن سيده : بمعنى في ، وقال غيره : بمعنى وسيط ...» (المغني، ١/٣٣٤) .

١ ــ لم يقل ابن هشام إن اللهجات الأخرى استعملتها بهذا المعنى .

٢ ــ أنه ذكر أنها حرف بمعنى (من) أو (في) ، ولم يقصرها على الاسمية .

٣ ــ أما في المثال فقد أورد خلافاً بين اللغويين ، حيث قال بعضهم إنها بمعنى في ، وقال بعض بمعنى وسط ، فتكون في الأول حرفاً وفي الثاني اسماً .

وما وجه الخيال أن تكون اسماً ، إذا كان هذا معناها وهي في الفصحى اسم استفهام عن الزمن ؟ وهو الأصل .

أو لعله يريد أن استعمال اللهجات الأخرى لها بهذا المعنى خيال ، وهو خيال حقاً ، لكن صاحبه رابين ، وليس ابن هشام ، لأنه لم يقله !

أو يعني أن استعمالها بمعنى وسط ، هو الخيال (وأظن أن هذا مراده بدليل ما قدم من شواهد على ورودها بمعنى من) فماذا يقول في المثال (وضعته متى كمى) هل يصحّ فيها (وضعته من كمى ؟) .

قال في ص ١٨٠ : «إن حفصاً قد قرأ بضم الهاء في نحو (بهُ) باطراد .

وليس كذلك .

قال ابن الباذش : «وضم حفص مما قبله ياء ، حرفين ، وهما ﴿أنسانيه إلا﴾ في الكهف . ﴿عاهد عليهُ الله﴾ في الفتح» . (الإقناع ، ١/٤٩٨) .

ولم يذكر في كسر هاء (به) ونحوها خلافاً عن القراء السبعة ، إلا في كلمتين : ﴿لأهلهُ امكثوا﴾ ، ضمها حمزة ، و ﴿ترزقانه﴾ ، قرأها بالاختلاس قالون في رواية عنه . والقراء فيما عدا هذا متفقون على صلة الهاء بالكسرة . (السابق ، ١/٤٩٦) .

قال في ص ١٨٢ : «وفي لهجة قريش يقال «نِعم» بكسر العين ، مقابل «نعَم» عند هذيل، ثم أحال على (فقرة ت ٨) و (فقرة ص ٧) .

وفي فقرة (ت ٨) قال : «كانت هذيل تستعمل «نِعم» بكسر العين بدلاً من «نعَم» بفتحها ، وكذلك تفعل كنانة» .

وهذا ــ كما ترى ــ تناقض بيّن .

ــ قال في ص ١٩١ : إن التاء المربوطة في (الصلاة والزكاة) ونحوهما ، تسقط في الوقف في النطق «وتصير الألف في آخر الكلمة ، وتنطق كما لو كانت واواً يقع عليها النبر» .

وهذا نطق ما علمنا أن أحداً قرأ به القرآن ، ولا ورد في العربية . وهذه التاء يوقف عليها بالهاء ، كما يوقف على التاء المربوطة في الأسماء كلها ، أما كتابتها بالواو ، فلها علة أخرى .

ــ قال في ص ١٧٢ : «كان أهل الحجاز يعتزون بكلامهم المحلي ، كما نرى في دفاع أحد أشراف قريش عن لغته ، وتحذيره من اللكنة الأجنبية» . وأحال على (د ، ذ ١٠) .

وقال : «كما كان أهل المدينة يهاجمون من يتكلم العربية الصحيحة (فقرة دد ١١) .

وقد تكون هذه القصص مجرد تحيز ، ولكن فيها بعض الصدق . وليس من الصدفة أن يحافظ القراء الحجازيون على الخصائص اللغوية الحجازية في قراءتهم ، ويصفونها بأنها قراءات الخلفاء الأولى .

وقد نكون هنا نشهد المعركة الأخيرة للدفاع عن اللهجات العربية الغربية أمام الموجة الطامة الوافدة من الشرق في صورة التعبيرات الفصحى ، والتي عززها النحاة ، بإعطاء لغة البدو مكانة خاصة ، وتمجيدهم الشعر البدوي الجاهلي» .

١ ــ أما الفقرتان (د ، ذ ١٠) فليس فيهما ما يشير إلى اعتزاز أهل الحجاز بلغتهم والاحتراس من اللكنة الأجنبية ، ولم أجد سوى الحديث الذي معناه أن الرسول ﷺ لقّن ابن عمر (ضُعف) بضم الضاد واستنتاجه من هذا الحديث ما قال ، خاطىء ، فليست الحركات هنا فرقاً لغوياً بالضرورة ، ولم ينسب الفتح إلى لغة والضم إلى أخرى ، والاختلاف في مثل هذه الكلمة كثير ، كالكره والقرح بالفتح والضم ، ويكفي ــ لتعلم عدم تعصب القارىء للغة على أخرى ــ أن حفصاً قرأ الكلمة بالضم والفتح . ولو كان يتعصب للغة ، لقرأ بها واقتصر عليها .

هذا ، وقد نسبت إلى النبي ﷺ قراءات تخالف لغة قريش ، وكان

يخاطب كل قوم بلسانهم ، كما يظهر من حديث الصوم ورسائله إلى ملوك اليمن . فلو فرضنا أن الخلاف في (ضعف) لهجي ، ما دلّ تمسك النبي ﷺ بلغة دون أخرى على تعصّب لها . ولو كان يرى كلام العرب الآخرين ولهجاتهم لكنة أجنبية ، ما تكلم بها ، ولا أجاز أن يقرأ القرآن بها ؛ وقراءة الفتح قراءة سبعية متواترة .

٢ ــ قوله إن أهل المدينة يهاجمون من يتكلم العربية الصحيحة يشير إلى ثلاثة أمور :

الأول : أن أعرابياً قال (يا نبيء الله) فنهاه ﷺ عن الهمز ...
وهذا الحديث ليس بصحيح ، قال الذهبي: حديث منكر ... (الإتقان ، ١/١٣٠) .
أما كون نبيء عربية صحيحة ، فلا غبار عليه ، وأما أنها هي الفصحى ، فلا ، فقد وصفها سيبويه بأنها لغة رديئة . (٣/٥٥٥). وهذه اللغة ليست شرقية ، بل لبعض أهل الحجاز (٣/٥٥٥) .

الثاني : قول مفاده أن الرسول ﷺ وخلفاءه لم يكونوا يهمزون . وهذا الحديث ليس بصحيح ، قال أبو شامة : «هذا حديث لا يحتج به ، وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف عند أئمة الحديث» (١٢٩/الإتقان) .

٣ ــ الثالث : قصة تقول إن أهل المدينة غضبوا لأن الكسائي قرأ في المدينة بالهمز . وهذه القصة يقول هو ــ نقلاً عن بعض المراجع ــ إن فيها خلافاً ، في سبب غضبهم منه . وهي لا تدل على أن الهمز أفصح من تركه ، ولا على أن أهل المدينة يهاجمون اللغة الفصحى كما يريد أن يقول .

وهو في الحقيقة يتصور الهمز تصوراً خاطئاً ، والحديث عن فصاحة التسهيل حديث طويل ، ليس هذا موضعه . ولكنني أستشهد هنا بمثال واحد ، على أن الهمز لم يكن أفصح من التسهيل .
قراء الكوفة كلهم قرؤوا (أأئمة) بهمزتين محققتين ، ويظن اليوم أن هذا هو الفصيح ، ولكن النحاة عدوا هذا لحناً من القراء ، وقالوا إن الصحيح (أيمة) (الخصائص ١/١٨٢ ، و ٣/١٤٣) .
وفي القضية كلام طويل .

٣ ــ قوله إن القراء الحجازيين حافظوا على خصائص اللغة الحجازية ، غير صحيح ، فقد ظهرت قراءاتهم خصائص منها ومن غيرها ، فنافع مثلاً ، يميل كثيراً في قراءته ، ولا سيما من طريق ورش ، ويدغم ، وهذان ليسا من لغة الحجاز . وابن كثير يهمز كثيراً ، والهمز ليس حجازياً . وبالجملة لا توجد قراءة حجازية ولا غير حجازية تمثل خصائص لهجة بعينها .

أما اقتصار النحويين على الأخذ عن أهل البادية دون أهل الحاضرة ، فسببه قد شرحه الفارابي حين قال : «لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون اللغة قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت ألسنتهم» (المزهر ١/٢١٢) .

وأما أخذهم عن البادية ، فلأن لغتها لم تكن قد اختلطت ، بل بقيت صافية ، ولكنهم لم يلبثوا أن تركوها ، بعد ترك الأخذ عن الحاضرة بخمسين عاماً ، ولولا اختلاط الحاضرة بالأمم الأخرى ، لتساوت الحاضرة والبادية في الاستشهاد .

قال ابن جني : «علة امتناع ذلك (أي الاختلاف عن أهل المدر) ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل . ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم ، لوجب الأخذ عنهم ، كما يؤخذ عن أهل الوبر» (الخصائص/٥/٢) .

وكذلك قوله إن النحاة يفضلون لغة البدو على لغة أهل الحجاز ، ولو رجع إلى كتاب سيبويه وحده ، لرأى عكس ذلك ، والنحويون قد اتهموا بالتحيز لأهل الحجاز ، فكيف يفضلون عليهم غيرهم ؟

ــ قال في ص ٢١٦ عن حذف ياء المتكلم : «والظاهرة بلا شك ظاهرة لهجية . ويعزوها الزمخشري إلى قصر الكسرة (التي تمثل ياء المتكلم) في حالة الوصل في لهجة هذيل . وليس هناك ما يدل على وجود مثل هذه النزعة في أي لهجة غربية عربية . ومن ناحية أخرى يخبرنا سيبويه ... بأن لهجتي قيس وأسد تسقطان الكسرة الطويلة والضمة الطويلة إذا وقعتا أخيرتين .. والظاهر أن هذا الضعف الشديد في الحركات الطويلة الأخيرة كان قاصراً على لهجات المناطق الوسطى» .

١ ــ حذف ياء المتكلم والاجتزاء عنها بالكسرة كثير ، ولا سيما في الأسماء . ولكن الزمخشري لم يكن يتكلم عن ياء المتكلم ، لأنه كان بصدد الآية ﴿يوم يأت لا تكَلَّمُ نفسٌ إلا بإذنه﴾ فحديثه عن الياء التي هي لام الفعل المعتل ، لا الياء التي هي ضمير ، ولذلك قال : «قرىء يوم يأت ، بغير ياء ، ونحوه قولهم: لا أدر ، حكاه سيبويه ، وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل» (الكشاف ، ٢/٢٣٥) .

٢ ــ قوله إنه لا دليل على وجود هذه الظاهرة في لهجة غربية يناقض قوله في الصفحة نفسها : «وترد هذه الصيغ كثيراً في شعر عمر بن أبي ربيعة الحجازي» .

ويناقض مناقضة أشد من هذه وأصرح ، قوله في ص ١٦١ : «والواقع أن قصر الكسرة الأخيرة ظاهرة ثابتة في لهجة الحجاز ، ومن المحتمل أن تكون شاملة لكل اللهجات الغربية ، وأنها قد أثرت في لهجتي أسد وقيس» .

ويناقض هذا القول بقول آخر يخالف القولين السابقين ، هو :

«والظاهر أن هذا الضعف الشديد في الحركات الطويلة الأخيرة ، كان قاصراً على لهجات المناطق الوسطى ـــ وكثيراً ما تتفق معها لهجة أسد اتفاقاً قريباً» . (ص ٢١٧) .
وفي الصفحة نفسها يقول : «أما حذف الكسرة الطويلة الأخيرة وتقصيرها ، فإنه ـــ كما يظهر ـــ صفة أصلية في لهجة الحجاز» .
قال أولاً : إن قصر الحركة الأخيرة ظاهرة ثابتة في لهجة الحجاز ، ثم عاد فقال إنه لا يوجد ما يدل في لهجة عربية غربية ، ثم عاد مرة أخرى وقال إن الضعف الشديد في الضمة والكسرة الأخيرتين قاصر على أهل الوسط ، ورجع مرة ثالثة ليختم تناقضه بقوله : «ومن المحتمل أن يكون تقصير الحركات الطويلة الأخيرة صفة شائعة في جميع لهجات الجزيرة» . (ص ٢١٧) .
قال في ص ٢٣١ : إن ابن دريد قال إن أهل الحجاز يقولون «مَدَهَ» في مَدَحَ ، وقال المبرد إن هذا التعبير حدث في لهجة سعد بن زيد مناة ولخم . ولكن هذا سخرية من النبطيين الذين كانوا يرتبطون بلخم ، أما سعد ، فالمقصود بهم سعد بن بكر في شمال الحجاز ، ولكن النساخ أخطأوا .
١ ـــ ابن دريد لم ينسب هذا إلى أهل الحجاز ، والذي قال هو : «والمَدْه مثل المدْح ، سواء مدهته بمعنى مدحته ، قلبت الحاء هاء ، وهم يفعلون ذلك كثيراً ـــ قال رؤبة :

لله در الغانيات المُدَّه

يريد المُدَّح ، ومن روى المُزَّه ، أراد المُزَّح ، وقال النعمان لرجل ذكر عنده رجلاً (أردت كيما تذيمه فمدهته) . (الجمهرة ، ٢/٣٠٢) .
ولكن رابين يفضل أن ينسب كل شيء يخرج من الفصاحة وكل شذوذ دائماً إلى أهل الحجاز .
٢ ـــ قوله إن هذا سخرية بالنبط لطيف جداً في حد ذاته ، لو كان المقام مقام تفكُّه وتندُّر ، وممن يسخرون إذ نسبوه إلى بني سعد بن زيد مناة من تميم ؟ أكانوا يسخرون أيضاً من النبط ؟ يجيب رابين بأن هذا من خطأ النساخ ، والمراد سعد بن بكر ؟
ترى كيف تلتبس على النساخ هذه العبارة (سعد بن زيد مناة من تميم) بعبارة (سعد بن بكر) ؟ ألا ترى أن الذي أضاف (من تميم) كان واعياً وحذراً من أن يخلط بين هؤلاء وغيرهم ممن يقاربونهم في الاسم ؟
لا بأس ، فكل شيء يسوِّغ آراء رابين ، ممكن ، حتى ولو ضارع المستحيل ، ولكن لِمَ نفى هذا عن بني سعد بن زيد مناة ، وألصقه ببني سعد بن بكر ؟ لست أدري بالضبط، ولعل من الأسباب ، أن قلب الحاء هاءً شاذ ، وبنو سعد بن بكر في شمال الحجاز ، فهم أولى بالشذوذ من غيرهم ! وإذا كانت هذه لغتهم ، فسيسحب حكمه بأنها سخرية !
٣ ـــ وبنو سعد في الحقيقة ليسوا في شمال الحجاز ، بل كانوا حول مكة ، وفيهم استرضع الرسول ﷺ .
٤ ـــ لقد تجاهل رابين شاهدين على قلب الحاء هاء أوردهما لرؤبة ، وهو سعدي من تميم ، هما :

لله در الغانيات المُدَّه ... سبَّحن واسترجعن من تألُّهي
و ... برّاق أصلاد الجبين الأجله

أراد (المُدَّح والأجلح) . (الكامل ، ٣/١٤٧) . وإذ ورد هذا في شعر رؤبة قوي الدليل على صحة نسبة اللغة إلى قومه .
ولعل النساخ أيضاً أخطأوا في اسم رؤبة ، وهم يريدون شاعراً من هوازن ، قد يكون دريد بن الصمة !!
لا جرم أن من يصنع هذا الصنيع لا يبغي وجه الحق ، ولا يجدُّ في الكتابة العلمية .

ومن اختلاقه على العربية ، قوله في ص ٢٣٥ إن هناك «حالات أخرى يتراوح فيها حرف العلة الواقع بعد ساكن بين الواو والياء مثل (خصوى) و (خصية) و (كلية وكلوى) » وخصوى وكلوى لم أجدهما فيما راجعت من معاجم اللغة ، ولا أعرف سوى خصية وكلية ، وكلوة بلغة أهل اليمن . ولم يرشدنا إلى المرجع الذي أخذ منه (كلوى وخصوى) !
ومن تسقطه الشذوذ في اللغة العربية لينسبه إلى اللهجة الحجازية قوله في ص ٢٧٤ :
«ومن الممكن أن تكون اللهجة الحجازية لم تلتزم بالقاعدة الفصحى التي تقتضي بأن يكون ضمير المتكلم المتصل ، بعد الحركة الطويلة أو الحركة المزدوجة ، ياء مفتوحة لا مجرد كسرة قصيرة» هذا مع أنه ينقل في الصفحة التي تليها عن الاستراباذي ، أنها لغة ليربوع من بني تميم ، لكنه هنا يتوقف ، ليقول إنه لا يدري أهي شرقية أم غربية .
وهذا الإمكان الذي ذكر وارد ، وعكسه وارد كذلك ، ولكن الأخير يحظى بالأدلة ، إذ لا نجد شاهداً ينسب إلى الحجاز على استعمال هذه اللغة ، ووجدنا العلماء ينسبونه إلى يربوع ، وليس لدينا ما يخالف ما قالوا ، فالعلم والعقل يقضيان أن نسلم بما قالوا ، وألا نقول بإمكان أن تكون هذه اللغة للحجاز ، إذ ما الفائدة في ذكر نقيض الشيء وهو مرجوح ؟
ـــ وقال في ص ٢٧٦ : «والصيغة العربية الغربية الأصلية هي (تا) التي لا تزال مستعملة في لهجة طيء .. التي توجد في عبارة الرسول التي وجهها لعائشة : «كيف تيكم ؟ ..» كما توجد (تا) أيضاً لا في شعر النابغة وحده ، وهو عربي غربي ، ولكن في شعر القطامي

التغلبي .. أما كعب الغنوي فيستعمل هاتا بدلاً من هذه» .
إذا كان القطامي التغلبي وكعب الغنوي القيسي استعملا هذه الصيغة وهما شرقيان ، فلم يقصر هو هذه الصيغة على العربية الغربية ؟ ولم لا يقول إنها شائعة في العربية كلها ؟ وذكر بيتاً للأغلب العجلي وهو ربعي ، وردت فيه (تا) ، هو :

قال لها هل لك يا تا فيَّ ؟ قالت له ما أنت بالمرضيِّ

ولكنه أعقبه بقوله : «ومع هذا فستجد أن «تا» هي اسم الإشارة للمفرد المؤنث في العربية الغربية بالذات » (ص ٢٧٥) .
والنحويون لم يخصوا لغة معينة باستعمال (تا) ، بل أطلقوا حكمهم على العرب جميعاً ، وهذه النصوص تدل على ذلك ، وإذا اتبعنا نظرية رابين ، فإن استعمال شعراء شرقيين لهذه الصيغة ، يعني أنها فصحى أي أنها شرقية ، وعليه، فنسبتها إلى اللغات الغربية يخالف نظريته المقررة سلفاً !

ـــ قال في ص ٢٧٨ : «وقد كان من السهل أن يضيف علماء القرآن المسلمون حرف الهمزة إلى (أُلا) حتى تصير مثل الكلمة الفصحى» .
لم يكن من السهل على المسلمين أن يضيفوا همزة ولا أصغر منها إلى كتاب الله ، فقد كانوا يجمعون على أن من غير حرفاً من كتاب الله عمداً كفر ، انظر كلام القاضي عياض في (القراءات واللهجات ، ١٠١) .
وأحسب أنني فيما سلف قدمت عدم حرصهم على موافقة الفصحى ، وكان همهم صحة السند في النسبة إلى رسول الله ﷺ .
فهذا الذي يرى رابين أنه من السهل يرون أنه من الكفر ، ولو كانت القراءة بالأهواء أو بالحرص على موافقة الفصيح ، لما بقيت لنا تلك القراءات التي رأى النحاة أنها لحن .

وارابين لا يقول ما يقول إلا ليثبت أن (ألاء) التي قال ابن عقيل إنها حجازية ، ليست حجازية ؛ لأنها توافق الفصحى . على أنه فيما يبدو يستخف بالقراء ، وببعض الآيات ، فيقول إنها خطأ ، فيقول مثلاً إن الكوفيين تخلصوا من إحدى التاءين في (تفاعل وتفعل) تجنباً لهذا الإدغام المستهجن . (ص ٢٦٧) .
وقال في ص ٢٦٨ إنه كان هناك شعور بأن إدغام التاء في الدال في (المدَّثر) ليس صحيحاً . وقال في هذه الصفحة أيضاً : إننا نستطيع أن نتجاهل قراءة حمزة الزيات ﴿اسطاعوا﴾ بتشديد الطاء باعتبارها من افتعال النحاة .

ورابين في هذا يبين عن جهله العميق بالقرآن الكريم ورسمه ، كما يبين عن خبطه خبط عشواء ، لأنه خاض بحراً لا يحسن ركوبه .
١ ـــ (أولاء) كتبت في المصحف بغير همزة ، لما قال ابن الجزري :

«فاعلم أن الهمزة وإن كان لها مخرج يخصها ، ولفظ تتميز به ، فإنه لم يكن لها صورة تمتاز ، كسائر الحروف ، ولتصرفهم فيها بالتخفيف : إبدالاً ونقلاً وإدغاماً ، وبين بين ، كتبت بحسب ما تخفف به .
فإن كان تخفيفها ألفاً أو كالألف كتبت ألفاً ، وإن كان ياء أو كالياء كتبت ياء ، وإن كان واواً أو كالواو ، كتبت واواً ، وإن كان حذفاً بنقل أو إدغام أو غيره ، حذفت ، ما لم تكن أولاً» . (النشر، ١/٤٤٦) .
فالهمزة في (أولاء) حذفت من الرسم لأنها في لغة الحجاز تخفف بالتسهيل ، وإذا وقف عليها حذفت همزتها ، فلذلك حذفت ، مع بقاء نطقها في بعض القراءات . وحذف الحرف مع بقاء نطقه كثير في رسم القرآن ، نحو ألف كلمات ، تكتب هكذا (كلمت) . فلا يعني هذا أنه لا ينطق بها ، ولا يعني نطقها أو كتابتها في بعض المصاحف أنه شيء زاده القراء ليوافقوا به لغة .
وأما ما خلط فيه ـــ فأساء الخلط ـــ عن إدخال الواو بين الهمزة واللام في (أولاء) فيفسره بإيجاز قول ابن الجزري :
«زيدت الواو بإجماع من أئمة الرسم والكتابة في (أولى) للفرق بينها وبين (إلى) الجارة . وفي (أولئك) للفرق بينها وبين (إليك) واطردت زيادتها في (أولوا وأولات وأولاء) حملاً على أخواته» . (١/٤٥٧) .
٢ ـــ أما قوله إن الإدغام مستهجن وإنه غير صحيح ، فحكم يصدره من تلقاء نفسه ، ولا يصدره نقلاً عن عربي أو عالم ، وحكمه مردود عليه ، فليس هذا مستهجناً بل مستحسن وشائع في العربية ، وحسبك أن كثيراً من الكلمات لم يرد في القرآن إلا بهذا الإدغام ، نحو ﴿المزَّمّل﴾ ونحو ﴿فادَّارأتم فيها﴾ ونحو ﴿ادَّكر﴾ و ﴿ومدَّكر﴾ ... الخ .
ولا يستهجنه إلا أعجم لا يفقه شيئاً .
٣ ـــ أما تجاهله لقراءة حمزة فلا يضرها ، فقد تجاهلها قبله فئة من النحاة ، فلم يضرها تجاهلهم ، وما هو إلا تابع لهم ، تجاهلها بعض النحاة الذين يزعم هو أنهم افتعلوها ، فكيف يفتعلونها وينسبونها إلى حمزة ثم يدعون إنها لحن ؟
أما حمزة رحمه الله ، فقراءته صحيحة متواترة عن رسول ﷺ وكان ورعاً عالماً ، وحسبك أنه لم يقرأ حرفاً من كتاب الله إلا بأثر . (النشر ، ١/١٦٦) وكان يدعى حَبْر القرآن .
قال في ص ٢٦٣ إن «أبا هريرة ذكر أن عمر قابل في الطريق رجلاً ، فاستقراه ، فأدخله عمر الدار فقرأ له وتركه يخرج ، ولكنه ما كاد يغادرها حتى سقط من الجوع . وفي رواية أبي نعيم أن أبا هريرة قال لعمر «قرئني» يريد «أقرني» ، أي «أطعمني» وأن عمر

ظنها «اقرئني» كما تنطق في لهجة الحجاز .
ويحيل إلى القسطلاني .
١ ــ يبدو أنه لا يميز بين «أقرئني» فعل الأمر من «أقرأ» و «إقرني» فعل الأمر من «قرى» . وفي لغة الحجاز، إذا خففت (أقرئني) ، أصبحت (أقريني) .
فيحتمل حينئذ أن يقع اللبس على عمر ؛ إذ يقول أبو هريرة (إقرني) فيظنها (أقريني) ؛ لأن عمر رضي الله عنه حجازي . هذا هو المحتمل ، ولكنه بعيد جداً ، كما سنرى .
٢ ــ الحديث كما رواه البخاري ــ وهو يحيل عليه ــ هو : «... أصابني جهد شديد ، فلقيت عمر بن الخطاب ، فاستقرأته (آية) من كتاب الله ، فدخل داره وفتحها عليَّ ، فمشيت غير بعيد ، فخررت لوجهي من الجهد والجوع ... والله لقد استقرأتك (الآية) ولأنا أقرأ لها منك» . (فتح الباري ، ٩/٥١٨) .
فأبو هريرة كما يظهر جلياً ــ لم يرد صراحةً إلا القراءة ، وأما رغبته في الطعام فكانت تعريضاً لا تصريحاً ، ولو كان يريد (القرى) ما كان لذكر (آية من كتاب الله) معنى ، لأن الآية لا تؤكل . ثم يكرر ما صرح به في نهاية القصة ، إذ يقول لعمر (لقد استقرأتك الآية) ، ولم يقل : أردتُ القرى ، ففهمتَ القراءة . والسياق يدل على أن أبا هريرة كان يتظاهر بنسيان شيء من الآية ، ففتحها عليه عمر ، أي ردَّ عليه ما نسي منها ، وذلك قوله (ففتحها عليَّ) .
٣ ــ القسطلاني الذي يحيل عليه رابين ، قد ردَّ على ابن حجر قوله في تفسير الحديث ، لأنه فهمه فهماً قريباً مما ذكر رابين ــ ولعله نقله عنه وإن لم يحل عليه ــ ، فقال أي القسطلاني : «قال في الفتح (فتح الباري) : وكأنه سهل الهمزة ، فلم يفطن عمر لمراده . كذا قال (يعني ابن حجر) ، لكن قوله (يعني أبا هريرة) يعيِّن التنزيل (أي يعين أن مراده آية من القرآن) ، لا سيما مع رواية أن الآية من سورة آل عمران» . (إرشاد الساري ، ٨/٢١٠) .
ولكن رابين تغافل عن هذا ، لأنه ينقض ما يريد .
ورواية أبي نعيم أصرح مما سبق .
قال أبو نعيم عن أبي هريرة : « ... فقلت أقرئني ، وما أريد إلا الطعام ، قال : فأقرأني آيات من سورة آل عمران ...» . (١/٣٧٨) .
وقبل هذا الحديث : « ... ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر بي أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ، تعالى ، ما سألته إلا ليستتبعني ، فمرّ ولم يفعل ، ثم مرّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستتبعني ، فمرّ ولم يفعل» . (الحلية ، ١/٣٧٧) .

فهذه الرواية تفسر معنى الروايات السابقة تفسيراً واضحاً لا يدع مجالاً للبس . فأبو هريرة كان يعرِّض بالطعام ، ولم يسأله صراحة ، فيخطىء الصحابة فهمه ، وفي كل رواية كان فعل الطلب مقترناً بالآية .
٣ ــ ثم إن بين (أقرئني) و (إقرني) فرقاً آخر لا يمكن أن يحدث معه اللبس . الأول همزته همزة قطع مفتوحة ، والثاني همزته همزة وصل ، إذا بدىء بها نطقت مكسورة (إقرني) . وفرق آخر ، هو أن المتوقع من أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ إن كان يسأل القرى أن يجزم الفعل بحذف حرف العلة فيقول (اقرني) وليست فيه ياء ، والفعل (أقرئني) الياء فيه بدل من الهمز ، فلا تحذف للجزم .
لم أورد هذه القصة إلا لأعطي نموذجاً من إساءة فهم رابين للنصوص ، وتغافله عما يخالف رأيه ، وتحريفه ، إذا كان التحريف يثبت شيئاً يريده . وإبدال أهل الحجاز الهمز أمر مستفيض ومعروف ، فكان خيراً له أن يبحث له عن شاهد من الشواهد الوفيرة بدلاً من هذا التحريف والعمل الذي لا يرضى عنه العلم .
ــ قال في ص ٢٨٣ : هناك احتمال بأن المثنى كان على صيغة واحدة ، هي لزوم الألف والنون في لهجة مكة (أي في منطقة تهامة من بلاد الحجاز) ... وقد وجد ابن هشام في (المغني ج ١ ص ٣٧) في هذا حلاً لمشكلة إعراب الآية ﴿**إن هذان لساحران**﴾ ... فقال بأن (هذان) فيها لزمت الألف على لغة الحجازيين في هذا الموضع .
١ ــ لا أدري لم فسّر مكة بمنطقة تهامة من بلاد الحجاز ، وهل هذه المنطقة كلها تدعى مكة ؟ وأظن أنها محاولة لتعميم الحكم ، بأن هذه لغة أهل الحجاز عامة ، وأن أهل مكة كذلك كانوا يفعلون ، مع أنه لم يقل ذلك أحد من النحاة .
٢ ــ أما ابن هشام فلم يقل إن هذه لغة للحجازيين ، فقد ذكر الأوجه التي خرجت عليها الآية ، ومنها هذا الوجه ، فقال : «جاءت على لغة بلحارث بن كعب في إجراء المثنى بالألف دائماً» . (المغني ، ١/٣٨) .
وبلحارث بن كعب ليسوا من أهل مكة ، بل هم من أهل نجران .
٣ ــ هذا الاحتمال الذي طرحه آنفاً سيصبح بعد أسطر حقيقة ثابتة ، فيقول : «ولا يعتمد قولنا بأن لهجة الحجاز كانت تجعل الألف والنون علامة النصب والجر في المثنى على مجرد الاستنتاج ، بل تؤيده عبارة وردت في باب الأذان (البخاري حديث ١٤٥) نصها «أن رجلي لتحملاني» التي رواها أبو الوقف ــ وهو شديد الالتزام بالقواعد ــ على هذا النحو «أن رجلاي لتحملاني» (القسطلاني جـ ٢ ص ١٢٦) .
الحديث إذن وردت فيه روايتان ، فلم اختار رابين أن تكون الرواية

الثانية على لغة أهل الحجاز ؟ لم يقدم دليلاً !

وقد خرج القسطلاني هذه الرواية على أنها لغة (إن أباها وأبا أباها) أو على أن (إن) بمعنى نعم . (٢/١٢٦) .

وما أدري ما معنى قوله إن أبا الوقف (والصواب الوقت كما في القسطلاني) شديد الالتزام بالقواعد ، إذا صح ذلك فإن هذه الصيغة من اللغة الفصحى ، بخلاف ما يريد رابين ! وقد نقل بعدها عن الأستراباذي حديثاً ، هو « ... حتى يكون أبواه اللذان يهوِّدانه أو ينصِّرانه» .

ورواية الأستراباذي ، هي : «حتى يكون أبواه هما اللذان» . (٢/٢٧) .

والأستراباذي يستشهد بالحديث في معرض كلامه عن ضمير الفصل (هما) في الحديث ، ولكن رابين حذفه ، لسبب ما ! ولم يورده الأستراباذي شاهداً على أن أهل الحجاز ولا غيرهم يبقون المثنى على حالة واحدة . كما خرجه تخريجاً بعيداً عما فهم هو .

أما الأشموني الذي أشار إليه أيضاً ، فيقول «في المثنى وما ألحق به لغة أخرى وهي لزوم الألف رفعاً ونصباً وجراً ، وهي لغة بني الحارث ابن كعب وقبائل أخرى » (١/٤٧) وقد ذكر الشيخ محمد محيي الدين ــ رحمه الله ــ أن هذه القبائل هي : كنانة وبنو العنبر وبنو الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل ، وزبيد وخثعم وهمدان وعذرة . (شرح الأشموني ، ١/٤٨) هامش .

فهذه القبائل بعضها من شرقي الجزيرة وبعضها من الحجاز وبعض من تهامة وبعض من اليمن . فلم يخص رابين أهل الحجاز بها ويعممها عليهم ؟

ــ قال في ص ٣٠٢ : إن الصفَّار نسب لغة «أكلوني البراغيث» إلى هذيل ، وأحال على ابن عقيل في شرح الألفية .

وابن عقيل يقول : «ومذهب طائفة من العرب ــ وهم بنو الحارث ابن كعب ، كما نقل الصفَّار في شرح الكتاب ــ أن الفعل إذا أسند إلى ظاهر .. أُتي فيه بعلامة تدل على التثنية أو الجمع» (٢/٨٠) . ولم ينسب هذه اللغة إلى هذيل !

ــ قال في ص ٣١٠ : «يقول ابن هشام في المغني (جـ ١ ص ٣٥) إن لهجة الحجاز تجعل اسم «إن» وأخواتها وخبرها منصوبين . وينقل الحديث «إن قعرجهنم سبعين خريفاً» ؛ دليلاً على هذا الرأي ... كما يذكر بيتاً لعمر بن أبي ربيعة ... ينتهي بعبارة «إن حراسنا أسْداً» . كما يورد الأشموني بيتاً للعجاج ... «ياليت أيام الصبا رواجعا» ، وبيتاً آخر لمحمد بن ذؤيب العماني ... وينقل الأشموني عن ابن سيده وآخرين قولهم بأن استعمال أخوات إن في صورة هذا التركيب كان شائعاً في بعض اللهجات ، وإن كان معظم النحاة يرفضونه رفضاً تاماً .. ويمكن قبول رأي ابن هشام ؛ باعتبار أن هذه اللهجات كانت عربية غربية» .

١ ــ الذي قال ابن هشام ، هو أن من معاني (إن) : «أن تكون حرف توكيد ، تنصب الاسم وترفع الخبر ، قيل وقد تنصبهما في لغة ، كقوله ... إن حراسنا أسداً ...» . (المغني ١/٣٧) . ثم إنه خرَّج البيت والحديث على أن الأول حال ، والثاني ظرف ، ولم ينسب اللغة إلى الحجاز ولا إلى غيره !

وتولى الأستاذ نسبة ما سكت عنه ابن هشام ، وبنى عليه ماسبق !

٢ ــ إذا استدل ببيت عمرو بالحديث على أن هذه لغة الحجاز ، فلم لا يستدل ببيت العجاج والعماني على أنها لغتهما ؟ إذن لما خص بها أهل الحجاز !

٣ ــ الأشموني لم يقل إن هذه اللغة كانت شائعة ، ولم يزد على أن قال : «وحكي قوم منهم ابن سيده ، أن قوماً من العرب تنصب بها الجزءين معاً» . (١/٤٦٩) .

والتقيد بعبارات العلماء الدقيقة ، أولى من إرسال الكلمات الفضفاضة التي قد توحي بشيء آخر .

٤ ــ قال محمد محيي الدين عبد الحميد ــ رحمه الله ــ : «وقد صرح قوم بأن نصب الجزءين لغة جماعة من العرب ، ومنهم من نسبها إلى تميم» . (الأشموني ، ١/٤٧٠ هامش) .

فنرى أن هذه اللغة لم تنسب إلى الحجاز ونسبها بعضهم إلى غيره ، ويفضل رابين أن تنسب إلى الحجاز ؛ لأنها شاذة ، وهو يريد أن يكتب من شذوذ العربية لغة وينسبها إلى الحجاز ، مهما كلفه ذلك من تنكب لطريق العقل والعلم والتجني على أقوال علماء العربية ، فيقول : يمكن قبول رأي ابن هشام باعتبار أن هذه اللهجة كانت عربية غربية !!

ويؤكد ما قال محمد محيي الدين ، قول ابن يعيش : «وكان بعضهم ينصب الاسم والخبر بعد ليت ، تشبيهاً لها بوددت وتمنيت ؛ لأنها في معناهما ، وهي لغة بني تميم ، يقولون : ليت زيداً قائماً» . (شرح المفصل ، ١/١٠٤) .

ــ قال في ص ٢٨٤ : «تقول خزاعة (لِك) .. بكسر اللام ، بدلاً من فتحها .. وعند اللحياني (كما في تاريخ الرافعي ، جـ ١ ص ١٤٤) استعملت هذا قبائل أخرى» .

والذي قال الرافعي هو : «في لغة خزاعة يكسرون لام الجر مطلقاً ، مع الظاهر والضمير .. ونقل اللحياني ذلك عن خزاعة أيضاً» . (تاريخ آداب العرب ، ١/١٥١) .

فلم يقل إن غيرهم استعمله .

ــ قال في ص ٢٩١ إن من المحتمل أن يكون قلب طيء الياء

المفتوحة في الفعل الماضي ، نحو (لقِيَ) مستعملاً في الحجاز ، ويؤيد هذا الاحتمال حديث قوي برواية ابن التين ورد في البخاري ، وفيه (رقَى) ، ويتبعه بتساؤل : هل قراءة حمزة لقوله تعالى ﴿**فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين**﴾ بإسكان الياء فصيحة أو حجازية .

والحديث الذي يشير إليه ، هو حديث الرجل المشهور وسقيه للكلب الذي رآه يلهث يأكل الثرى من شدة العطش . وقد أشار في نقله إلى البخاري والقسطلاني ، وعلى الأخير عول في نقل رواية ابن التين ، ولكنه اكتفى بما قال القسطلاني بما يؤيد احتماله ، وأغفل ما ينقضه .

قال القسطلاني : «ثم رَقِيَ» منها بفتح الراء وكسر القاف كصَعِدَ وزناً ومعنى . ومقتضى كلام ابن التين ، أن الرواية (رقى) ، بفتح القاف ، وذلك أنه قال «ثم رقى» كذا وقع ، وصوابه (رَقِيَ) على وزن عَلِمَ ، ومعناه صعد . قال تعالى ﴿**أو ترقى في السماء**﴾ وأما (رقَى) بفتح القاف ، فمن الرقية ، وليس هذا موضعه . وخرجه على لغة طيء ...» . (القسطلاني ، ٤/٢٠٢) .

فأنت ترى أن ابن التين أنكر هذه الرواية ، وقال إن صوابها (رقِيَ) على وزن علم .

وأصرح من هذا في إنكار ابن التين لها ، قول ابن حجر : «ثم رَقِيَ» بفتح الراء وكسر القاف ، كصَعِدَ وزناً ومعنى ، وذكره ابن التين بفتح القاف بوزن مضى ، وأنكره وقال عياض في (المشارق) : هي لغة طيء ؛ يفتحون العين فيما كان من الأفعال معتل اللام ، والأول أفصح وأشهر» . (فتح ، ٥/٤١) .

ولو فرضنا صحة هذه الرواية ، فإنها جاءت على لغة طيء ، لا على لغة الحجاز ، أما لماذا جاءت على لغتهم والرسول ﷺ حجازي ؟ فيعرفه من يعرف أن رواية الحديث قد تكون بالمعنى ، وإذا كان بعض النحويين منع الاستشهاد به على إقامة قواعد العربية ؛ لاحتمال لحن الراوي إن لم يكن عربياً ، فترك الاستشهاد به على لغة الرسول ﷺ أحرى ؛ إلا إذا قامت لدينا بينة على أنه يمثلها ، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة اللغة نفسها مسبقاً ، أو بوساطة علماء اللغة .

وأما الآية ، فلا شاهد فيها في هذا الباب ؛ لأن قراءة حمزة لها ، هي (أُخفي) بالياء الساكنة ؛ على أن الفعل مضارع (أخفى أنا) . ولا أدري لم أوردها !

— قال في ص ٢٩٤ : «ونحن لن نقبل رأي ابن مالك .. الذي استدل بوجود هاتين الطريقتين (الفك والإدغام في الفعل المضعف المجزوم) من نطق هذه الصيغ على أن القرآن قد نزل بعضه بلهجة الحجاز وبعضه بلهجة تميم» .

ثم قال إن هاتين الطريقتين توجدان معاً في شعر عمر بن أبي ربيعة وشعر الشعراء جميعاً . ومن ثم ، فالصيغتان كانتا موجودتين معاً في إحدى مناطق الجزيرة ، فأخذتهما الفصحى معاً من هذه المنطقة ، وفي أطراف الجزيرة يحتمل أن تكون لهجة ما ، قد اختارت واحدة منهما واختارت لهجة أخرى طريقة أخرى .

هو يشير إلى قول ابن مالك : «أنزل القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً ، فإنه نزل بلغة التميميين ، كالإدغام في : من يشاقّ الله ، وفي من يرتدّ منكم ، فإن إدغام المجزوم لغة تميم ، ولهذا قل ، والفك لغة الحجاز ، ولهذا كثر» . (الإتقان ، ١/١٧٧) .

وعدم قبول رابين لقول ابن مالك لا يضر ، ما دام رابين يرفض الحق من غير دليل ، سوى الاحتمالات التي لاقيمة لها ، والاحتمالات التي لو جاز لنا أن نحاكي رابين فيها ، لقلنا إن رابين نفسه يحتمل أن يكون شخصاً كان حياً أيام هوميروس ، أو هو شخص لم يخلقه الله ! وكتابه يحتمل أن يكون لسيبويه ! وأحسب أنه لو تنبه إلى قوله إن الصيغتين موجودتان في شعر عمر والشعراء جميعاً ، لو تنبه إلى معناه جيداً ، لما خطت يمينه ما سطر في هذا الكتاب مما يعلم ، فكم صيغة لم ترد في نص حجازي ، ولا نسبها أحد إلى أهل الحجاز ، قال هو إنها لهم ، وكم صيغة وردت في نصوص حجازية وغير حجازية ، خص هو بها أهل الحجاز !

إن قول ابن مالك هذا يدفع نظريته التي بنى عليها كتابه كله ، من أن قواعد لغة القرآن شرقية ، وأن النحويين كانوا يناصرون لغة البدو على لغة أهل الحجاز ، وابن مالك نحوي ، وهو يقول إن لغة القرآن حجازية إلا قليلاً .

ومن هنا نعلم سر هذه المحافظة القوية ، التي نلحظ طابع السفسطة عليها ، فهو يريد أن يجعل اللغة الحجازية أخذت هذه الصيغة من منطقة أخرى ، ولم تكن هي حجازية ، كما أن الفصحى لم تأخذها من الحجاز .

قال في ص ٣١١ : «يقول الخليل (كما في سيبويه جـ ١ ص ٢٤٢) إن بعض العرب كان يجعل اسم «إن» مرفوعاً ويعطي مثالاً لهذا ، هو «إن بك زيد مأخوذ» ونلاحظ أن «إن» في هذا المثال قدلا تكون سوى أداة بمعنى «نعم» ، أما ما نقله سيبويه بعد هذا المثال ، فقد استعملت فيه كأن — لا إن — مما يجعلنا نشعر بأن هذه ليست أكثر من محاولة لتبرير إعراب الآية ﴿**إن هذان لساحران**﴾ .

١ — ما قال الخليل ، هو «وروى الخليل — يرحمه الله — أن ناساً يقولون : إن بك زيد مأخوذ ، فقال : هذا على قوله : إنه بك زيد مأخوذ» . (الكتاب ، ٢/١٣٤) .

هؤلاء — كما يرى الخليل — يحذفون اسم إن ، ضمير الشأن ، ولم

يقل إنهم يرفعون اسم إن .

٢ ــ قوله إن معنى (إن) هنا ، نعم ، ليس كذلك ، فلا معنى لنعم في جملة ابتدائية ليست تعليقاً على قول سابق، وأظن أن الخليل أفقه من رابين ، في أساليب العربية ومعانيها !

وقد يكون رابين يذكر جيداً قول ابن هشام : «إن مجيء إن بمعنى نعم شاذ ، حتى قيل إنه لم يثبت» . (المغني ، ١/٣٨) .

٣ ــ كتاب سيبويه كله لم ترد فيه الآية المذكورة بأي حال ، فكيف يكون كلام الخليل تبريراً لها ؟!

ثم إن الذين خرجوها على أن اسم إن فيها ضمير شأن محذوف ، قد انتقد قولهم انتقاداً شديداً ، من قبل النحويين ، ورد بأدلة مسكتة . (المغني ، ١/٣٨) .

إن الخليل وسيبويه ــ رحمة الله عليهما ــ يحللان أسلوباً عربياً ، تحليلاً محضاً، وليس في خلدهما شيء مما يظن رابين .

٤ ــ أما (كأن) ، فهي تساوي (أن) إلا أنها أضيف إليها كاف التشبيه . (الإنصاف ، ١/١٩٧) .

ــ قال في ص ٣١٢ : وجد خبر كان أحياناً مرفوعاً لا منصوباً ، ومعظم الأمثلة التي ذكرت لهذا ، من أصل حجازي ، ومنها حديث .. نصه «كان ذلك الشهر تسع وعشرون» . لم يرد خبر كان مرفوعاً ؛ لكن وردت هي واسمها ضمير شأن محذوف ، كما حذف اسم إن ضمير شأن في المثال السابق ، وهذا الحذف ليس خاصاً بالحجازية ، وكان الأحرى ــ قبل أن يفكر في نسبتها إليها ــ أن يعلل سبب ورودها في نصوص غير الحجازيين .

وقد أشار إلى بيت لأم عقيل بن أبي طالب ترقصه :

أنت تكون ماجد نبيل

وقال إن قول النحاة إن (تكون) زائدة ، غير مقبول .

وهذا تحكم محض ، لم يقدم أساساً له . وزيادة (كان) معروفة في العربية ، وقد تقاس .

قال ابن عصفور إنها تزاد بين الشيئين المتلازمين : كالمبتد أو خبره ، نحو (زيد كان قائم) ، والفعل ومرفوعه ، نحو (لم يوجد كان مثلك) والصلة والموصول ، نحو (جاء الذي كان أكرمته) ، والصفة والموصوف ، نحو (مررت برجل كان قائم) .

وتنقاس زيادتها بين (ما) وفعل التعجب ، نحو (ما كان أصح علم من تقدما) . (ابن عقيل ، ١/٢٨٩) .

وورودها زائدة جاء في شعر الحجازيين . كقول الفرزدق :

فكيف إذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام

والقتال الكلابي يقول :

وماؤكما العذب الذي لو شربته شفاء للنفس كان طال اعتلالها

ولمجهول :

سراة بني أبي بكر تسامى على كان المسومة العراب

وفي هذه الصفحة يقول بعد الحديث الذي أورده : «ويلاحظ القسطلاني (جـ ٤ ص ٢٧٤) أن مثل هذه الحالة كثير في الحديث» .

ولكن القسطلاني لم يزد على أن فسر كان بوُجِدَ ، وأن في الحديث رواية ثانية بنصب (تسع وعشرين) ، على أنها خبر كان الناقصة .

المراجع

ــ الإتقان في علوم القرآن . السيوطي . ط ٤ . القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٨ هـ .

ــ إرشاد الساري . القسطلاني . ط ٦ . القاهرة : مطبعة بولاق ١٣٠٤ .

ــ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام . سعيد الأفغاني . ط ٢ . دمشق : دار الفكر ١٣٧٩ .

ــ الإقناع في القراءات السبع . ابن الباذش . تحقيق عبد المجيد قطامش . ط ١ ، جامعة أم القرى ١٤٠٣ .

ــ الإنصاف في مسائل الخلاف . ابن الأنباري . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ط ٣ . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى .

ــ الإيضاح في علوم البلاغة . الخطيب القزويني . تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي .

ــ أيام العرف في الجاهلية . محمد أحمد جاد المولى وآخران . القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي .

ــ تاريخ آداب العرب . مصطفى صادق الرافعي . ط ٢ . بيروت : دار الكتاب العربي ١٣٩٤ .

ــ تاريخ اليعقوبي . اليعقوبي . بيروت : دار صادر ودار بيروت ١٣٧٩ .

ــ تهذيب اللغة . الأزهري . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

ــ جمهرة أنساب العرب . ابن حزم . تحقيق عبد السلام هارون . ط ٥ . القاهرة : دار المعارف .

- جمهرة اللغة . ابن دريد . ط ١ . بغداد : مكتبة المثنى ١٣٥١ .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . أبو نعيم الأصبهاني . ط ٣ . بيروت : دار الكتاب العربي ١٤٠٠ .
- الخصائص . ابن جني . تحقيق محمد علي النجار . بيروت : دار الكتاب العربي .
- دراسة اللهجات العربية القديمة . داود سلوم . ط ١ . بيروت : عالم الكتب ١٤٠٦ .
- السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه . عبد المنعم فائز . ط ١ . دمشق : دار الفكر ١٤٠٣ .
- شرح ابن عقيل . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ط ١٦ . بيروت : دار الفكر ١٣٩٤ .
- شرح الأشموني . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ط ٢ . القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٨ .
- شرح المعلقات السبع . الزوزني . بيروت : دار بيروت ١٩٨٠ .
- شرح المفصل . ابن يعيش . بيروت : عالم الكتب .
- شرح كافية ابن الحاجب . رضي الدين الأستراباذي . بيروت : دار الكتب العلمية .
- طبقات فحول الشعراء . محمد بن سلام . تحقيق محمود شاكر . القاهرة : مطبعة المدني .
- فتح الباري . ان حجر العسقلاني . المكتبة السلفية .
- فيض القدير . المناوي . ط ١ . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦ .
- القاموس المحيط . الفيروزابادي . ط ٢ . بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٧ .
- الكشاف . الزمخشري . بيروت : دار المعرفة .
- الكامل . المبرد . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة : دار مصر للطباعة والنشر .
- الكتاب . سيبويه . تحقيق عبد السلام هارون . بيروت : عالم الكتب .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس . إسماعيل العجلوني . صححه أحمد القلاش . حلب : مكتبة التراث .
- لسان العرب المحيط . تصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي . بيروت : دار لسان العرب .
- القراءات واللهجات . عبد الوهاب حمودة . ط ١ . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٨ .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها . السيوطي . تحقيق محمد جاد المولى وآخرين . صيدا وبيروت : المكتبة العصرية ١٤٠٦ .
- المصاحف . ابن أبي داود السجستاني . صححه آثر جفري . ط ١ . القاهرة : المطبعة الرحمانية ١٣٥٥ .
- المعارف . ابن قتيبة . تحقيق ثروت عكاشة . ط ٤ . القاهرة : دار المعارف .
- معاني القرآن . الفراء . تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي . ط ٢ . بيروت : عالم الكتب ١٤٠٣ .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . ابن هشام . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة : مطبعة المدني .
- النشر في القراءات العشر ابن الجزري . أشرف على تصحيحه محمد علي الضباع . بيروت : دار الكتب العلمية .

الكتاب في الدوريات العربية القديمة

تحفل الدوريات العربية القديمة مثل المقتطف والرسالة واللطائف والثقافة وغيرها بأخبار ومراجعات للكتب، ونظراً لما قد تحويه مثل هذه الأخبار والمراجعات من فوائد أقلها تذكير القارىء العربي بما صدر في القديم، فسوف نعمد إلى إعادة نشر نماذج منها على صفحات «عالم الكتب» مع الإشارة إلى مصدرها.

من **المقتطف** (مايو ١٩٢٤ م)

باب التقريظ والانتقاد

المعادن والتعدين

نشرت وزارة المالية تقريراً عن صناعة التعدين في مصر ضمنته كثيراً من الفوائد من ذلك أن مساحة القطر المصري نحو مليون كيلو متر مربع منها ٣١٠٠٠ كيلومتر مربع ارض زراعية أو صالحة للزراعة والباقي وهو ٩٦٩٠٠٠ كيلومتر مربع صحراءُ في الغالب لا ماءَ فيها ولا زرع ولا اهمية مالية لها إلّا من حيث ما يوجد فيها من المعادن . وقد بلغ ثمن ما استخرج منها من المعادن سنة ١٩٢١ مليوناً وثلثماية الف جنيه مصري . وكلمة معادن هنا تشمل البترول والفصفات اي كل ما يستخرج من الأرض ولكننا نرجح أنهُ لا يشمل حجارة البناءِ . والاهمية الكبرى الآن للبترول في هذا التقرير كلام مسهب عنهُ . ويليهِ الفصفات المستعمل سماداً والمنغنيس والنترات . ولا يستبعد أن تبلغ قيمة الفصفات قيمة البترول المصري أو تزيد عليها ولسعة الاماكن التي يوجد فيها وسهولة استخراجهِ فاذا تيسَّر استخراج الحامض الكبريتيك في القطر المصري لمعالجة الفصفات بهِ وتحويله الى السبرفصفات النوَّاب كان من تصدير الفصفات تجارة كبيرة رابحة .

ومن المعادن التي فتحت مناجمها واستخرج بعض ما فيها مناجم المنغنيس والذهب والزنك والرصاص والنكل والشب الابيض . والمغرة (اكسيد الحديد الهدراتي) . ومن الحجارة الكريمة الزمرد والزبرجد والفيروز والجمشت .

معاوية بن ابي سفيان

انيس افندي زكريا النصولي مؤلف هذه الرسالة طالب في الدائرة العلمية من جامعة بيروت الاميركية وهو صاحب الفصول القيمة التي نشرناها في مقتطف العام الماضي عن فتح الأندلس . والموضوع الذي طرقهُ الآن من المواضيع الصعبة لان التواريخ العربية اقدمها لا يصل إلى زمن معاوية ولا الى مائة سنة بعدهُ وقلما نجد شيئاً في تواريخ الروم المعاصرين عن تلك المدة وان وجد لا يحتمل ان يكون صحيحاً خالياً من التحيز ونحن نرى الآن انهُ يتعذر علينا أن نكتب تاريخ الحرب الاخيرة أو ان نعتمد على كل ما كتبهُ الالمان والانكليز والفرنسويين عنها لما فيهِ التناقض والتحيز فلم يبقَ لمؤلف هذا الكتاب إلّا أن يعتمد على ما بين ايدينا من كتب المؤرخين كالطبري والدينوري والبلاذري والفخري واليعقوبي والمسعودي وامثالهم وعلى الذين كتبوا في هذا الموضوع من المستشرقين الاوربيين مثل الاب لامنس اليسوعي وعلى استعمال عقلهِ في قبول الروايات والقياس والاستنتاج . فالامورالتي ينقضها العلم او اختبار البشر لا يحسن تصديقها ولو ذكرها اكثر هؤلاءِ المؤرخين .

ويظهر لنا ممَّا تصفحناهُ من هذه الرسالة ان المؤلف بنى ما ذكرهُ فيها على اقوال المؤرخين ولكنهُ لم يكتف بها بل استعمل ما يقتضيهِ حكم العقل من المقابلة والتمحيص والانتقاد والاستنتاج ....

وقابل بين قول الطبري وغيرهِ من المؤرخين في المكان الذي جرى فيهِ التحكيم فصوَّب قول الطبري انهُ كان في اذرح لا في دومة الجندل كما قال غيرهُ مستشهداً باشعار العرب . واقام الادلة على نفي ما ينسب الى عمرو من انهُ خدع ابا موسى الاشعري واستطرد الى وصف الخطة التي سار عليها معاوية في حكومتهِ بعد ان بويع بالخلافة وعبَّر عن المعاني الحكومية بالالفاظ السياسية المستعملة الآن تقريباً للافهام مثل اللامركزية الارستقراطية والاوتوقراطية وقال عن معاوية انهُ كان منظماً حربيًّا من الدرجة الاولى ويبرهن لنا ذلك ان جيش سورية كان اعظم جيوش المملكة الاسلامية قوة وانتظاماً .

....

وحبذا لو زاد المؤلف توسعاً في هذه الرسالة واكثر فيها من اقوال الثقات الذين استشهد بها وبحث عمَّا يقترن بذلك من اقوال مؤرخي الروم المعاصرين اتماماً للفائدة .

رزنامة ١٩٢٤

تأخرت المطبعة الاميرية في إصدار رزنامتها لسنة ١٩٢٤ لكنها اصدرتها الآن بالعربية وبالانكليزية وهي كبيرة حافلة بالفوائد الكثيرة . في العربية منها ٤٠٠ صفحة وفي الانكليزية ٢٦٠ صفحة وكلها بحرف دقيق .

التقرير الصحي السنوي
لحكومة العراق

اصدرت وزارة الداخلية في حكومة العراق تقريرها السنوي لسنة ١٩٢٢ بقلم مدير الصحة العام الدكتور حنا خياط .

يظهر من هذا التقرير ان في العراق الآن ٢٥ مستشفى بعضها كبير فيهِ ٢٥٠ سريراً واصغرها ليس فيهِ سوى خمسة اسرَّة ومجموع الاسرَّة فيها كلها ١١٦٩ سريراً وقد بلغ عدد المرضى الداخلين اليها في خلال السنة ١٦٦٦٥ وعدد العمليات الجراحية الكبيرة التي عملت فيها ١٩٥٨ والصغيرة ٣٠٨٦ ويلحق بهذه المستشفيات مستوصفات (عيادات) بلغ عدد المشاهدات فيها في خلال السنة ٣٧٨١٦١ الجديد منها ١٣١٢٧٣ وهناك مستوصفات مستقلة بلغ عددها ٣٢ وعدد المشاهدات فيها ٥٨٠ ٢٤٤ الجديد منها ١١٣٤٧٥ اي «ان المستوصفات الملكية قامت بالاسعاف الصحي لنحو عشر اهل العراق»

فعسى ان يرينا الانتداب الفرنسوي في سورية نجاحاً مثل هذا اي زيادة في عدد المستشفيات والمستوصفات والاسعاف الطبي فوق ما كان في سورية من المستشفيات والمستوصفات .

تاريخ الموصل
لمؤلفه القس سليمان صائغ

صدر الجزءُ الاول من هذا التاريخ وهو يبتدىء من اقدم ما عرف من تاريخ البلاد التي فيها الموصل الى عهدنا هذا وقد اوجز الكلام على القسم الاول من تاريخها الى ان دخلها العرب فاجملهُ في ٢٧ صفحة وخص بقية الكتاب بتاريخها بعد ذلك . وعندهُ ان الموصل مدينة عربية شيدها العرب حيث كانت قرية صغيرة اسمها حسنا عبرايا اي الحصن عبر النهر وسائر الكتاب في تاريخ الموصل وقد جمع فيه بين اقوال المتقدمين والمتأخرين والباحثين من علماءِ اوربا . فاذا كانت الموصل عربية مصَّرها العرب وكانت مملكة العراق سائرة في سبيل الارتقاءِ الذي يدل عليهِ التقرير الصحي المذكور آنفاً فيكون من مصلحة سكانها ان تبقى من مملكة العراق .

الأدب والدين
عند قدماء المصريين

اهدت الينا مطبعة المعارف ومكتبتها هذا الكتاب من تأليف حضرة انطون افندي زكري من رجال المتحف المصري المعتنين بدرس العاديات المصرية وقد قال انهُ اعتمد في تأليفهِ على مؤلفات مشاهير علماء الاثار ممَّن يوثق بعلومهم ويعتد بآرائهم . وختمهُ بمقالتين الاولى في تاريخ مصر القديم والثانية في جغرافية مصر في العصور الغابرة . فاورد ستًّا من نصائح قاقمنا الحكيم المصري ومنها قولهُ «متى كان الانسان خبيراً باحوال دنياهُ سهل عليهِ ان يكون قدوة حسنة لذريتهِ» و ٥٢ نصيحة من نصائح فتاح خب الفيلسوف يظهر منها تديُّن المصريين وتأدبهم كقولهِ «ان التعرف باعاظم الناس نفحة من نفحات الله» «ان تدبير الخلق بيد الله الذي يحب خلقهُ . اذا نلت الرفعة بعد الضعة وحزت الثروة بعد الفاقة فلا تدَّخر الاموال بمنع الحقوق عن اهلها فانك امين على نعم الله والامين يؤدي امانتهُ وان جميع ما وصل اليك سينتقل منك الى غيرك ولا يبقى فيهِ لك الّا الذكر ان حسناً وان سيئاً» .

والمؤلف يعرف اللغة المصرية فحبذا لو ترجم هذه الحكم عن اصلها ترجمة حرفية لان المصريين الاقدمين كانوا يعبدون معبودات كثيرة او معبوداً تحت اسماء مختلفة باختلاف صفاتهِ فايها ترجم هنا بكلمة الله . ولم نرَ في كل ما راعى المترجمون الاصل في ترجمتهِ ما هو على هذا النحو من الجلاءِ كانهُ من انشاءِ حكماءِ هذا العصر .

نزهة القارىء

واهدت الينا الجزء الثاني من هذا الكتاب لحضرة الأستاذ الشيخ احمد الاسكندري وهو سفر جليل كل ما فيه يصلح ان يكون مثالاً في الانشاءِ نثراً ونظماً عدا ما فيهِ من الحكم البالغة والشروح المفيدة والنوادر المسلية .

﴿ شعراءُ السودان ﴾ مجموعة طيبة من الشعر لاشهر شعراء السودان مزينة برسومهم وتراجم حياتهم جمعها حضرة الاديب سعد افندي مخايل من مصلحة البوستة والتلغرافات السودانية وطبع بمطبعة رعمسيس بالفجالة وثمنهُ عشرون غرشاً .

﴿ الجرارة فوردسن ﴾ رسالة علمية ميكانيكية تأليف محمد أفندي زكي المفتش الميكانيكي بوزارة الزراعة بمصر يذكر فيها تعريفات عن تسييرها وصيانتها وإصلاحها والكلام عليها موضح برسوم كثيرة وقد طبعت بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر .

﴿ ديوان نظيم وازجالهُ ﴾ لناظم عقدها الشاعر المجيد محمود افندي رمزي نظيم واول ما يستلفت الانظار في هذين الجزئين شاعرية الناظم الرقيقة وبعدهُ عن التكلف والتقليد . وقد طبع الديوان بمطبعة رعمسيس بالفجالة والازجال بمطبعة التقدم بشارع محمد علي .

﴿ العجالة الوجيزة في اهرام الجيزة ﴾ وهي رسالة في ٩٨ صفحة وضعها حضرة الاستاذ حسن شوقي ناظر مدرسة شبرا الاميرية ومدرس العلوم الادبية بالمدرسة التوفيقية وصف فيها اهرام الجيزة الكبيرة منها والصغيرة وتاريخها وظاهرها وباطنها من وجه علمي هندسي ثم جاءَ على ذكر ابي الهول وتاريخهِ ومعبده والمقابر الاخرى المجاورة لهُ والكلام موضح بالصور والرسوم الهندسية لتسهيل تناولهِ

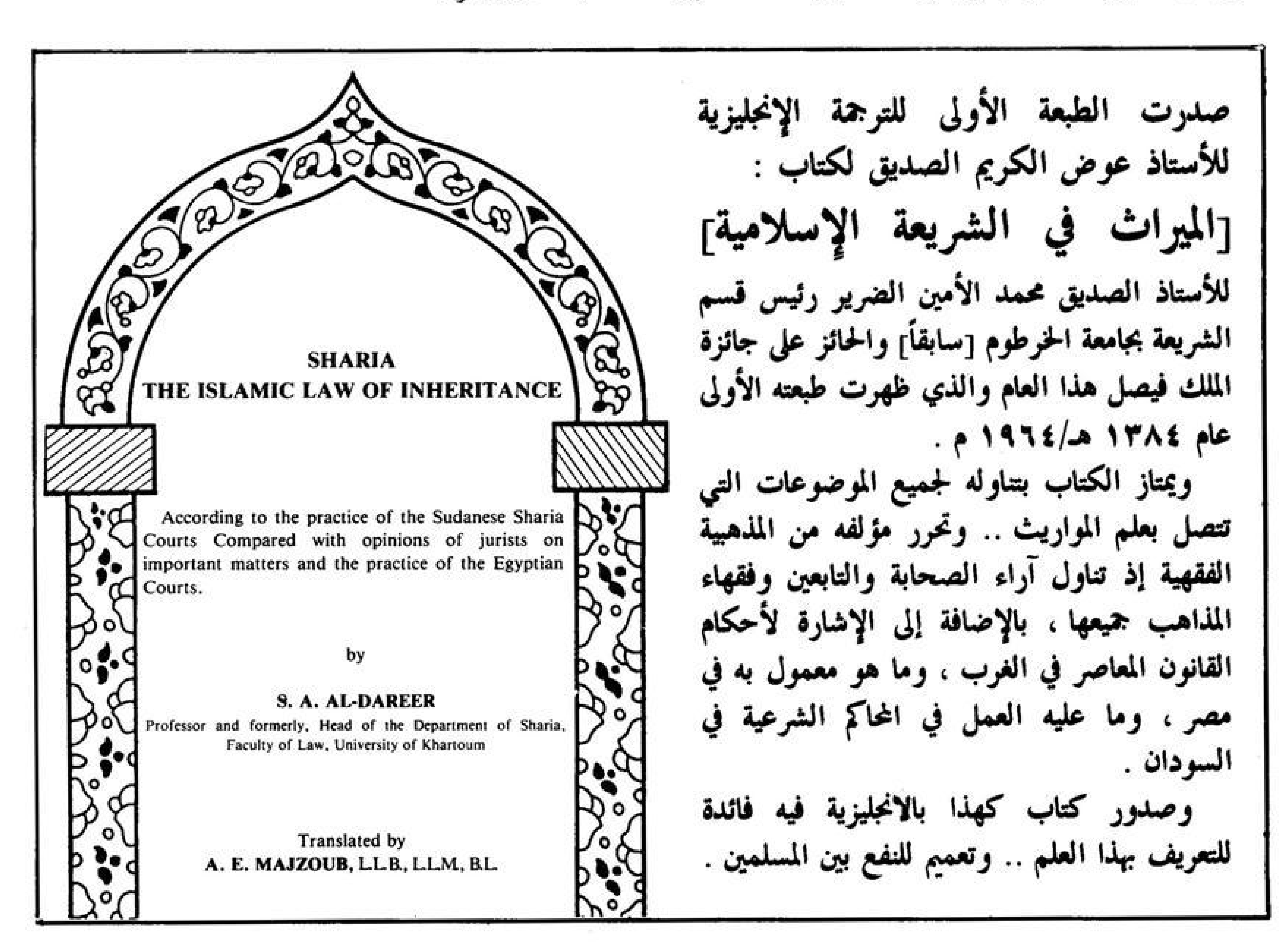
وقد طبع بمطبعة السعادة بمصر .

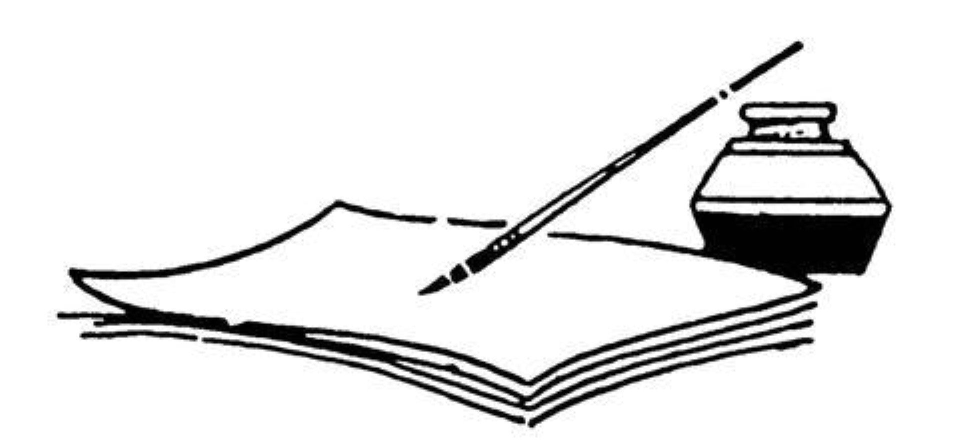
﴿ البستان ﴾ مجموعة اقوال عربية بليغة نثراً وشعراً جمعها الاديب الفلسطيني الاستاذ الكبير اسعاف نشاشيبي وشرح غريبها وقد طبعت بالمطبعة السلفية بمصر وثمن النسخة ثلاثة غروش .

﴿ المختصر في جغرافية فلسطين ﴾ وضعهُ الاستاذ حسين روحي المفتش بادارة المعارف بفلسطين وجاءَ فيه على جغرافية فلسطين الطبيعية والسياسية والادارية وفي الكتاب اكثر من عشرين خريطة لاقسام فلسطين الادارية وثمنهُ عشرة غروش مصرية ويطلب من المكاتب الشهيرة بالقدس .

﴿ اعظم حرب في التاريخ ﴾ رسالة وضعها الاستاذ جرجس الخوري المقدسي صاحب مجلة المورد الصافي واحد مدرسي اللغة العربية بجامعة بيروت الاميركية وفيها وصف مسهب لما عانتهُ سورية اثناءَها من المصائب والويلات وخلاصة لاهم الحوادث السياسية والحربية في مختلف انحاءِ العالم وقد طبعت بالمطبعة الادبية ببيروت .

﴿ مبادىء وصف ووظائف جسم الانسان ﴾ وضع هذا الكتاب العلمي الدكتور عزيز جرجس مدرس علم التشريح بمدرسة الطب الملكية بمصر وقد تناول فيهِ وصف اجهزة الجسم المختلفة فبدأ في وصف الجهاز العظمي ثم الجهاز المفصلي فالعضلي فالوعائي اي القلب والشرايين والاوردة وما اليها ثم العصبي فالتنفسي فالهضمي فالبولي فالتناسلي فالاعضاء الخاصة كالاذن والعين وغيرهما ثم فصل موجز في الغدد الصماء أو العديمة القناة كالغدة الدرقية والطحال وغدة فوق الكلية والغدة النخامية . واكثر الكلام وصفي اي انهُ يصف شكل الاعضاء وموقعها ثم يجيء على ذكر موجز لاعمالها . والكلام موضح بالرسوم الكثيرة ولعلهُ من اكثر الكتب العلمية العربية التي اطلعنا عليها رسوماً . وقد قررت وزارة المعارف تدريسهُ ويطلب من مكتبة الهلال بمصر .





رسالة فلسطين الثقافية

ماجد الزبيدي

أخبار

• أقدمت سلطات الاحتلال الإسرائيلي في ١٤٠٩/١١/١٢ هـ، ١٩٨٩/٦/١٥ م على إغلاق مكتب «الأراضي المقدسة للصحافة» التابع لسري نسيبة في القدس المحتلة، لمدة سنتين، وصادرت منه كافة الملفات الموجودة.

• أقيم في المركز الثقافي البلدي في يافة الناصرة، معرض للكتاب العربي استمر من ١٠ نيسان (أبريل) حتى ١٧ من الشهر نفسه.

وتضمن المعرض كتباً علمية وأدبية وقواميس وروايات لكبار الكتاب العرب والعالميين.

• اعتقلت سلطات الاحتلال الصهيوني بتاريخ ١٩٨٩/٧/٣، الشاعر والكاتب الفلسطيني أسعد الأسعد، رئيس تحرير مجلة «الكاتب» الشهرية وأمين عام اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وذلك بسبب رفضه أوامر قيود الاحتلال بإزالة الشعارات الوطنية المكتوبة على جدران قريبة من بيته.

ويذكر أن رئيس اتحاد الكتاب الفلسطيني، الشاعر المتوكل طه، كان قد دخل المعتقلات الصهيونية أكثر من مرة، وكذلك أعضاء الأمانة العامة للاتحاد: عبد الناصر صاع، عزت الغزاوي وجمال نبورة.

• ضمن سلسلة «بدايات ـــ أدب عربي» أصدرت دار «كيتر» للنشر مجموعة قصص عربية معاصرة مترجمة للغة العبرية تحمل اسم «وراء الأفق الداني».

تضم المجموعة ستاً وعشرين قصة لقصاصين عرب معاصرين، بينهم القصاصان الفلسطينيان جبرا إبراهيم جبرا وأكرم هنية والقاص رياض بيدس ابن مدينة شفا عمرو.

ويذكر أن هذا هو الكتاب الثاني الصادر عن سلسلة «بدايات» بعد رواية «الجبل» للكاتب المصري فتحي غانم (الاتحاد ١٩٨٩/٧/٢١).

• أنتج ضابط إسرائيلي يدعى «حايم برشيت» فيلماً عن الانتفاضة الفلسطينية بعنوان «وضع خطير» لصالح لجنة حرية الرأي للفلسطينيين والإسرائيليين وهي حركة تعمل في لندن.

ويستعرض الفيلم بواسطة أعضاء في منظمات يسارية وحركة «السلام الآن» ونواب عن الكنيست القضية الفلسطينية ويعطي انطباعاً عن وحشية ولا إنسانية من جانب إسرائيل، ويصوّر الفيلم طفلاً فلسطينياً جريحاً وجنوداً إسرائيليين يطلقون الغازات المسيلة للدموع، فيما تظهر نساء فلسطينيات يستصرخن من أجل النجدة. (الكاتب ع ١٠٨، نيسان (أبريل) ١٩٨٩).

• وقع ٣٣٥ من الجامعيين والباحثين والمفكرين الفرنسيين عريضة تطالب السلطات الإسرائيلية بفتح المؤسسات الجامعية المغلقة في الأرض المحتلة منذ أكثر من سنة. وعُلِمَ أن العريضة الموجهة إلى وزير الحربية الإسرائيلي رابين سُلّمت من قبل مدير البحوث في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي بول كيسلير إلى نائبة حزب العمل في الكنيست أورا نامير. وجاء في العريضة التي وقعها، بشكل خاص، حائز جائزة نوبل للطب فرنسوا جاكوب وعالم الرياضيات لوران شفارتز والمؤرخ بيار فيدال ناكيه: «إننا نطلب التعجيل بإعادة فتح المؤسسات الجامعية باسم الحق في الثقافة والتربية». (فلسطين الثورة ١٩٨٩/٣/١٩).

• بدأ قسم السينما والتلفزيون في منظمة التحرير الفلسطينية الذي يشرف عليه المخرج غالب شعث، في إعداد مسلسل تلفزيوني عن الأرض المحتلة باسم «الشمس» مأخوذ عن قصة باسم «عباد الشمس» للكاتبة الفلسطينية سحر خليفة. (المصدر نفسه).

• نوقشت يوم ١٩ تموز (يوليو) الماضي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، رسالة تقدم بها المراكشي عمر لنيل دكتوراه الدولة في الأدب العربي، وكان موضوعها: «البطل في الرواية الفلسطينية»

والأطروحة مكونة من مدخل جعله المؤلف في مبحثين، أحدهما عن المنهج، والثاني عن قطاع البطولة في التاريخ وفي النقد الكلاسيكي، وفي الحقل البنيوي والسيميائي. ويلي المدخل بابان، الأول يتناول تجربة البحث عن البطل في الرواية الفلسطينية.

والرسالة برمّتها، تتخذ الروائيين غسان كنفاني وإميل حبيبي مداراً للدرس. (المصدر نفسه).

وفيات

• **مصطفى مراد الدباغ**

توفي المؤرخ الفلسطيني مصطفى مراد الدباغ، في الأول من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٩ م/٢ ربيع الأول ١٤١٠ هـ، عن عمر يناهز الإثنين والتسعين عاماً، قضاها في العملين التربوي والتأليفي. وهو من مواليد يافا سنة ١٨٩٧ م، وحصل دروسه الابتدائية فيها، قبل أن ينتقل إلى بيروت ليحصل دراسته الثانوية في المدرسة السلطانية.

وإلى جانب دراسته للغة العربية درس اللغتين التركية والفارسية . (فلسطين الثورة ، ١٩٨٩/١٠/٢٢) .

ظل المرحوم في الحجاز حتى احتلال الجيش البريطاني لفلسطين ، فعاد إليها وعين مديراً لمدرسة المنشية الأميرية (١٩١٩ ــ ١٩٢٢) ، فمديراً لثانوية الخليل (١٩٢٢ ــ ١٩٢٥) ، فأستاذاً للاجتماعيات في دار العلمين بالقدس سنة ١٩٢٦.. ثم مفتشاً للمعارف في يافا (١٩٣٣ ــ ١٩٤٠) ثم في نابلس (١٩٤٠ ــ ١٩٤٥) ثم عاد مفتشاً للمعارف في يافا (١٩٤٥ ــ ١٩٤٨) .

وبعد أن اجتاحت النكبة الأولى فلسطين (١٩٤٨) عُين أستاذاً للاجتماعيات في ثانوية حلب ، فمفتشاً لمدارس المقاصد الخيرية ببيروت (١٩٤٩) ، فمساعداً لوكيل وزارة المعارف الأردنية (١٩٥٠) ، فوكيلاً لوزارة المعارف (١٩٥٤) ، فمديراً للمعارف في قطر (١٩٥٩ ــ ١٩٦١) .

من آثاره القلمية :

١ ــ مدرسة القرية . طبع عام ١٩٣٥ .

٢ ــ بلادنا فلسطين ، طبع عام ١٩٤٧ (الطبعة الأولى)، ونشره المؤلف . في بيروت عن دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧١ م/١٣٩١ هـ .
وهو من أهم المؤلفات في معرفة بلدانية فلسطين ، يقع في أكثر من ٥ آلاف صفحة .

٣ ــ التاريخ القديم للوطن العربي . طبع عام ١٩٥١ .

٤ ــ قطر : ماضيها وحاضرها . طبع عام ١٩٦١ .

٥ ــ الموجز في تاريخ فلسطين . طبع عام ١٩٥٦ .

٦ ــ الجزيرة العربية (جزءان) طبع عام ١٩٦٢ .

(المصدر : العودات ، يعقوب (البدوي الملثم)/من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ــ ط ٢ ــ عمان : وكالة التوزيع الأردنية ، ١٩٨٦ ، ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ بتصرف قليل) .

● **محمد علي الصالح**

توفي في مدينة طولكرم المحتلة ، الشاعر الفلسطيني **محمد علي الصالح** ، الذي كان صديقاً لعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) وإبراهيم طوقان . وقد كتب الصالح العديد من القصائد الوطنية والثورية ولكن لم يجمع شعره في ديوان . ويذكر أنه اعتقل لمدة ست سنوات في معتقل المزرعة الكائن في مدينة عكا خلال مرحلة الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ . (صوت فلسطين ، تموز (يوليو) ١٩٨٩) .

توحيد الكتاب والأدباء الفلسطينيين في إسرائيل

بعد أن أثمرت الانتفاضة الفلسطينية الباسلة في توحيد جناحي اتحاد الكتاب في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين ، اتجهت رياح الانتفاضة نحو كتاب وأدباء فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ .

فقد تم في مقر «اتحاد الكتاب العرب في إسرائيل» بحيفا مساء يوم (١٩٨٩/٨/٢٦/٢٤ محرم ١٤٠٩ هـ) التوقيع على «البيان التأسيسي» «للاتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين في إسرائيل» بحضور ممثلين عن «اتحاد الكتاب العرب في إسرائيل» و «رابطة الكتاب الفلسطينيين في إسرائيل» .

وفيما يلي النص الكامل للبيان التأسيسي .

«من منطلق المسؤولية التاريخية والوطنية والحضارية ، واستجابة لطموحات كتابنا وجماهير شعبنا العربي الفلسطيني خاصة في هذه الظروف التاريخية الهامة التي يمر بها شعبنا في انتفاضته الباسلة ونضاله البطولي من أجل الحرية والاستقلال والسلام ، وبدافع من الأمانة التاريخية الملقاة على عاتق الكتاب الوطنيين ، واحتراماً لدور الكلمة المبدعة الديمقراطية والمقاومة التي امتاز بها الأدب الفلسطيني ، فإننا نزف لشعبنا العربي الفلسطيني في إسرائيل وفي دولة فلسطين المحتلة وفي جميع مواقعه ولقوى السلام عامة ، بشرى الإعلان عن قيام «الاتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين في إسرائيل» المكوّن من «اتحاد الكتاب العرب في إسرائيل» و «رابطة الكتاب العرب الفلسطينيين في إسرائيل» إطاراً وطنياً من إطارات شعبنا ، وليأخذ دوره الثقافي والوطني على الساحة . وقد تألفت هيئة إدارية من الطرفين برئاسة الشاعر سميح القاسم وعضوية الإخوة (حسب الأبجدية) حنا أبو حنا و فهد أبو خضرة وميشيل حداد وأحمد درويش ونزيه خير ومحمد علي طه وطه محمد علي وجمال قعوار وفاروق مواسي» . (الاتحاد ، ١٩٨٩/٨/٢٧) .

سير

● **حنا أبو حنا** : ولد في قرية الرينة [محتلة منذ عام ١٩٤٨] قضاء الناصرة في ١٩٢٨/١٠/١٦ ، أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في الناصرة ، ثم تابع الدراسة الثانوية والعليا في الكلية العربية في القدس .

عند تخرجه سنة ١٩٤٧ ، حصل على بعثة للدراسة في بريطانيا ، ولكن ظروف البلاد الفلسطينية آنئاك حالت دون تحقيق ذلك .

كتب الشعر في سن مبكرة ، نال جائزة الشعر السنوية في الكلية العربية ثلاث سنوات متوالية ، نشر في الصحف الفلسطينية الشعر والمقالة في «المنتدى» و «القافلة» و «المهماز» ، وشارك في تحرير وإعداد برامج الطلبة في إذاعتي القدس والشرق الأدنى في فلسطين .

عمل في التعليم منذ عام ١٩٤٨ ، واشترك في الحياة الثقافية في [فلسطين] مشاركة فعّالة . نشر في صحيفة «الاتحاد» الحيفاوية ، وكان من الفريق الذي أعد لإصدار مجلة «الجديد» وأسهم في تحريرها .

في سنة ١٩٥٣ أصدر مجلة «الغد» وشارك في المهرجانات الشعرية والمحاضرات والندوات الكثيرة . تابع دراسته الأدبين العربي والإنجليزي في جامعتي حيفا وتل أبيب ، وهو مدير الكلية الأرثوذكسية العربية في حيفا منذ سنة ١٩٧٤ ، ويعلم في فرع اللغة العربية في جامعة حيفا . شارك عام ١٩٨٤ في إصدار مجلة «المواكب» (مجلة ثقافية أدبية تصدر في مدينة الناصرة) .

علاوة على إنتاجه الشعري ، يوجه اهتماماً مكثفاً في الآونة الأخيرة لدراسة التراث الأدبي والفكري الفلسطيني وإحيائه . بتكليف من «جمعية الكتاب المقدس العالمية» أشرف على مراجعة الترجمة الحديثة للمزامير على الأصل العبري . ترجمت قصائده إلى العبرية والإنكليزية والروسية .

مؤلفاته :

١ ــ **نداء الجرح** . (ديوان شعر) ــ عمان : مكتبة عمان ، ١٩٦٩ (تقديم عبد الرحمن ياغي ، شوقي ضيف) . وقد طبع الديوان مرة ثانية في دار العودة في بيروت عام ١٩٧٠ وقدم له أحمد سعيد محمدية .

٢ ــ **ليالي حزيران** . (رواية مترجمة عن الكاتب الروماني تيرو دمتريو) ــ حيفا : مطبعة الاتحاد ، ١٩٥١ .

٣ ــ **ألوان من الشعر الروماني** . (قصائد مترجمة شعراً) حيفا : مطبعة الاتحاد ، ١٩٥٥ .

٤ ــ **من قضايا التعليم في الوسط العربي** (دراسة) . الناصرة ، ١٩٧٧ .
٥ ــ **عالم القصة القصيرة** (دراسة) . عكا ١٩٧٧ .
٦ ــ تحقيق وتقديم **رواية مفلح الغساني**/تأليف نجيب نصار .ــ الناصرة : الصوت ، ١٩٨١ .
٧ ــ **الأدب الملحمي** .ــ حيفا : [مجلة] الكرمل ، ١٩٨٣ .
٨ ــ محمود ، عبد الرحيم . **روحي على راحتي** (ديوان شعر) ؛ **تحقيق الديوان ودراسة** موسعة عن الشاعر .ــ الطيبة : مركز إحياء التراث ، ١٩٨٥ .
٩ ــ **لهب القصيد : دراسات في شعر أبي سلمى** .ــ الناصرة : [مجلة] المواكب ، ١٩٨٤ .
١٠ ــ **خريجو السمنار الروسي ودورهم في النهضة الأدبية الحديثة** .
١١ ــ **مبنى القصيدة والصور المحورية في شعر إبراهيم طوقان** .
١٢ ــ **الشعر الفلسطيني والازدواجية** .
١٣ ــ **قصائد من حديقة الصبر** (ديوان شعر) .

● **شفيق حبيب** : ولد الشاعر شفيق حبيب في بلدة دير حنا ، يوم ١٩٤١/١٢/٨ وفيها أتم دراسته الابتدائية ، وبعدها أتم دراسته الثانوية سنة ١٩٦١ في المدرسة الثانوية البلدية بالناصرة . نال دبلوم المحاسبة من دار الموظف بحيفا . اشترك في مهرجانات وندوات عديدة ونشر في مختلف الصحف المحلية . يحمل شهادة الصحافة والعلاقات العامة من المعاهد البريطانية .

من مؤلفاته (شعر)
(١) قناديل وغربان .ــ القدس : دار الأيتام الإسلامية ، ١٩٧٢ .
(٢) مأساة القرن الضليل .ــ الناصرة : مطبعة وأوفست الحكيم ، ١٩٧٦ .
(٣) دروب ملتهبة .ــ الناصرة : مطبعة وأوفست الحكيم ، ١٩٨٠ .
(٤) وطن وعبير .ــ الناصرة : مطبعة وأوفست الحكيم ، ١٩٨١ .
(٥) أنادي أيها المنفى .ــ الناصرة : مطبعة وأوفست الحكيم ، ١٩٨٤ .
(٦) أحزان المراكب الهائمة .ــ الناصرة : مطبعة وأوفست الحكيم ، ١٩٨٦ .

نشر في الصحف والمجلات التالية : المرصاد ، اليوم ، الهدف ، المصوّر ، الكواكب ، هذا العالم ، الأخبار ، الأنباء ، الشرق ، الاتحاد ، الكرباج (نشرة أصدرتها لجنتا الطلاب الفلسطينيين في جامعة حيفا والتخنيون) ، مشاوير ، المواكب ، الصنّارة ، التضامن ، الوطن .

● **فوزي عبد الله** : ولد في الناصرة ، يوم ١٩٤٢/١/٢٠ ودرس فيها الابتدائية والثانوية . أنهى دراسته للقب الجامعي الأول (بكالوريوس) في جامعة حيفا وللقب الثاني (الماجستير) في جامعة تل أبيب في موضوع اللغة العربية وآدابها ، وكانت أطروحته عن «الرومانسية في شعر إبراهيم ناجي» .

عمل ــ منذ بداية شبابه إلى أن توفاه الله ــ ، في سلك التعليم وفي الصحافة . فعلم في الثانويات وفي جامعة تل أبيب ، وأصدر ــ وهو طالب في الثانوية ــ سنوات ١٩٥٧ ــ ١٩٥٩ أول مجلة مطبوعة في الوسط العربي [الفلسطيني في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨] بمشاركة عدد من زملائه الطلاب الذين أصبحوا فيما بعد أدباء معروفين وأسسوا يومها ــ مشتركين ــ أسرة «الجيل الجديد» .

ساهم في تأسيس «ندوة الناصرة الأدبية» في السبعينات ، التي ضمت لجنة من الأدباء المعروفين ، بينهم، جمال قعوار ، جورج قنازع ، فهد أبو خضرة وآخرون .

عضو مؤسس في جريدة الصنارة حيث عمل محرراً لها مدة سنة ونصف «١٩٨٤/٨٣» .

أسس جمعية المواكب وأصدر مع زملائه الأدباء مجلة المواكب التي شغل منصب رئيس تحريرها (ظهر أول عدد منها في كانون الثاني ١٩٨٤) .

ساهم مع زملائه في تأسيس الحركة التقدمية للسلام شغل فيها منصب عضو المكتب السياسي ورئيس تحرير جريدة الوطن الناطقة بلسان الحركة .

شارك في ندوات عديدة وفي إلقاء محاضرات في عشرات القرى الفلسطينية العربية واليهودية ، كما شارك في مؤتمرات محلية ودولية في مواضيع أدبية وثقافية وسياسية .

أقام مع زملائه «مؤتمر الفكر الفلسطيني» الذي عقد أول مرة ثلاثة أيام متتالية في أيار ١٩٨٥ وعقد ثاني مرة ثلاثة أيام كذلك في حزيران ١٩٨٦ .

نشر المقالات الأدبية والفكرية والسياسية ، ونشر الدراسات النقدية للإنتاج الأدبي المحلي بشكل خاص في المجلات والصحف المحلية ، أنتج وقدم بعض البرامج التلفزيونية .

مؤلفاته : أصدر مجموعات شعرية هي :
١ ــ موعد مع المطر .ــ الناصرة : مطبعة وأوفست الحكيم ، ١٩٦٩ .
٢ ــ الطيور المهاجرة .ــ الناصرة : مطبعة وأوفست الحكيم ، ١٩٧٣ .
٣ ــ الفارس يترجل .ــ الناصرة : مطبعة وأوفست الحكيم ، ١٩٧٤ .
٤ ــ شذود الخطى .ــ ١٩٧٩ .
٥ ــ قصائد عن الخروج والعودة .ــ ١٩٨٧ .

المصادر : ١ ــ المواكب (أعداد متفرقة) .
٢ ــ مورية ، شموئيل ومحمود عباسي/تراجم وآثار في الأدب العربي في إسرائيل ، ١٩٤٨ ــ ١٩٨٦ .ــ ط ٣ ، مزيدة ومنقحة .ــ شفا عمرو : دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٨٧ .

محاضرات وندوات

● **اللقاء السنوي الثالث للجغرافيين العرب** .

عقد في «مركز الجليل للأبحاث الاجتماعية» في مدينة الناصرة (١٩٨٩/١٠/٨) «اللقاء السنوي الثالث للجغرافيين العرب» .

وقد ألقيت في اللقاء المحاضرات التالية :

● **جغرافية سياسية** : (١) علاقة موارد المياه بالاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية . محاضرة قدمها بشير نجم من جامعة نوثرن أيوا في الولايات المتحدة .
(٢) أنماط تصويت المواطنين العرب للانتخابات البرلمانية في إسرائيل . محاضرة قدمها طالب الماجستير في جامعة حيفا ، عاهد فاعور .
(٣) البعد السياسي للتخطيطات الإقليمية في منطقة الناصرة . محاضرة لغازي فلاح من مركز الجليل للأبحاث الاجتماعية .

● **جغرافية اقتصادية ــ عمرانية** : (١) أهمية الزراعة في اقتصاد دولة فلسطين الجديدة . محاضرة لفوزي الأسدي الأستاذ في جامعة العين بالإمارات العربية المتحدة (قرئت المحاضرة غيابياً) .
(٢) أنماط التنزه في الوسط العربي في البلاد الفلسطينية . محاضرة كامل يعقوب، أستاذ الجغرافيا في الكلية الأرثوذكسية بمدينة حيفا .
(٣) تأثير خشونة المسطبة النهرية على ميكانيكية الجرف النهري . محاضرة مروان حسن (باحث زائر في جامعة بريتش كولومبيا ــ كندا) .

● **جغرافية العمران** : (١) الأوضاع السكنية للأحياء العربية في اللد . محاضرة طالبة الماجستير في جامعة حيفا ، غادة فاعور .
(٢) جغرافية الشبكات الاجتماعية في مدينة شفا عمرو . محاضرة طالب الدكتوراه في الجامعة العربية بالقدس ، عمر خطيب .
(٣) تأثير الحضارة الأوروبية على فن الزخرفة المعمارية في مدينة الناصرة في أواخر الفترة العثمانية في فلسطين . محاضرة طالب الماجستير في الجامعة المعبرية ، شريف شريف الصفدي .

دوريات

● **الأسوار للأبحاث الفكرية والثقافة الوطنيه** .
ع ٤ ، صيف ١٩٨٩/١٤٠٩ هـ . دورية فصلية ، تصدر في مدينة عكا القديمة ـــ المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ـــ عن مؤسسة الأسوار .
من مواد العدد :
ـــ تأثير الانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلي . عادل سمارة .
ـــ القصة الكاملة لقرى اللطرون . أميرة حسن .
ـــ مكانة مبدأ حماية السكان المدنيين في القانون الدولي . ديب عكاوي .
ـــ الفن التشكيلي الفلسطيني . إسماعيل شموط .
ـــ الجليل في التراث الشعبي . سعود الأسدي .
ـــ أطفال الانتفاضة . علي الخليلي .
ـــ رحيل الشاعر عصام العباسي . يعقوب حجازي .
ـــ رثاء الشاعر عصام العباسي . سميح القاسم .
ـــ الارتقاء من الارتداد الرومانسي . عطا الله جبر .

● **الغد** .
ع ٤ ، تموز (يوليو) ١٩٨٩ .
ـــ تقرير عن بلدة كفل حارس [ودورها في الانتفاضة] . رياح خروب ودرويش رابي .
ـــ حوار عميق وشامل مع الشاعر سميح القاسم .
ـــ يحيى أبو شريف يكتب عن الذين يحملون الانتفاضة على أكتافهم .
ـــ في الذاكرة ـــ كفر برعم [بلدة هُجر أهلها منها بعد عام ١٩٤٨] .
ـــ آفة المخدرات وجريمة القتل في الناصرة . ابتهاج مجلي .
ـــ تحقيق عن التجنيد الإجباري المفروض على الشباب العربي الدرزي .

● **الكرمل : أبحاث في اللغة والأدب** .
ع ٩ (١٤٠٨/١٩٨٨ هـ) .
مجلة سنوية يصدرها قسم اللغة العربية وآدابها ، ومعهد دراسات الشرق الأوسط في جامعة حيفا :
ـــ رسالة في الدمامة لمحمد بن حمزة الأيديني وما سبقها من مواقف الأدباء من العاهات والقبح . يوسف سدان .
ـــ تيار الوعي : دراسة تطبيقية في قصة ليوسف إدريس ، إبراهيم طه .
ـــ استجابة الشكل للمضمون في قصص زكريا تامر . ياسين كتانة .
ـــ ملاحظات حول القصة المصرية القصيرة وحرب أكتوبر . صادوق مصليح .

● **الفكر الجديد** .
ع ١ ، آب (أغسطس) ١٩٨٩/محرم ١٤١٠ هـ . دورية فصلية للبحوث والثقافة ، تصدر عن مكتب الراية للدعاية والنشر في مدينة الناصرة ، ويرأس تحريرها صليبا خميس .
ـــ أخلاقيات الانتفاضة الجديدة . زهير الصباغ .
ـــ اقتصاد الطبقة. عادل سمارة .
ـــ موقف المؤسسة الإسرائيلية ووسائل إعلامها من الحرية والصحافة . محمد كيال .

● **شؤون تنموية** :
ع ٣ ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨ . دورية غير منتظمة الصدور ، تصدر عن «الملتقى الفكري العربي» في مدينة القدس المحتلة ، وتعنى بشؤون التنمية في الضفة الغربية وقطاع غزة .
ـــ المرأة الفلسطينية بين آليات السوق ومنظومة القيم التقليدية . إبراهيم الدقاق .
ـــ نضال المرأة الفلسطينية : العقبات والطموحات .
ـــ المرأة الفلسطينية والعمل . آمال خريشة .
ـــ المرأة الفلسطينية والانتفاضة : نتائج ودلالات .
ـــ المرأة الفلسطينية في المناطق المحتلة : ملاحظات إحصائية .
ـــ المرأة الفلسطينية في مشاغل الخياطة . رندة سنيورة .
ـــ أثر العنف الإسرائيلي على الطفل الفلسطيني .
أما العدد الرابع من «شؤون تنموية» ، نيسان (أبريل) ١٩٨٩ ، فقد تضمن العديد من الدراسات، منها :
ـــ إغلاق المؤسسات التعليمية والانتفاضة .
ـــ التحرر الوطني والانتفاضة . إميلكار كابرال .
ـــ حول مفاهيم العلم في العقلية العربية . إبراهيم بدران .
ـــ التعليم في قطاع غزة بالأرقام .
ـــ ببليوغرافيا مختارة حول التعليم في الأرض المحتلة .

● **الكاتب** :
ع ١١٣ ، أيلول (سبتمبر) ١٩٨٩/صفر ١٤١٠ هـ . دورية شهرية تصدر في القدس المحتلة :
ـــ الطريق إلى السلام في أعين مواطني إسرائيل اليهود والعرب .
ـــ مائير كاهانا الحاخام الذي يخيف اليهود . علية البرشومي .
ـــ دور الاستعمار البريطاني في تشطير اليمن إلى شطرين . سيف مقبل .
ـــ «أيام لا تنسى» رواية تقول الحقيقة للأمالي . صالح زقوت .

● **الفجر الأدبي** :
ص ١٠ ، ع ٩٦ ـــ ٩٧ ، آب ـــ أيلول ١٩٨٩/محرم ـــ صفر ١٤١٠ هـ . مجلة أدبية شهرية ، تصدر منذ ١٩٨٣/٥/٣٠ (١٤٠٣ هـ) ، عن مؤسسة الفجر في القدس المحتلة . محررها المسؤول حنا سنيوره ورئيس تحريرها علي الخليلي .
من محتويات العدد :
ـــ حنا إبراهيم الشاب الذي لم يتغرب [دراسة في كتاب : ذكريات شاب لم يتغرب] ، نبيه القاسم .
ـــ اتجاهات القصة العربية . علي عثمان .
ـــ أبو النجم العجلي : أخباره وأشعاره . عمر أحمد شكارنة .
ـــ التفاعل الثقافي يفرض التخصص . فخري صالح .
وفي باب لقاء وحوار : أفنان القاسم ، تصوّف الفعل الفلسطيني . أحمد أبو

سعد : المعجم العربي الحديث لم يولد بعد .

• **المواكب :**

مجلة ثقافية أدبية تصدر كل شهرين عن مؤسسة المواكب في مدينة الناصرة . أسسها ورأس تحريرها الشاعر الراحل فوزي عبد الله ، ويرأس تحريرها حالياً جمال قعوار .

من مواد العدد الأخير :

ــ المذاهب الأدبية فن عربي أصيل . سليمان سمارة .

ــ الغزل بالرسائل والكتب . إبراهيم خواجة .

ــ لمحة عن القدس . مهى ناصر .

• **الملتقى** . صدرت مؤخراً الرسالة الإخبارية الرابعة من «الملتقى» ، أيار (مايو) ١٩٨٩/شوال ١٤١٠ هـ الصادرة باللغتين العربية والإنجليزية عن الملتقى الفكري العربي في القدس المحتلة .

احتوى العدد على ثماني صفحات من القطع الكبير ، مشتملاً على جملة من الأخبار الثقافية المحلية راصداً لنشاطات الملتقى الذي يعد من أهم المؤسسات الفكرية في الضفة الفلسطينية المحتلة .

• **الجديد :**

مج ٣٨ ، ع ٦ ، حزيران (يونيو) ١٩٨٩/ذو القعدة ١٤٠٩ هـ . دورية شهرية ، للآداب والعلوم والفنون ؛ تأسست عام ١٩٥١ م .

تصدر في حيفا ويرأس تحريرها إبراهيم مالك .

ــ بين إلياذة هوميروس وشاهنامة الفردوسي (دراسة أدبية) . حبيب بولس .

ــ المواثيق الدولية تقدم الحماية للأطفال وتصون حقوقهم . ديب عكاوي .

ــ الانتفاضة والتعبير الإبداعي ، محمد علي اليوسفي .

ــ دراسة في أدب الأطفال (الحلقة الثانية والأخيرة) . نبيه أبو صالح .

ــ أدونيس في ديوانه الأخير (شهوة تتقدم في خرائط المادة) . صلاح نيازي .

• **القلم :**

ع ٣ ــ ٤ (العددان الثالث والرابع) . أيار ــ حزيران ١٩٨٩ م ، شوال ــ ذو القعدة ١٤٠٩ هـ .

مجلة تصدر كل شهرين في مدينة حيفا عن كتلة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة في نقابة المعلمين العامة . وهي مجلة تعنى بشؤون المعلمين والتعليم ؛ ويرأس تحريرها عبد المنان شبيطة :

ــ ليس من أجل الأطفال الفلسطينيين فحسب . عبد المنان شبيطة .

ــ قراءة سريعة في ديوان حسين مهنا (تمتمات آخر الليل) .

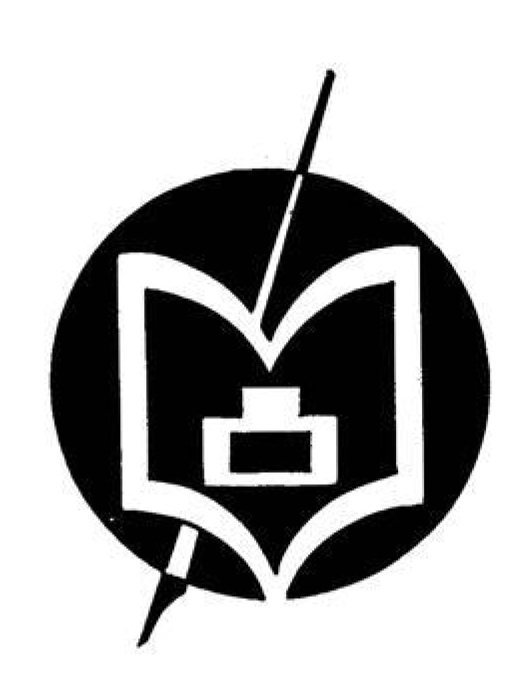
ــ الديمقراطية والتعليم .

ــ الثقافة الفلسطينية تهديد لأمن إسرائيل ؟!

ــ قدرات لازمة لنجاح المعلم .

ــ صعوبات في تعليم الرياضيات .

رسائل جامعية



المخطوط العربي من بداية الحكم العثماني وحتى ظهور الطباعة في المشرق العربي

لعدنان عبد الهادي

عبد الهادي ، عدنان محمود/المخطوط العربي من بداية الحكم العثماني وحتى ظهور الطباعة في المشرق العربي .ـــ رسالة ماجستير .ـــ إشراف محمود عباس حموده .ـــ القاهرة : جامعة القاهرة : كلية الآداب ، قسم المكتبات والوثائق ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م ، ٢ مج .

المخطوط العربي بمعناه الشامل : هو كل ما خط باليد من كتاب أو رسالة أو تقييد باللغة العربية مما له قيمة تاريخية أو أدبية أو فنية تدفع إلى العناية به والإفادة منه . أما المعنى الخاص المتعارف عليه عند المتخصصين في علم المكتبات ، فهو ما خط باليد مما له قيمة علمية أو تاريخية على أوراق تضم بعضها إلى بعض متخذة شكل الكتاب المعروف .

والمخطوط العربي يعتبر أطول المخطوطات عمراً بسبب استمرار اللغة العربية من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث بلا تبديل ، كما أن تأخر ظهور الطباعة في العالم العربي ساعد على طول عمر المخطوط ، يضاف إلى ذلك أن المخطوطات العربية كانت الوعاء الذي استوعب الحضارة العربية الإسلامية وحضارات الأمم السابقة .

إذن فإن تاريخ المخطوط العربي طويل وممتد من أوائل عصر التدوين في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) حتى عصر ظهور الطباعة مع بداية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، وهذا التاريخ لم يدرس دراسة كاملة .

ولعل أول من بدأ هذا الموضوع هو عبد الستار الحلوجي ، حيث قام بدراسة تاريخ المخطوط العربي منذ بداية عصر التدوين حتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) في رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه التي طبعت في كتاب خرجت له حتى الآن ثلاث طبعات ، أما الفترات التالية فهي الآن قيد الدراسة والبحث ، حيث تم تسجيل رسالة ماجستير في قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة تحت عنوان «المخطوط العربي في القرنين الخامس والسادس الهجريين» ، وهناك دراسة قيد التسجيل تغطي القرون الثلاثة التالية وهي السابع والثامن والتاسع الهجرية . أما الفترة الباقية وهي من بداية القرن العاشر حتى بداية الثالث عشر الهجري فلم يتم بحثها ، وهذا ما جعل الباحث يسجل موضوع رسالته فيها .

إذن فالبحث يقع ضمن سلسلة لبحوث سجلت أو هي قيد التسجيل وتحمل هذا العنوان نفسه : «المخطوط العربي» وكل منها يغطي فترة زمنية محددة .

وبشكل عام يدور البحث حول دراسة الكتاب العربي المخطوط في مرحلة من مراحل تطوره ونضوجه ، وهي الفترة التي كانت فيها السلطة الكاملة على العالم العربي والإسلامي لدولة شكلت في يوم من الأيام أكبر امبراطورية عرفها التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً من الزمان وهي الدولة العثمانية .

ويعود إنشاء الدولة العثمانية إلى نهاية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) حيث أخذت هذه الدولة في التوسع إلى أن تم لها فتح القسطنطينية عام (٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م) وبعد ذلك أخذت الدول والولايات المجاورة تسقط في أيدي العثمانيين واحدة تلو الأخرى بسهولة ويسر ، والمهم هنا هو دخول دول المشرق العربي ـــ مصر ، وبلاد الشام ، والعراق ، والحجاز ـــ تحت نفوذ الدولة العثمانية ، ولم يتم ذلك إلا سنة ٩٢٢ هـ/١٥١٦ هـ وهو ما يعدّ البداية الحقيقية لهذا البحث .

ويقف عصر المخطوط العربي عند انتشار الطباعة في المشرق العربي ، ولم يتم ذلك إلا مع بداية القرن الثالث عشر الهجري أي سنة ١٢٢٥ هـ/١٨١٠ م على وجه التقريب .

ونظراً لأن مخطوطات العصر العثماني فاقت من حيث العدد والكثرة كل العصور السابقة ، ونظراً لأن البحث يركز في كثير من جوانبه على دراسة الكتاب العربي المخطوط من الناحية العلمية من جهة وعلى فنونه المتنوعة من ورق وحبر وخط وتجليد وزخرفة وتذهيب من جهة أخرى ، كان الاعتماد الكلي منصباً على المخطوطات الأصلية دون النظر إلى المصورات الفلمية أو الورقية إلا فيما ندر ، ونظراً لأن المخطوطات الأصلية التي تمثل هذا العصر كثيرة أيضاً ، فقد اعتمد الباحث على معايير ومقاييس يتم من خلالها اختيار العينة التي أخضعت للدراسة ، ومن هذه المعايير :

١ . أن يكون تاريخ نسخ المخطوط واقعاً في الفترة ما بين ٩٢٢ هـ إلى ١٢٢٥ هـ .

٢ . أن يكون المؤلف قد عاش في الفترة المذكورة .

٣ . استبعاد ما نسخ في هذه الفترة إذا كان المؤلف من غير تلك الفترة ، والعكس صحيح ، فإن الباحث لم يأخذ بعين الاعتبار تلك المخطوطات التي كان مؤلفوها من فترة الدراسة ونسخت بعد سنة ١٢٢٥ هـ .

واعتماداً على هذه المعايير السابقة يكون الباحث قد استبعد من البحث جميع

المخطوطات الأصلية التي نسخت في هذه الفترة ولم يكن مؤلفوها قد عاشوا في الفترة نفسها ، وحصر العدد في المخطوطات التي ألفت ونُسخت في الفترة الواقعة بين (٩٢٢ ـــ ١٢٢٥ هـ) ومنها تم اختيار العينة العشوائية بعد تقسيمها إلى أربع مجموعات كبيرة .

وقد تبين أن القرن الثاني عشر الهجري هو القرن الذهبي الذي تطورت فيه معظم فنون الكتاب في العصر العثماني ، وأكثر المخطوطات المتوفرة من هذا العصر يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر الهجري ، لذلك فقد اختار الباحث من هذا القرن مجموعة أكثر من حيث العدد من مجموعات القرون الأخرى .

وقد أخضعت هذه العينة العشوائية المختارة للدراسة التحليلية والنقدية مع مراعاة تمثيل هذه العينة التي اختيرت من دار الكتب القومية ، ومكتبة جامعة القاهرة المركزية ، ومركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية لمختلف الفترات والأماكن والموضوعات ، وذلك لجعل الدراسة شاملة في أغلب الأحيان .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى **ثلاثة أبواب** رئيسية ، كان **الأول** منها عبارة عن دراسة تمهيدية للبحث ، واشتملت هذه الدراسة أولاً : على ملخص لتطور المخطوطات العربية في الفترات السابقة التي قسمت إلى مجموعات هي :

١ . المخطوط العربي من بدايته إلى آخر القرن الرابع الهجري .

٢ . المخطوط العربي في القرنين الخامس والسادس الهجريين .

٣ . المخطوط العربي منذ سقوط بغداد سنة ٦٥٥ هـ إلى نهاية عصر المماليك .

ويبين هذا الملخص الحياة العلمية والفكرية والثقافية منذ بداية تدوين المخطوط حتى بداية العصر العثماني موضوع الرسالة .

واشتملت هذه الدراسة ثانياً : على دراسة تاريخية موجزة للدولة العثمانية ولأحداثها التاريخية والأدبية والسياسية والاجتماعية التي كان لها تأثير واضح على تطور أو تأخر المخطوطات العربية في هذه الفترة .

واشتملت ثالثاً : على حصر المخطوطات وأهم مراكز وجودها في الدول المشار إليها سابقاً ، إضافة إلى طريقة اختيار العينة العشوائية والمعايير والمقاييس التي اعتمدها الباحث لتمثيل الفترة الخاصة في البحث .

أما **الباب الثاني** من هذا البحث فهو الباب الرئيسي الذي تبدأ به الدراسة العملية التي تعتمد في منهجها على النماذج التي تم اختيارها من أماكن متعددة ، وكذلك على المراجع والمصادر التي كتبت عن المخطوطات العربية في هذه الفترة وتطرقت إليها من أي جانب من جوانبها ، وفي كل جزء كان الباحث يعطي نبذة مختصرة عما كان متبعاً في الفترات السابقة إلى أن يصل بذلك الجزء إلى العصر العثماني ليفصّل فيه معتمداً على المخطوطات الأصلية التي رجع إليها .

وقد قسم هذا الباب إلى خمسة فصول شملت شتى فنون الكتاب العربي المخطوط التي تشكل دراسته من الناحية المادية .

وقد اشتمل الفصل الأول على :

أولاً : الورق ، حيث تتبع الباحث طُرق صناعته بشكل موجز منذ **بدايته** حتى العصر العثماني ، ومن ثم انتقال صناعته إلى أوروبا عن طريق إيطاليا ، واعتماد العثمانيين الكبير على الورق الأوروبي وجلبه عن طريق التبادل التجاري بين أوروبا والدولة العثمانية ، بدليل العلامات المائية والخطوط المائية المتوفرة في أوراق أغلب مخطوطات هذه الفترة .

ثانياً : الأحبار وطرق صناعتها وألوانها واستخدامها في التزيين والزخرفة وما وصلت إليه في هذه الفترة من تعدد الألوان وكثرتها وسهولة صنعها .

ثالثاً : الأقلام وأنواعها واعتماد الكتاب على أنواع معينة منها لسهولة تشكيلها ، إلى أن وصلت إلى الأقلام المعدنية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي .

واشتمل الفصل الثاني على دراسة للخطوط العربية وأنواعها وما كان منتشراً منها في العصور الإسلامية السابقة ، وما تم اختراعه أو تحسينه أو تطويره في فترة الحكم العثماني ، إضافة إلى ما كان منتشرا عند نساخ هذه الفترة ، واشتمل الفصل الثاني كذلك على طريقة تدوين وكتابة المخطوط العربي عند نساخ وكتاب هذه الفترة من بداية المخطوط حتى نهايته ، وطريقة معالجة كل جزء من أجزائه التي قسمها الباحث إلى عشرة أقسام هي : صفحة العنوان ، وبداية المخطوط ، وعناوين الأبواب والفصول ، والهوامش ، والتسطير ، وعلامات الترقيم ، والاختصارات ، والتصويبات والإضافات ، ونهاية المخطوط ، وترقيم المخطوط .

وقد اتضحت خلال هذا الفصل السمات الرئيسية التي ميّزت المخطوط العثماني عن غيره من المخطوطات السابقة ، وخاصة في شكل وبيانات صفحة العنوان وطريقة كتابة بداية المخطوط ومقدمته ونهايته وقائمة محتوياته وطرق كتابة عناوين الأبواب والفصول ، إما بتمييزها بكتابتها بلون مخالف للون مداد النص أو بكتابتها بخط مخالف أو بالبنط العريض أو غير ذلك ، وكذلك طرق تصحيح ما وقع فيه النساخ من أخطاء خلال عملية الكتابة وإضافة ما قد غفلوا عنه وطرق تسوية السطور والهوامش والتراقيم .

أما الفصل الثالث فقد اشتمل على طرق تزيين وزخرفة مخطوطات هذا العصر من تسطيرها وجدولتها وإضافة الحليات والزخارف الجمالية ـــ سواء أكانت نباتية أم هندسية أم حيوانية ـــ إلى صفحاتها ، ومن ثم استخدام الذهب في زخرفتها وزخرفة حلياتها وأغلفتها وما إلى ذلك من أمور .

وفي الفصل الرابع درس الباحث قضية التصوير في مخطوطات العصر العثماني معتمداً على نماذج متنوعة في مخطوطات تركية وعربية وفارسية كتبت في تركيا والشام ومصر ، وتعود إلى هذه الفترة بالإضافة إلى المراجع المعروفة التي تطرقت إلى هذا الموضوع .

وأما الفصل الخامس الأخير في هذا الباب ، فقد اشتمل على طرق تجليد المخطوط في كل من مصر وبلاد الشام وتركيا والعراق ، وصيانته بعد الانتهاء من كتابته وتدوينه وإضافة الحليات الجمالية والزخرفية والتذهيب والصور إليه ، وبعد ذلك طرق تنفيذ الزخارف النباتية والحيوانية والهندسية المذهبة على جلود وأغلفة المخطوطات .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم القرون السابقة التي تم ذكرها نشأت عند العثمانيين متأثرة بالدرجة الأولى بالفنون الفارسية ، ومن ثم بما كان عند المماليك والأوروبيين ، وبعد ذلك برزت السمات الخاصة بالأتراك العثمانيين وخاصة في فني التصوير والتجليد .

والباب الثالث في هذا البحث هو عبارة عن دراسة للعناية بالمخطوط من الناحية العلمية أو ما يسمى بتوثيق المخطوطات .

فالعناية بالمخطوط وتوثيق معلوماته سارت جنباً إلى جنب مع العناية بالشكل الخارجي له ، منذ بداية عصر تدوينه ، حتى عصر انتشار الطباعة في أنحاء العالم العربي والإسلامي مع بداية القرن الثالث عشر الهجري ، فقد اهتم الوراقون والنساخ بالشكل المادي للمخطوط في حجمه وشكله وطريقة كتابته ، وفي عدد سطوره وكلماته وتزويقه وإخراجه في النهاية إخراجاً فنياً رائعاً .

أما العناية بالمخطوط العربي في العصر العثماني من الناحية العلمية فقد اشتملت

على ضبط المخطوط وتصحيحه ومقابلته ومعارضته بالنسخ الموثقة الأخرى وإضافة الشروح والحواشي إلى متنه وإضافة الفوائد والتملكات إلى صفحاته الأولى والأخيرة زيادة في الحرص على إخراجه إخراجاً علمياً صحيحاً وموثقاً ومحققاً .

وقد كانت هذه الأشياء موضوع الفصلين الأول والثاني من هذا الباب ، هذا بالإضافة إلى أمور أخرى تزيد من أهمية المخطوط وتكسبه أهمية علمية كبيرة وهي الإجازات والسماعات وغيرها التي عادة ما توجد في الصفحات الأولى والأخيرة من المخطوط ، وهذه الإجازات هي موضوع الفصل الثالث الأخير من الباب الثالث والبحث نفسه .

واشتمل البحث في نهايته على خاتمة أشار الباحث من خلالها إلى أهم النتائج التي تم التوصل إليها ، وعلى قائمة بأسماء المراجع التي تم الاعتماد عليها في إعداد هذه الرسالة .

أما ملحق الرسالة فقد اشتمل على أكثر من مائتي لوحة تضمنت نماذج متعددة في كل فن من فنون المخطوط العربي مرتبة حسب أبواب وفصول الرسالة ، وقد أُشير إليها في حواشي الرسالة نفسها بأرقامها حتى تكون مرتبطة ارتباطاً كلياً بجزئيات هذا البحث .

واشتمل الملحق أيضاً على قائمة بشروح اللوحات مرتبة حسب أرقام هذه اللوحات وأبواب وفصول الرسالة في بدايته ، وعلى قائمة بأسماء المخطوطات التي اعتمد عليها الباحث مفهرسة ومرتبة ترتيباً هجائياً حسب عناوينها في نهايته .

وأخيراً فهذه الرسالة هي محاولة أراد الباحث من خلالها الوصول إلى أهم ملامح وخصائص وميزات الكتاب العربي المخطوط في عصر الخلافة العثمانية على العالم العربي والإسلامي التي تمثلت في ثلاثة قرون ، هي من بداية القرن العاشر الهجري حتى بداية القرن الثالث عشر الميلادي .

المؤسسات التعليمية الأجنبية في اسطنبول

لسهيل صابان

صابان ، سهيل/المؤسسات التعليمية الأجنبية في نهايات الخلافة العثمانية في اسطنبول .ـــ رسالة ماجستير .ـــ الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، قسم الثقافة الإسلامية ١٤٠٩ هـ ، ٤١٢ ص .

في التمهيد قدم الباحث لمحة عن مكانة تركيا الجغرافية والتاريخية ، ثم تحدث عن الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية في القرن التاسع عشر في اسطنبول .

وقد وضح في «الظروف السياسية» مكانة الدولة العثمانية بين الدول ، وحالة الضعف والتردي التي ألمت بها ، وتكالب الدول الأوربية وروسيا عليها ، مما أدى إلى مزيد من التراجع الحضاري ، نتج عنه تخلف وانحطاط في شتى نواحي الحياة ..

ولما كان للامتيازات الأجنبية والتنظيمات العثمانية تأثير على فتح الأجانب للمدارس في الدولة العثمانية ، فقد درس الباحث كل واحد منهما تحت عنوان مستقل ، حتى يفي الموضوع حقه من البحث .

أما الفصل الأول الذي عنوانه : «نشأة المؤسسات التعليمية الأجنبية في اسطنبول» ، فقد اشتمل على خمسة مباحث :

يتناول المبحث الأول : نبذة تاريخية عن نشأتها . وفيه حديث عن مدارس الجماعات النصرانية ومدارس الدول الأجنبية حسب الترتيب التالي :

المدارس الرومية ، المدارس الأرمنية ، المدارس اليهودية ، المدارس الفرنسية ، المدارس الأمريكية ، المدارس الإيطالية ، المدارس الإنجليزية والألمانية والنمساوية وغيرها .

ولما كانت مدارس الأقليات النصرانية واليهودية في اسطنبول على غرار المدارس الأجنبية من حيث المقررات الدراسية والمناهج ، وتعليم اللغات الأجنبية المختلفة للطلاب ، والقيام بأعمال تسيء إلى الدولة العثمانية وإلى المسلمين ، وغيرها من الأمور ، لذلك فقد تضمن البحث مدارس الأقليات ضمن المدارس الأجنبية .

وقد عمل الباحث في آخر كل مطلب جدولًا بأسماء مدارس الجماعة أو الدولة المعنيَّة ، حسب التسلسل التاريخي ، واسم منشئها ومكانها في اسطنبول .

ثم تحدث في نهاية هذا المبحث عن إغلاق تلك المدارس في بداية الحرب العالمية الأولى ، عندما أُلغيت الامتيازات الأجنبية ، التي كانت تستند إليها تلك المدارس .

أما المبحث الثاني فتحدث فيه عن الجهات التي شاركت في إنشاء المدارس الأجنبية في اسطنبول . وقد قسمت إلى ثلاث جهات ، هي :

١ ـــ الجمعيات التنصيرية .
٢ ـــ الدول الأجنبية .
٣ ـــ الأشخاص الأجانب الذين لم يكونوا يتبعون جمعية تنصيرية معينة .

ولم يفصل المطالب على سبيل الاستقلال لما فيها من تلازم ، كالمساعدات المادية والمعنوية فيما بين تلك المؤسسات .

فقد كانت الجمعيات التنصيرية المختلفة والدول الأجنبية التي شاركت في إنشاء المدارس تساعد بعضها البعض في تأمين احتياجات المدارس : حيث أرسل البابا بعض أعضاء الجزويت (اليسوعيين) إلى اسطنبول في القرن السادس عشر الميلادي ، لما طلب الأروام أساتذة يعلمون أولادهم ، كما كانت الجمعيات التنصيرية تتنازل عن حماية بعض المدارس في الدولة العثمانية لجمعيات تنصيرية أخرى ، مثل تنازل الجزويت عن حماية بعض المدارس لجمعية اللعازريين في

القرن التاسع عشر ، وكانت أمريكا وبريطانيا متفقتين على نشر المذهب البروتستنتي في الدولة العثمانية .

ثم تحدث عن المصادر المالية التي كانت تعتمد عليها المدارس الأجنبية بإيجاز على الترتيب التالي :

١ ــ تخصيص ميزانية للمدارس من قبل الدولة المنشئة لها .

٢ ــ التبرعات والهبات الشخصية والاشتراكات .

٣ ــ أملاك الكنيسة التي تتبعها المدرسة وضرائبها .

٤ ــ الرسوم الدراسية التي كانت تؤخذ من الطلاب في بداية كل عام .

٥ ــ المصادر الأخرى ، مثل دخل أموال الاستثمار ، والألعاب التي كانت تقام لجمع الأموال للمدرسة ، وأوقاف الأغنياء والرهبان .

وبعد بيان ميزانية بعض الدول الأجنبية لمدارسها في اسطنبول ، شرع في توضيح ميزانية بعض المدارس بشكل مفصل من واردات ومصروفات .

ويتناول المبحث الثالث مواقع المؤسسات التعليمية الأجنبية في اسطنبول ، فقد اهتم المنصّرون بإنشاء مدارسهم في الأحياء الراقية ، من حيث فخامة البناء وجمال المنظر ، حتى تؤثر في عقول الناس ، وفي عواطفهم .. إلا أن ذلك لم يمنعهم من فتح المدارس في الأحياء الشعبية أيضاً لجلب الفقراء إلى المدرسة .. مما يؤكد أن للمؤسسات التعليمية التنصيرية سياسة جغرافية واضحة ، تهدف إلى تحقيق الهدف التنصيري .. إضافة إلى أن أغلب المدارس كانت ملحقة بالكنيسة ، أو العكس .. وهناك بعض المدارس لا يستطيع الداخل إليها إلا المرور بالكنيسة .

ثم وضع مواصفات عدة مدارس أجنبية مختلفة ، وذلك من حيث البناء والمواد البنائية المستعملة فيها وعدد الفصول الدراسية ، وغيرها من الأمور .. كما أشار إلى السبب في اختيار حي الروملي (وهو أعلى مكان في اسطنبول) مكاناً لمعهد روبرت الأمريكي ، حيث وضح ذلك سايرس هاملن (منشىء المعهد) في حفلة الافتتاح قائلاً : فكما أن السلطان محمد الفاتح دخل من هذا المكان إلى اسطنبول ، فإننا أيضاً سنفتح منه المدينة .

أما المبحث الرابع : فقد خصص للأجهزة الإدارية وهيئات التدريس في المؤسسات التعليمية الأجنبية .

وقد شرح فيه كيفية إدارة مدارس الأقليات والأجانب ، مبيناً عدد المدرسين في بعض المدارس على سبيل المثال ، مقارناً ذلك بالمدارس الحكومية ، وموضحاً أيضاً توزيع المدرسين في بعض المدارس حسب تخصصاتهم العلمية ومعاشاتهم الشهرية التي كانت تفوق معاشات المدرسين في المدارس الحكومية بنسبة كبيرة ، ثم جدولاً مبيناً للمستوى العلمي للمدرسين في المدارس الأجنبية وتوزيعهم حسب جنسياتهم وقومياتهم ، كما بين نظام قبول الطلاب في بعض المدارس ، والهيئة الإدارية لبعضها الآخر .

المبحث الخامس : الدارسون في المؤسسات التعليمية الأجنبية في اسطنبول .

وفيه وضّح نوعية الطلاب المداومين في المدارس الأجنبية ، واقتصار تلك المدارس على غير المسلمين في بداية الأمر ، ثم ذيوع صيت تلك المدارس في أنحاء الدولة العثمانية كافة ، وذلك في الاهتمام بتطبيق العلوم البحتة والاستفادة من خبرة الأساتذة والمدرسين ، وجلبهم من الدول الأجنبية المختلفة ، وتعليم اللغات الأجنبية للطلاب .. مما منحها سمعة طيبة ، جعلت أولاد المسلمين يرغبون في الالتحاق بتلك المدارس ، على حساب دينهم وقيمهم .

كما أشار إلى الإجراءات التعسفية في تلك المدارس نحو الطلاب المسلمين ، كإجبار الصائمين منهم على الإفطار ، وتقبيل الصليب وإشراكهم في الطقوس الكنسية وغيرها من الأمور .

ثم عمل جدولاً يبين حالة أولياء أمور الطلاب الاجتماعية ، وآخر يوضح ازدياد نسبة عدد الطلاب المسلمين ، وثالثاً يبين جنسيات الطلاب ، ورابعاً أديانهم ومذاهبهم .

أما الفصل الثاني الذي عنوانه : نظام التعليم في المؤسسات التعليمية الأجنبية في اسطنبول ، فيحتوي على ثلاثة مباحث :

يتناول المبحث الأول المراحل الدراسية في تلك المؤسسات وعدد سنواتها .

وقد قسم هذا المبحث إلى المراحل الدراسية التالية :

١ ــ المرحلة التمهيدية أو الحضانة .

٢ ــ المرحلة الابتدائية .

٣ ــ المرحلة المتوسطة .

٤ ــ المرحلة الثانوية .

٥ ــ المرحلة الجامعية .

وقد بين في كل مرحلة عدد السنوات الدراسية للمرحلة المعنية ، وعدد المدارس الأجنبية لكل منها ، من خلال الإحصائيات الرسمية .

والمبحث الثاني في المقررات الدراسية والوسائل التعليمية في تلك المؤسسات .

وقد تحدث فيه عن مقررات تلك المدارس بشكل عام ، والمواد التي كانت تهتم بها ، مثل اللغات الأجنبية .. ثم بين مقررات بعض المدارس على سبيل المثال من السنة الأولى الابتدائية إلى آخر المرحلة الثانوية ، بشكل مفصل . كما عمل جداول عديدة للمواد الدراسية في الأسبوع الواحد وعدد ساعاتها ، ثم تحدث عن مختلف أوجه النشاط المدرسي ، كالجوالة والكشافة ، وغيرها ، مما كان يتخذها المنصرون وسيلة ليبثوا من خلالها الأفكار التنصيرية للطلاب .

ويتناول المبحث الثالث من الفصل الثاني المناهج التعليمية المتبعة في تلك المؤسسات .

وبعد الإشارة إلى الاختلافات بين مناهج التعليم في المدارس الأجنبية ، شرع الباحث في بيان المناهج التعليمية للمدارس بشكل مفصل ، وركز على مضمون مادة الدين ــ مع أن المنصرين كانوا ينفذون إلى الطلاب عن طريق جميع المواد الدراسية ــ وما تحتويه هذه المادة من الطعن في الإسلام بشكل عام ، والنبي ﷺ بشكل خاص .. وغير ذلك من الأمور التي كان يثيرها المدرسون في المدارس الأجنبية .

أما الفصل الثالث والأخير : فقد خصص لآثار المؤسسات التعليمية الأجنبية في اسطنبول . ويضم هذا الفصل أربعة مباحث :

المبحث الأول خصصه لأثر المؤسسات التعليمية الأجنبية في اسطنبول على الحياة الدينية ، فوضح الآثار السيئة لتلك المدارس الأجنبية التي ما أنشئت في العالم الإسلامي بالكثرة الهائلة إلا لإبعاد المسلمين عن دينهم الذي هو عصمة أمرهم ومصدر قوتهم ومكمن عزتهم ومن ذلك :

ــ محاولة تشويه صورة الإسلام في أذهان الطلاب .

ــ وصم الإسلام بالجمود والتأخر وتلقين الطلاب بعدم ملاءمة الإسلام للعصر .

ــ تشويق الطلاب المسلمين للعادات والتقاليد الغربية ، وتمجيد رجالات الفكر الغربي والثقافة الغربية ، وفي الوقت نفسه الحط من قدر الأمم الشرقية .
ــ العمل على موالاة الطلاب للدولة التابعة لها المدرسة .. وغيرذلك كثير ..
ويتناول المبحث الثاني أثرها في الحياة الثقافية .

وقد تبين فيه اهتمام المنصرين بالتعليم فيما بين المسلمين بعد أن فشلوا في ساحات القتال ، فإنهم عن طريق تلك المدارس وصلوا إلى مآربهم الاستعمارية .
وكان من أهم نتائجها على الحياة الثقافية :
ــ إبعاد الطلاب عن لغتهم الأم ، بتعليمهم اللغات الأجنبية المختلفة ، كالفرنسية والإنجليزية. ليسهل الاطلاع على الكتب الأجنبية ، ومن ثم الأفكار المادية كالعلمانية والشيوعية .. الخ .
ــ إبعاد الطلاب عن تراثهم وإيهامهم بأن ذلك التراث فارغ المحتوى .
ــ إبعاد الطلاب عن الثقافة والتربية الإسلامية وملء الفراغ بالثقافة الغربية .
ــ إبعاد الطلاب عن دراسة التاريخ الإسلامي بشكل عام ، وتشويقهم إلى درس تاريخ أوروبا وأمريكا .
ــ تشويق الطلاب إلى الكتب الثقافية الغربية وبخاصة كتب القصص الغرامية بحجة الاطلاع على الآداب العالمية .
ــ تشويق الطلاب إلى العناية بالجرائد والمجلات الخليعة ومجلات الأزياء الغربية .

أما المبحث الثالث فكان في أثر تلك المؤسسات في الحياة الاجتماعية ، ويمكن هنا الإشارة إلى بعض تلك الآثار السيئة التي تركتها المدارس الأجنبية فيما بين المسلمين ، مما أدى إلى التخلي عن القيم الإسلامية ، والتقبل على العادات والتقاليد الغربية التي نراها اليوم في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية .
ــ العمل على تفكيك الأسرة الإسلامية ، سواء عن طريق تشويه سمعة أفكار آباء الطلاب الإسلامية ، أو الاختلاط الذي أدى إلى انتشار مختلف أنواع الأمراض المستعصية .
ــ تشويق الطلاب إلى الاهتمام بالمظاهر الخارجية البراقة .
ــ إيقاظ الحركة القومية بين مختلف شعوب الدولة العثمانية .
ــ إثارة الفتن بين مختلف الشعوب الإسلامية ، حتى النصرانية منها التي كانت تستظل بحماية الدولة العثمانية وتتمتع بخيراتها .
ــ مساعدة طلاب الأقليات أكثر من الطلاب المسلمين في هذه المدارس ، للحصول على وظائف مرموقة في الدوائر الحكومية .. وغير ذلك من الآثار التي كانت المدارس الأجنبية السبب المباشر فيها ..

المبحث الرابع ــ الأخير : أثر المدارس الأجنبية في الحياة السياسية .

كانت الدولة العثمانية في العصور الأخيرة تعيش على حساب نزاع الدول الغربية وروسيا عليها ، نظراً لتكالب تلك الدول عليها مجتمعة .

وكانت الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بالدولة العثمانية قد اضطرتها إلى الاستدانة من الدول الغربية ، فأصبحت ضعيفة إلى حد تنفيذ قرارات الدول المعادية لها .. مما كان من نتيجتها حصول تلك الدول على مزيد من الامتيازات الأجنبية ، مما ساعدها على إنشاء المؤسسات التعليمية الأجنبية ، المدمرة بمناهجها التنصيرية واللادينية .

ومن أوضح الآثار السيئة لتلك المدارس :
ــ إقناع الأقليات بضرورة تخلصهم من حكم الدولة العثمانية وتمويلهم بشتى الوسائل المادية والمعنوية .
ــ التستر على القائمين بالأعمال الإجرامية ضد المسلمين وضد الدولة العثمانية .
ــ إيجاد المشكلات أمام الدولة لتقودها إلى الحرب .
ــ إقناع الأقليات بضرورة بقاء نفوذ الدول الأجنبية في الدولة العثمانية .
ــ القيام بدور مؤسسات الجاسوسية من الداخل ضد الدولة العثمانية ، وتهريب المعلومات منها إلى الدول الأوربية .
ــ العمل للحفاظ على مصالح الدول الغربية وروسيا في الدولة العثمانية .
ــ كتابة مقالات مطولة ضد المسلمين وضد الدولة العثمانية ، لتأليب الرأي العام الدولي على الدولة العثمانية .

ثم أورد الباحث أهم النتائج التي توصل إليها في إعداد هذا البحث بشكل مركز ، في خاتمة البحث .

أما الملاحق التي عملها ، فهي :
١ ــ خريطة مدينة اسطنبول .
٢ ــ قائمة ببعض الشخصيات المتخرجة من المدارس الأجنبية في اسطنبول ومكانتها الاجتماعية .
٣ ــ صور للمناهج الدراسية .
٤ ــ صور من الوثائق التركية والعثمانية المستخدمة في البحث .
٥ ــ جداول بأسماء المدارس الأجنبية في اسطنبول وعدد الطلاب والمدرِّسين والمدرسات فيها .
٦ ــ صور لمباني بعض المدارس الأجنبية في اسطنبول .
٧ ــ صور لإحصائيات نظارة المعارف العثمانية العامة عن المدارس الأجنبية في اسطنبول مع ترجمة لأهمها إلى العربية .

وقد أعد الباحث قائمة بمصادر البحث ، وهي :
ــ قائمة بالمصادر العربية .
ــ قائمة بالمصادر العثمانية .
ــ قائمة بالمصادر التركية والإنجليزية .

أما الفهارس فهي :
ــ فهرس الأعلام .
ــ فهرس الأماكن والبلدان .
ــ فهرس الأديان والمذاهب والفرق .
ــ فهرس الموضوعات .

إشارات سريعة عن الرسائل الجديدة

أولاً: الماجستير

ـ **أدب القضاء** : أبو العباس أحمد بن إبراهيم السروجي ، ت ٧١٠ هـ ؛ تحقيق ودراسة شمس العارفين صديقي بن محمد ياسين ؛ إشراف أحمد عبد الرزاق الكبيسي .ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، فرع الفقه وأصوله ، ١٤٠٨ هـ ، ٢ مج : ٩٢٤ ورقة .

ـ **الاستثمار العقاري في الاقتصاد الإسلامي** . عبد المحسن يوسف الخزامي ؛ المشرف الاقتصادي محمد أمين اللبابيدي ؛ المشرف الفقهي يوسف الشال .ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، قسم الدراسات العليا ، ١٤٠٩ هـ ، ٣٠٠ ورقة .

ـ **انتشار الإسلام في السودان في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة** . جعفر أحمد صديق أبو سوار ؛ إشراف محمد الحبيب الهيلة .ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا الحضارية والتاريخية ، ١٤٠٨ هـ ، ٢٧٠ ورقة .

ـ **تأثير الكالسيوم في الوظائف الفسيولوجية لبعض الغدد الصماء في الطيور** . ابتسام بنت عبد الله السحيمي ؛ إشراف سهير يوسف صالح .ـ الدمام : كلية العلوم للبنات ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـ **تأثير الهيل على الهرمونات المنظمة لوظائف الخصية في ذكور الأرانب** . بدرية راشد الصويغ ؛ إشراف سهير يوسف صالح ، سهير محمود سكر .ـ الدمام : كلية العلوم للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ٢٢٩ ورقة .

ـ **تشجيع المرأة على المشاركة في النشاط النسائي بمركز التنمية الاجتماعية بالدرعية : دراسة وصفية**... سليمة سعيد الدامر ؛ إشراف ليلى سليمان محمد .ـ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية للبنات ، ١٤٠٨ هـ ، متعدد الترقيم .

ـ **جهود العرب في الدراسات الصوتية حتى القرن الثالث الهجري** . وفاء حسن زيادة ؛ إشراف أحمد مختار عمر .ـ القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، قسم علم اللغة والدراسات السامية ، ١٩٨٩ م .

ـ **الدر اللقيط من البحر المحيط** . أحمد بن عبد القادر بن مكتوم . تحقيق علاء محمد رأفت ؛ إشراف محمد حماسة عبد اللطيف .ـ القاهرة : جامعة القاهرة : كلية دار العلوم ، قسم النحو والصرف والعروض ، ١٩٨٩ م .

ـ **دراسات بيولوجية وبيئية على بعض القشريات البحرية الموجودة في مياه الخليج العربي بالمملكة العربية السعودية** . هيام بنت عبد الله العبد الهادي ؛ إشراف ألطاف عبد العزيز عزت .ـ الدمام : الإدارة العامة لكليات البنات ، كلية العلوم ، ١٤٠٩ هـ ، ١١٩ ورقة .

ـ **دراسة درجة التبلور وحجم الحبيبات في بعض الألياف : ألياف القطن السعودي الخام والمعالج كيميائياً** . فتحية سالم شكر ؛ إشراف برلانت عبد الحميد خليفة .ـ جدة : الرئاسة العامة لكليات البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م ، ٧٨ ص .

ـ **دراسة العلاقة بين العادات الغذائية ومرض الكلى لدى بعض المرضى السعوديين بمدينة الرياض** . نادية محمود الدجاني ؛ إشراف متين فاطمة عزيز ، محمد صديق نوح .ـ الرياض : الإدارة العامة لكليات البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ٢١٩ ورقة .

ـ **دراسة في الجغرافيا الطبيعية عن المنطقة الشاطئية الغربية للخليج العربي ما بين قرية سلوى الساحلية وميناء الجبيل الصناعي** . إعداد الجوهرة عيسى العجاج ؛ إشراف يحيى عبد الحميد علي .ـ الدمام : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية الآداب للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م ، ١٩٣ ص .

ـ **الدرر اللوامع بتحرير شرح جمع الجوامع : أول مباحث الأمر إلى نهاية الإجماع** . تحقيق ودراسة حسن بن محمد المرزوقي (القسم الثاني من الكتاب) .ـ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـ **دور النحو في تفسير النص الشعري** . مصطفى عراقي حسن ؛ إشراف محمد حماسة عبد اللطيف .ـ القاهرة : جامعة القاهرة ، قسم النحو والصرف والعروض ، ١٩٨٩ م .

ـ **الذرائع إلى الربا** . سليمان بن أحمد الملحم ؛ إشراف عبد الله العلي الركبان .ـ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـ **الرحلة في الأدب العربي** . ناصر عبد الرزاق ؛ إشراف محمود علي مكي .ـ القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٨٩ م .

ـ **سوق المال** . عبد الله بن محمد الرزين ؛ إشراف محمد حامد الزهار .ـ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـ **الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي** . علي الغريب الشناوي ؛ إشراف محمود علي مكي .ـ القاهرة : جامعة القاهرة ، قسم اللغة العربية ، ١٩٨٩ م .

ـ **ظاهرة الاتساع في الدراسات النحوية** . أحمد عطية المحمودي ؛ إشراف محمد حماسة عبد اللطيف .ـ القاهرة ، جامعة القاهرة : كلية دار العلوم ، قسم النحو والصرف والعروض ، ١٩٨٩ م .

ـ **ظاهرة الحمل على المعنى في الدراسات النحوية** . محمد أشرف مبروك . إشراف رمضان عبد التواب .ـ القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، قسم النحو والصرف والعروض ، ١٩٨٩ م .

ـ **عقيدة الألوهية عند اليهود في ضوء الإسلام** . أميمة بنت أحمد الجلاهمة ؛ إشراف رفقي علي زاهر .ـ الدمام : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية الآداب للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ١٦٥ ورقة .

ـ **علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ٤٥٦-٥٩٧ هـ** . بندر محمد رشيد الهمزاني ؛ إشراف فواز علي بن جنيدب الدهاس .ـ مكة

المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٩ هـ ، ٤١٢ ورقة .

ــ **العلاقة بين استخدام البرنامج في خدمة الجماعة وزيادة التحصيل الدراسي للطالبات المتخلفات دراسياً بالمرحلة الثانوية : دراسة تجريبية مطبقة على طالبات المدرسة الثانوية الثامنة والعشرين بالرياض** . فاتن أسعد سالم أشرف ــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية للبنات ، ١٤٠٨ هـ ، متعدد الترقيم .

ــ **مبادىء القرامطة ومصادر فكرهم** . فرحة بنت جوهر الدوسري ؛ إشراف رفقي علي زاهر ــ الدمام : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية الآداب ، ١٤٠٩ هـ ، ٣٢٢ ورقة .

ــ **مستوى الكفاية ودوره في التنمية الاقتصادية في الإسلام** . عبد الله بن أحمد العليوي ؛ إشراف محمد حامد الزهار ــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، ١٤٠٩ هـ .

ــ **المسوّغات في النحو العربي** . راشد أحمد جراري ؛ إشراف محمد بدوي المختون ــ القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، قسم النحو والصرف والعروض ، ١٩٨٩ م .

ــ **مشكلة الفقر وسبل علاجها في ضوء الإسلام : دراسة مقارنة** . عبد الرحمن بن سعد آل سعود ؛ إشراف محمد بن عبد الله عرفة ــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، ١٤٠٩ هـ .

ــ **من بلاغة القرآن في سورة الفرقان** . هند بنت محمد سليمان القاضي ؛ إشراف فرج كامل أحمد سليم ــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية ، الأقسام الأدبية ، ١٤٠٨ هـ ، ٤٣٥ ورقة .

ــ **موقف الشريعة الإسلامية من القاعدة القانونية : «لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص»** . تركي بن يحيى الثبيتي ؛ إشراف عثمان بن إبراهيم المرشد ــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الفقه وأصوله ، ١٤٠٨ هـ ، ٥٩١ ورقة .

ــ **نظم الحكم في اليمن بالعصر العثماني الأول** . تركي بن حميدان الحميدان ؛ إشراف فاروق عثمان أباظة ــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، فرع التاريخ بالقصيم ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ثانياً : الدكتوراه

ــ **الآثار الاقتصادية والاجتماعية لنقل التكنولوجيا : دراسة تحليلية لقطاع الدواء في مصر** . علي أحمد إبراهيم ؛ إشراف محمد فتحي صقر ــ القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨٩ م .

ــ **الأبيوردي : حياته وشعره** . محمود إسماعيل عمار . إشراف عبد القدوس أبو صالح ــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ــ **الاتجاه الإشراقي في مشكلتي المعرفة والألوهية عند ابن سينا** . مرفت عزت محمد بالي ؛ إشراف محمد عاطف العراقي ــ القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم الفلسفة ، ١٩٨٩ م .

ــ **أثر الشرط في الفقه الإسلامي** . زهرة بنت أحمد الألمعي ؛ إشراف محمد بن أحمد اصالح ــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ .

ــ **أحكام تلف الأموال في الفقه الإسلامي** . عبد الله بن حمد الغطيمل ؛ إشراف نزيه كمال حماد ــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، فرع الفقه وأصوله ، ١٤٠٨ ، ٨٢٦ ورقة .

ــ **استثمارات المصارف الإسلامية الخليجية : دراسة تطبيقية لبيت التمويل الكويتي** . منصور عبد الله راشد الهاجري ؛ المشرف الاقتصادي علي حافظ منصور ؛ المشرف الشرعي محمد العروسي . مكة المكرمة : جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الاقتصاد الإسلامي ، ١٤٠٩ هـ ، ٦٧٩ ورقة .

ــ **أطراف الأفراد والغرائب للدارقطني** . ابن طاهر القيسراني ؛ تحقيق خليل حسن حمادة (من أول مسند بلال إلى نهاية مسند زيد بن خالد الجهني)؛ إشراف محمد أديب الصالح ــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م .

ــ **الإعصار (؟)** . زيد محمد زيد الزامل ــ ؟ : جامعة ثاوث هاوتون ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ــ **التزام البائع بضمان التصرف والاستحقاق** . فريد عبد المعز فرج ــ القاهرة : جامعة الأزهر ، كلية الشريعة ، ١٩٨٩ م .

ــ **بريندن بيهن الكاتب المسرحي متمرداً : دراسة لقيمة التمرد في المسرحيات والسير الذاتية والرسائل والمسرحيات الإذاعية** . فتحي عبد الله محمد دراج ؛ إشراف عبد العزيز حمودة ــ القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم اللغة الانجليزية ، ١٩٨٩ م .

ــ **تاريخ اليمن وعلاقته بالدولتين العباسية والفاطمية : دراسة للأحوال السياسية والعلمية** ... حياة عبد القادر المرسي ؛ إشراف محمد حمدي المناوي ــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٨ هـ ، ٥٩٦ ورقة .

ــ **تطور النقود في ضوء الشريعة الإسلامية مع العناية بالنقود الكتابية** . أحمد حسن الحسني ؛ إشراف أحمد فهمي أبو سنة ، علي حافظ منصور ــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، فرع الفقه وأصوله ، شعبة الاقتصاد الإسلامي ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م ، ٣٠١ ورقة .

ــ **التقعيد النحوي وعلاقته بالقراءات السبع : دراسة من خلال أهم كتب التفسير ومعاني القرآن وإعرابه** . أماني عبد الرحيم حلواني ؛ إشراف عبد الله عبد الفتاح درويش ــ مكة المكرمة : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية ، ١٤٠٩ هـ ، ٤٤٣ ورقة .

ــ **تقويم برنامج الإعداد التربوي لمعلمة المرحلة الابتدائية في الكليات المتوسطة للبنات** . فتحية معتوق عساس ؛ إشراف رشدي أحمد طعيمة ــ مكة المكرمة : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، متعدد الترقيم .

ــ **جهود اليونسكو في مصر في تعزيز التفاهم الدولي والسلام العالمي** . أحلام عبد العظيم ؛ إشراف أمينة أحمد حسن ــ القاهرة : عين شمس ، كلية البنات ، قسم أصول التربية ، ١٩٨٩ م .

ــ **دور الجامعات السعودية في تنمية المجتمع السعودي** . حمد بن علي السند ــ [السعودية] : ؟ ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

— **دور جماعات المصالح في النظام السياسي السوفيتي** . إبراهيم محمد عرفات ؛ إشراف علي الدين هلال .ـ القاهرة : جامعة القاهرة : كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨٩ م .

— **السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي** . أحمد مجذوب أحمد علي ؛ المشرف الاقتصادي محمد عبد المنعم عفر ؛ المشرف الفقهي أحمد فهمي أبو سنة .ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، شعبة الاقتصاد الإسلامي ، ٤٠٨ جـ ، ٥٠١ ورقة .

— **شرح إيضاح أبي علي الفارسي لأبي البقاء العكبري دراسة وتحقيقاً** . عبد الرحمن بن عبد الله الحميدي ؛ إشراف محمد بن عبد الرحمن المفدى .ـ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

— **العربان ودورهم في المجتمع المصري** . إيمان محمد عامر ؛ إشراف رؤوف عباس حامد .ـ القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ١٩٨٩ م .

— **عقد العمل : دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون** . نادرة محمود سالم .ـ القاهرة : جامعة القاهرة : كلية الحقوق ، ١٩٨٩ .

— **العلاقة بين مستوى التدين والسلوك الإجرامي** . صالح بن إبراهيم الصنيع ؛ إشراف إبراهيم وجيه عبد الله .ـ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

— **العناصر التراثية في الرواية المصرية : دراسة نقدية من ١٤ ـ ١٩٨٦ م** . مراد عبد الرحمن مبروك .ـ جامعة المنيا ، كلية الآداب ، ١٩٨٩ م .

— **القواعد الأصولية في الأوامر الشرعية وأثر ذلك في فقه العبادات** . هاشم العبد محمد النور ؛ إشراف محمود عبد الدائم علي .ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الفقه وأصوله ، ١٤٠٩ هـ ، ٦١٠ ورقة .

— **كتب ثقافة الطفل العربي : دراسة لغوية** . حسنة عبد الحكيم عبد الله ؛ إشراف محمود حجازي ، عبد المنعم تليمة .ـ القاهرة : جامعة القاهرة : كلية الآداب ، ١٩٨٩ م .

— **مجلس التعاون الخليجي : دراسة في الأمن الإقليمي الجماعي** (بالانجليزية) . ليلى أبو الهجين ؛ إشراف محمود إسماعيل .ـ القاهرة : جامعة القاهرة : كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨٩ م .

— **مرويات شعبة بن الحجاج في مسند الإمام أحمد بن حنبل** . سيد أحمد عبد الحميد كشك ؛ إشراف رفعت فوزي عبد المطلب : جامعة القاهرة : كلية دار العلوم ، قسم الشريعة الإسلامية ، ١٩٨٩ م .

— **المصارف والصناديق المتخصصة في المملكة العربية السعودية ودورها في إنشاء نظام مصرفي إسلامي** . عبد المحسن بن عبد الله آل الشيخ ، المشرف الفقهي محمود العكازي ؛ المشرف الاقتصادي محمد عبد المنعم عفر .ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٩ هـ ، ٣٨٩ ورقة .

— **هارون الرشيد وقضية العصر الذهبي للخلافة العباسية** . علي محمد البتانوني ؛ إشراف حسن علي .ـ القاهرة : جامعة القاهرة : كلية دار العلوم ، قسم الحضارة والتاريخ الإسلامي ، ١٩٨٩ م .



